المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين

تأليف

أناتولى أوتكين

ترجمة

أنور محمد إبراهيم

محمد نصرالدين الجبالى

555

المشروع القومى للترجمة

الإستراتيجية الأمريكية
للقرن الحادى والعشرين

تأليف

أناتولى أوتكين

ترجمة

أنور محمد إبراهيم و محمد نصر الدين الجبالى

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٣

تصميم وتنفيذ: آمال صفوت الألفي
مطابع المجلس الأعلى للآثار

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٥٥
- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين
- أناتولى أوتكين
- أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالى
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

هذه هى الترجمة الكاملة لكتاب :

А. И. УТКИН
АМЕРИКАНСКАЯ СТРАТЕГИЯ ДЛЯ XXI ВЕКА
Москва • «Логос» • 2000

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084.

الفهرس

مقدمة

لا يمكن التنبؤ دائمًا بما يجلبه تاريخ العالم من أحداث؛ فهذا التاريخ قد قام بانعطافة مدهشة فى تسعينيات القرن العشرين . فبعد انقضاء نصف قرن من انفراد القطبين بمواجهة كل منهما الآخر، إذا بهذا العالم يفقد ما كان عليه من توازن ، وإذا بالولايات المتحدة الأمريكية تقف على رأس المجتمع الدولى . لقد أصبح قصف يوغسلافيا لحظة حقيقية فارقة فى تطور النظام المعاصر للعلاقات الدولية . وبات واضحًا على أى نحو تريد أكبر وأعظم دولة فى عصرنا الحالى أن ترى العالم . لقد فقدت الولايات المتحدة – بانهيار الاتحاد السوفيتى – منافسها فى المجال العسكرى ، كما أتاح بطء النمو الاقتصادى لأوربا الغربية واليابان تجنب مخاطر تهميشها فى مجال الاقتصاد ، كما أتاح تركز العلوم الأساسية وتطبيقها فى الشركات والجامعات الأمريكية تبوأها لزعامة الثورة العلمية التقنية . وهكذا اضطر العالم لأن يتواءم -بشكل أو بآخر – مع القوة الأمريكية المطلقة ، والذى يضاعف من قوتها وجودها على رأس حلف شمال الأطلنطى وتحالفها مع اليابان .

لقد انفتحت الدولة التى كانت فى حالة عزلة منذ ستين عاماً على العالم اقتصادياً، فى مجال الأفكار، وفى مؤشرات القوة. ولا يوجد فى الوقت الحالى أى ائتلاف من الدول يمكنه أن يشكل تهديدًا للغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فأمريكا اليوم تتفوق فى المجال العسكرى على الدول العشر التى تليها فى ميزان القوة . وفى مجال الاقتصاد حققت قفزة خارقة فى التسعينيات ، كما حققت الجامعات الأمريكية الأغلبية الساحقة فى عدد الحاصلين على جوائز نوبل ، وعلى ضوء هذه القوة الجبارة يمكن أن نستخلص خبرة المائة عام الماضية .

كانت ألمانيا واليابان هما الدولتان الأكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فى القرن العشرين ، وقد دخلت أمريكا حربين عالميتين بهدف وقف حركتهما نحو السيطرة على العالم . وفى النصف الثانى من القرن الماضى قام العالم الأمريكى على

قاعدتين : الاتفاق العسكرى الأمريكى والألمانى الغربى، والذى جرى إعداده فى فترة الاحتلال ، والمعاهدة المبرمة بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان فى عام ١٩٥١ .

وكما يعترف الإستراتيجيون الأمريكيون الآن ، فقد كانت للقوة السوفيتية أهميتها ، ولكنها كانت قوة ثانوية إذا ما قورنت بالقوتين الألمانية واليابانية باعتبارهما تمثلان تحدياً للإستراتيجية الأمريكية ؛ فعندما كانت اليابان كلها والجزء الأكبر من ألمانيا يقعان – منذ الخمسينيات –فى دائرة تأثير الولايات المتحدة الأمريكية ، كان توازن القوى فى غير صالح الاتحاد السوفيتى ؛ حتى إن موسكو لم تكن تمتلك سوى فرصٍ ضئيلة لكسب الحرب الباردة ...

والآن عندما نلقى ببصرنا إلى الوراء ، نرى كم كان موقف موسكو حرجاً ، لم يكن على الغرب بالفعل إلا أن يلعب دوره بشكل بالغ السوء ، إذا ما كانت لديه الرغبة فى أن يخسر، وكل أوراق اللعب هذه فى يده [١] .

وماذا عن روسيا ؟ منذ فترة قريبة ألقى ستروب تالبوت وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كلمة فى جامعة ستانفورد جاء فيها : يرى الكثيرون أن روسيا تتجه صوب الهاوية . أما الشعوب الأخرى فقد تنحّت جانبًا وهى تنظر باندهاش إلى هذا الانهيار المدوى . فى عام ١٩٩٨ خصصت الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ ٤٥٣ مليون دولار (بالإضافة إلى ١٠٤ مليون دولار خصصها الاتحاد الأوربى) من أجل مراقبة المنشآت النووية الروسية وتغيير ومعالجة البلوتونيوم المستخدم فى الأغراض العسكرية فيها ، كما خصصت أمريكا أيضا مبلغ ٣٤ مليون دولار لمنع خروج علماء الذرة للعمل فى البلاد التى لا تشارك الولايات المتحدة أهدافها [٢] .

تعلق الإيكونومست على هذا الموقف بقولها عندما تعانى دولة ما من نقص فى البشر وفى الإدارة وفى القدرة على دعم العمليات الحيوية الرئيسية ، فإن الأجانب – عاجلا أو آجلا – سرعان ما يبدءون فى ملء الفراغ ؛ فهل يسمى هذا احتلالا ؟ من السابق لأوانه الحديث عن هذا الأمر تحديدا ، لكن شيئا شبيها بهذا قد بدأ يحدث فى روسيا[٣] . ها هم الأطباء الأجانب يعملون فى مكافحة الأوبئة ، بينما تعمل الشرطة الغربية مع نظيرتها الروسية فى مكافحة الفساد . ويقوم رجل الخير المدعو سوروس

بتقديم المساعدة لأربعة آلاف عالم روسى ، ويمول طباعة الكتب المدرسية ، ويعيد تأهيل العسكريين الذين تركوا الخدمة ، بينما يتعامل كبار رجال الأعمال مع شركات التأمين الغربية ، وفى الوقت نفسه تقوم الحكومة الروسية بتخفيض إمكاناتها بشدة ، ليقترب حجم ميزانيتها من حجم ميزانية أيرلندا .

* * *

لم يكن باستطاعة الأمريكيين أن يفكروا منذ عشر سنوات مضت فى أن تهبط عليهم هذه النعمة ؛ ففى المذكرات التى نشرت منذ فترة غير بعيدة للرئيس بوش يمكن أن نطالع بأى قدر من الدهشة أدركت الدوائر الرسمية فى واشنطن تردى خصمها العالمى على الطريق الذى أدى به فى نهاية الأمر إلى السقوط والضعف . كان الانقلاب الذى قام به جورباتشوف لتغيير الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاده أمرا غير متوقع بالنسبة لواشنطن . وبمجرد انتخاب جورج بوش رئيسا للبلاد عام ١٩٨٩ طلب - وهو ما يزال يشكل إدارته - تقريرا من الخبراء عما يحدث ، وسرعان ما حضر إلى مقر إقامته فى كينيبنك بورت أفضل الخبراء المتخصصين فى الشئون الروسية ليطرحوا وجهة نظرهم بشأن التصدع الذى وقع فى معسكر الخصم العنيد سابقا ، والغيبوبة التى سقط فيها النظام السوفيتى واستعداد سدنة الكرملين للتضحية بكل غال ونفيس من أجل الدخول كشركاء مع أمريكا العظمى .

كانت المعلومات القادمة من موسكو والصدمة الثقافية التى أثارها عظيمة للغاية ، إلى حد أن العديد من الخبراء المحنكين بدءا من آدم أولام وحتى برنت سكاوكروفت ساورتهم الشكوك فى أن تكون هذه الأعمال الروسية خدعة تفوق الخيال ومناورة التفاف بالغة الضخامة ؛ بل إن الرئيس بوش نفسه التزم جانب الصمت طوال البضعة أشهر الأولى من رئاسته ، متجنبا أن تنطلى عليه هذه الحيلة . ربما بدت هذه الاحتياطات الآن سخيفة ، لكنها مفهومة . كان كل شىء يتم على الطريقة الغربية، وعلى الأخص بالنسبة لتوجيه الولايات المتحدة الأمريكية للسياسة الدولية .

ونتيجة للانتصار فى الحرب الباردة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أصبح حلف شمال الأطلنطى مهيمناً على شمال غرب الجزء الأوربى الآسيوى من القارة . أما حلفاء الاتحاد السوفيتى التسع السابقون وثلاث عشرة جمهورية من

جمهوريات الاتحاد السوفيتى ؛ فقد بدا أنهم وقعوا تحت تأثير أمريكا . وفى روسيا ذاتها تجلت خطورة النزعة الانفصالية على سطح الأحداث ، وتلاها تفكك الاقتصاد وانهيار المجتمع والتفسخ الأخلاقى للشعب وفقدان الهوية ، لقد أعطى الانتصار الأمريكى المطلق عام ١٩٩١ لواشنطن فرصة الاحتفاظ لسنوات طويلة بالوضع المثالى الراهن لدول ما وراء المحيط بفضل استخدامها لإستراتيجية ماهرة .

ما المكانة التى تشغلها روسيا فى عالم ما بعد الحرب الباردة ؟

من الواضح أن روسيا – على أقل تقدير – لا تشغل مكانة متقدمة . وفى هذا الصدد كتب الجنرال الأمريكى أودوم قائلا : على الرغم من أن روسيا ما تزال دولة مهمة ، فإنه لم يعد بمقدورها أن تلعب دورا قياديا ؛ فهى لا تملك داخليا حكومة متماسكة يمكنها التحدث باسم البلاد . ونادرا ما يمثل زعماؤها المصالح الحقيقية لروسيا الاتحادية أو مواطنيها ، كما أن معظم الزعماء لا يطمحون إلا إلى الثراء (ولتذهب روسيا إلى الجحيم) تماما مثلما أصبح موبوتو فى زائير وأباتشا فى نيجيريا وعدد آخر من الزعماء الأثرياء ، بينما راحت شعوبهم تعانى من الفاقه ؛ فإن روسيا معدة الآن أن تلقى نفس المصير ، فقد اقترضت روسيا بداية من عام ١٩٩١ – وفقا للتقديرات الأخيرة – ٩٩مليار دولار ، وخلال الفترة نفسها خرج من البلاد ما قيمته ١٠٣مليار دولار. وعلاوة على ذلك فإن الأوليجاركية ورجال الأعمال الناجحين يمارسون أعمالهم بشكل عقلانى من أجل مصالحهم الشخصية (٤) .

ويرى الخبراء الغربيون أن روسيا مصابة بأعراض الدولة الضعيفة ما بعد الكولونيالية المميزة لدول العالم الثالث ، وهى حالة غير شاذة وغير عابرة ، ومن الممكن أن تمتد لبضع عشرات من السنين (٥) . إن روسيا لا تشبه إطلاقا ألمانيا فيما بعد الحربين ؛ فهذه –على الأقل – كانت لديها مؤسسات حكومية قوية ونظام قضائى وشرطة استطاعوا أن يثبتوا أمام النظام البيروقراطى ؛ فضلا عن أن مواطنيها كانوا من الشباب ، وقد جرى بعث الاقتصاد بسرعة ودون مساعدة أجنبية . أما روسيا فهى دولة ضعيفة ، ليس لديها فى الواقع أى من المؤسسات الضرورية على الإطلاق، والتى تستطيع توظيف اقتصاد سوق فعال ، دولة ليس لديها نظام للضرائب، بلا قانون

أو قضاء ، تتناقص فيها معدلات الأعمار بشكل حاد ، ويتراجع فيها التعداد العام للسكان على نحو مطرد[٦] .

* * *

أطلق الراديكاليون اليمينيون على السنوات القادمة اسم المعجزة الروسية . يقول بيتر آفين رئيس ألفا – بنك : لقد اتضح أنه من الممكن خلال ست سنوات فقط إعادة توجيه تاريخ امتد زهاء ألف سنة ، تاريخ لم يكن لا للرأسمالية ولا للديمقراطية مكان فيه [٧] .على أنه من المستحيل على أى شخص ، عدا الأوليجاركيين ، أن يصف فترة الدوار الذى حدث جراء انهيار إجمالى الناتج القومى ومستوى معيشة السكان وأزمة نظامى الرعاية الصحية والتعليم بأنها فترة رائعة فى تاريخ روسيا . لقد اكتمل سقوط الاقتصاد فى صيف عام ١٩٩٨ ، عندما تصور رئيس الوزراء الشاب كيرينكو أن القرض الذى تلقته روسيا من صندوق النقد الدولى وتبلغ قيمته ٢٢,٦ مليار دولار بدعم مباشر من الرئيس كلينتون غير كافٍ . (يقول تشوبايس عن زيارته لواشنطن : "لقد طلبنا المساعدة من واشنطن بالتليفون فقدموها لنا» ، وهكذا لم يكن بمقدور كيرينكو أن يقود روسيا فى طريق التنمية الغربية .

وفى أغسطس عام ١٩٩٨ وبعدما أيقن زعماء روسيا الرأسمالية أنه أمكن تلافى الأزمة غادروا البلاد . (رحل تشوبايس إلى أيرلندا وآفين إلى سردينيا ، وحط روبين رحاله فى شمال إيطاليا ، واستقر المقام ببوتانين فى فرنسا) وفى روسيا بدأت مرحلة تاريخية جديدة ؛ ففى الثالث عشر من أغسطس ظهرت فى الفينانشل تايمز مقالة جورج سوروس ، التى أثبت فيها ضرورة تخفيض الروبل ، وقد توصل ستانلى فيشر نائب رئيس صندوق النقد الدولى بعد قراءته لهذه المقالة إلى استنتاج رهيب مفاده أن الرقصة انتهت ، بينما وصفت النيوزويك الأمر بأنه بداية ليال حالكة طويلة بالنسبة لروسيا ، التى راحت ضحية زعمائها غير المؤهلين... لقد انهارت تجربة موسكو فى بناء الرأسمالية [٨] . أما بيتر آفين فقد أوجز العاصفة التى اجتاحت روسيا على مدى ست سنوات بقوله : المعجزة الروسية لم تتحقق ، ولا تنتظروها فى المستقبل [٩] .

ومن الناحية الأيديولوجية فقد رأى غلاة الاقتصاديين الروس – على حد قول ستيفن بلانك الأستاذ بالكلية الحربية بالولايات المتحدة الأمريكية – أنه من الممكن استيراد الثورة من الخارج ، دون الاهتمام بتقوية الدولة ، وإنشاء مؤسسات راسخة للسلطة وسيادة القانون... لقد راحت هذه الدولة – التى تكونت على نحو غير طبيعي– تحاول على نحو يائس فرض النظام ، لكن جهودها لم تسفر إلا عن مجرد إصدار المراسيم ... أما تلك الأوهام الجريئة ، التى ترى أن السوق يمكن أن يصبح – بشكل أو بآخر – بديلا عن العملية السياسية ، وأنها ستحقق مملكة المحبة ، فقد ذهبت سدى [١٠] تاركة لموسكو وواشنطن مشكلة صياغة نظام جديد للعلاقات الدولية .

كانت إدارة كلينتون تنظر إلى علاقاتها مع روسيا من زاوية حل المشكلة الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية ألا وهى خفض القوى النووية الإستراتيجية لروسيا . وكان هذا هو الموضوع الوحيد الذى كان يثير اهتماما حيويا لدى المشاركين الأمريكيين فى الحوار . على أنه – وبالتحديد عند هذه النقطة – خبا اهتمام معظم المشاركين الروس فى الحوار بشكل مباشر أو غير مباشر . لم ير الأمريكيون– تحدوهم الرغبة العارمة فى تحقيق شروط معاهدة ستارت – ٢ –سوى أن هذه المعاهدة تعد دليلا على ضرورة عدم الاستسلام ، وإلا بدا الأمر جنونا ، كانت هذه المعاهدة هى الورقة الرابحة الأخيرة . يقول ستيفن بلانك : لقد راحت روسيا يدفعها الإحساس بالمهانة والفقر المدقع تتجه صوب رفض معاهدتى ستارت – ٢ وستارت –١ ، بل وكافة أشكال التسليح العادية فى أوربا . ولو كان الأمر قد استمر على هذا النحو لظهرت علاقات عسكرية جديدة بين الشرق والغرب :[١١] .

كانت معاهدة ستارت – ٢ ضرورية لروسيا ، على أن بعضا من النقاد الروس رأوا أنها خلقت نوعًا من عدم التوازن لصالح الولايات المتحدة الأمريكية . لقد تنازلت روسيا عن أكثر أسلحتها فعالية وعن أرقى تقنياتها تقدما ونعنى بها الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ، فى الوقت الذى احتفظت فيه الولايات المتحدة الأمريكية بكامل قدرة ترسانتها من الصواريخ النووية فى الغواصات والقاذفات الإستراتيجية . ومن ناحية أخرى فالأمر كان سيصبح بالغ التكلفة بالنسبة لروسيا التى تعانى من

الفقر لو أنها عملت على وقف فعالية الصواريخ الأمريكية العابرة للقارات ، فضلا عن بناء الغواصات التى تطلق الصواريخ الباليستية ذات المدى الإستراتيجى .

بعد وصوله إلى موسكو فى سبتمبر عام ١٩٩٨ حدد الرئيس كلينتون المرحلة الجديدة القادمة فى العلاقات الأمريكية الروسية باعتبارها مرحلة الواقعية الصريحة ، وقد عرضت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية فى الثانى من سبتمبر عام ١٩٩٨ جوهر هذا الموقف فى تصريح أدلت به أمام مجلس رجال الأعمال الأمريكى الروسى فى شيكاغو ، وكذلك فى عدد من تصريحات تالبوت نائب وزيرة الخارجية . ويتلخص جوهر هذا الموقف الجديد لا فى الدعم غير المشروط لعدد من السياسيين الروس ، وإنما فى التقييم الخاص للخطوات المحددة التى اتخذتها قيادة روسيا الاتحادية وتقييد المساعدة المالية أو السماح بها تبعا لبرنامج الإصلاحات واتساع مدى العلاقات القائمة مع القوى السياسية فى موسكو .

وفى الثامن عشر من سبتمبر عام ١٩٩٨ وفى إحدى جلسات الاستماع فى لجنة العلاقات الدولية خاطب لى هاميلتون العضو البارز للجنة العلاقات الدولية التابع لمجلس ممثلى الكونجرس الأمريكى أنصار الإصلاحات مدافعاً لأول مرة مباشرة عن الإصلاحات بقوله :

على الإصلاحيين ألا يصموا آذانهم عن المصير الذى أصاب الشعب الروسى ، والذى دفع ثمناً باهظاً من أجل الإصلاح ... إن علينا أن نعيد النظر فى سياستنا تجاه روسيا ، ويخيل إلىّ أن النموذج الاقتصادى الليبرالى الغربى قد انهار فى روسيا ، ومن ثم علينا أن نتعامل مع روسيا بشكل أكثر تلاؤماً مع ظروف روسيا .

وفى هذه الجلسات أيضا رأى وزير خارجية أمريكا الأسبق جورج شولتز أن من المهم الاعتراف بما يلى :

ينبغى علينا أن ندعم تلك البلاد التى تعد برامجها بنفسها ، وألا نحاول ربطها بأفكارنا . لقد أخطأنا عندما اعتقدنا أن الروس سوف ينظرون نظرة طبيعية للعمل بالشروط التى فرضها النقد الدولى ، تلك الشروط التى اعتبروها برنامجا أمريكيا ،

بينما كان عليهم أن يعملوا لتحقيق برنامج روسى . وعندما يعمل الناس فى إطار برنامج صندوق النقد الدولى يشعرون أن هذا يمثل إهانة لعمليتهم السياسية، فمن هى هذه الدولة التى تسمح لصندوق النقد الدولى أن يسير أمورها ؟ علينا أن نقول للروس ينبغى عليكم أن تدبروا أموركم ... إن روسيا دولة كبيرة ومهمة ؛ فهى تملك ٢٠ ألف وحدة من السلاح النووى ، وهو أمر لا يمكن ببساطة تجاهله .

* * *

هذا الكتاب مكرس لتقييم الإستراتيجية الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين . هذا القرن الذى بشرت بدايته بأنه قرن خير بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . وعلى العكس من ذلك يبدو مستقبل روسيا محنة تاريخية حقيقية ، لكى تجتازها بأقل الخسائر ولكى تستعيد مكانتها اللائقة بتاريخها ، فعلينا أن نحاول - بوعى ودونما حكم مسبق - أن ننظر إلى المستقبل الذى ستحدد فيه القوة الأمريكية بلا جدال توجهها الإستراتيجى الأمثل .

(1) Odom W .Russia 's several seats at the table ((International Affairs .1998 .?4.P.809-91
(2) The Economist .1998.December12.P.35.
(3) Ibid.
(4) Odom W .Russia 's several seats at the table ((International Affairs .1998 .?4.P.813.
(5) Ibid .P.813.
(6) Ibid . P. 814 .
(7) Newsweek .1999 .January 18 .P. 27.
(.8) Ibid .P. 24.
(9) Ibid .P . 27 .
(10) Blank S .Drift and Mastery ((European Security .Autumn 1997 .P.5 ,8.
(11) Blank S .Ibid .P.8 .

الفصل الأول

أسس الإستراتيجية

كان الماضى رائعًا بقدر ما كان واضحاً . لقد توصل السيد جورج كينان فى نهاية عام ١٩٤٥ وهو يتأمل روعة العمارة فى مبنى السفارة الأمريكية الواقع فى ميدان مانيجنايا فى موسكو إلى استنتاج مفاده أن من المستحيل السماح لثلاثة أماكن على ظهر الأرض أن تقع فى أيدى الروس : المملكة المتحدة ، ووادى الراين ، والجزر اليابانية.[١]

على أن المذهب التفسيرى الفعال للسيد كينان قد أصبح فى ذمة التاريخ هو والحرب الباردة . والآن وقد أسدل الستار على القرن العشرين أصبح من الواضح أنه إذا كانت عدوانية روسيا السوفيتية تحديدا تمثل السبب فى حرص أمريكا على القيام بدور المناوب العالمى ، فإن واشنطن – بعد أن تحقق لها النصر فى الحرب الباردة – لم تكن لتترك هذه الفرصة فتلقى عن كاهلها هذا العبء . على أن زوال الاتحاد السوفيتى من الوجود لم يخلق لدى الولايات المتحدة الأمريكية تحولات مشابهة ؛ فالولايات المتحدة لم تغلق حلف الناتو ، ولم تسحب وحداتها من ألمانيا أو كوريا أو اليابان ، ولم تعد إلى سواحلها الأساطيل المتحكمة فى بحار العالم ، ولم تخفض ميزانيتها العسكرية (عادت هذه الميزانية ، التى كان قد سبق تخفيضها من ٣١٠ إلى ٢٦٠ مليار دولار لتعود تدريجيا إلى مؤشراتها السابقة) . إن الميزانية الفيدرالية التى تم اعتمادها فى مايو ١٩٩٧ للنفقات العسكرية لأربعة أعوام لهى أفضل دليل على أن البنتاجون ما يزال يعيش حالة الحرب الباردة (بلغت الأموال المخصصة للنفقات العسكرية فى العام المالى ١٩٩٩ إلى ٢٧٠ مليار دولار ، وكان من المخطط زيادتها فى العام نفسه بمقدار ٢٥ مليار دولار) .

تقوم الإستراتيجية الأمريكية على وجود ١٠٠ ألف من العسكريين الأمريكيين فى أوربا (حول هذا الأمر يقول السيناتور موينيخين : إنهم موجودون مثلهم مثل الفيالق الرومانية) ، ومثل هذا العدد فى آسيا (ووفقا لما يسمى بتقرير ناى فإن هذا المستوى سوف يتم دعمه فى آسيا لمدة ٢٠ عاما كحد أدنى) ، وهناك ٢٥ ألفا فى الشرق الأوسط

وعشرون ألفا في البوسنة . وهناك ١٢ مجموعة من حاملات الطائرات في حالة تأهب عسكرى ، دائم وجميعها تقوم بأعمال الطواف الدورى في مستودع بترول العالم ، ونعنى به الخليج الفارسى وفى المضيق الذى يفصل تايوان عن القارة ، وهناك أيضا دوريات جوية فوق شمال وجنوب العراق وفوق إقليم كوسوفو . إن هذه الدولة التى تعترف بنفسها أنه لا يوجد من يهددها ، تمتلك شبكة جبارة من القواعد فى مختلف أنحاء العالم . وفى العام المالى ١٩٩٧ وحده أنفقت على المشتروات العسكرية ٦٧ مليار دولار ، وهو ما يفوق الميزانية العسكرية لأى دولة أخرى (٢). يصل جوردون آدمز نائب مدير معهد لندن للدراسات الإستراتيجية دون أن يساوره أى تردد إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد هناك دولة واحدة بإمكانها أن تمتلك ميزانية عسكرية ولا قوات مسلحة وتكنولوجيا عسكرية مثل ما لدى الولايات المتحدة الأمريكية . وحتى لو جمعنا كل البنى العسكرية الأوربية معا لاحتاج الأمر إلى عشرات السنين لتبلغ المستوى الذى بلغته أمريكا ، وتحتاج الصين لوقت أطول لإعادة هيكلة نظامها العسكرى ولروسيا لتستعيد قوتها العسكرية السابقة (٣).

من الصعب إعادة تقييم إمكانات القوة لدى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فأمريكا فى الوقت الراهن تؤثر تأثيرا بالغا فى السياسة الدولية ، أكثر من أى دولة أخرى فى التاريخ . (٤) وبعد سبع سنوات من الازدهار الاقتصادى المتواصل ، اقترب إجمالى الناتج القومى لها من ٩ تريليون دولار . أمريكا عضو فى أهم الاتحادات ، وتوفر النافتا لها الحصول على حجم متنام فى نصف الكرة الغربى . وليس هناك منافس على كوكبنا لحلف شمال الأطلنطى (٧,٥مليون من العسكريين) وتتجاوز النفقات الأمريكية على الأبحاث وإنشاء نماذج جديدة من المعدات العسكرية ٣٦مليار دولار (يليهم أعضاء الناتو الأوربيون ، وتبلغ نفقاتهم جميعا على نفس هذه الأغراض ١١,٢ مليار دولار) (٥) .

وحتى أكثر المتشائمين تحفظا يعترف بأن الظروف المواتية على نحو لا يوصف تضمن لأمريكا عشرين عاما من الزعامة دون جدال . ولا يملك أحد من علماء المستقبليات أن يتنبأ بما سيحدث لاحقا ، ولكن لا يوجد أساس للتشكيك فى أن القرن الحادى والعشرين وليس الذى قبله ، هو بحق قرن أمريكا .

لا يظهر حتى الآن أى خصوم فى الأفق ، كل المخاوف التى سادت الثمانينيات من القرن العشرين من أن اليابان وأوربا الغربية سوف تنموان على نحو أسرع هى مخاوف عفا عليها الزمن .

ويرى رونالد ستيل أن الولايات المتحدة الأمريكية – من جميع الجوانب العملية _ لا تخضع تحت أى تهديد بالتدخل ، وليس هناك ثمة أعداء يرغبون فى انهيارها ، كما أنها غير خاضعة لأحد فى تجارتها الخارجية ... لها حلفاؤها ، ولكنها مستقلة بدونهم ، ولم تكن تابعة لأحدهم فى يوم من الأيام حتى فى سنوات الحرب الباردة . إن الولايات المتحدة الأمريكية هى شبكة واسعة من القواعد العسكرية ، وهى قواعد لم يكن بناؤها لمجرد الدفاع عن النفس (٦) ، ويكتب تشارلز ماينز قائلا : لم يحدث مطلقا، منذ روما القديمة، أن سادت دولة بمفردها النظام العالمى متفوقة على هذا النحو الهائل من التفوق (٧) . لقد حالف الولايات المتحدة الأمريكية نجاح استثنائى . وفى هذا الصدد يكتب مارتن ووكر قائلا : بفضل إنفاقها لمائتى وخمسين مليار دولار سنويا فقط أصبح للولايات المتحدة الأمريكية سيادة عسكرية تعادل فى مجموعها القوة البحرية للاتفاقية البريطانية ، بالإضافة إلى القوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية فى أوج ازدهارها (٨) .

ترى ما الذى أوجد هذه القوة ؟ لقد ذهب المحللون الأمريكيون _بعد أن سقطت عنهم ورقة توت الحرب الباردة _يصفون جوهر السياسة الخارجية الأمريكية لبلادهم بكل واقعية . وهاهو أفضل باحث فى تاريخ الدبلوماسية المعاصرة ج . ل . جاديس يكتب قائلا : إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت لديها النية فى الهيمنة على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بفترة طويلة سبقت تحول الاتحاد السوفيتى إلى عدو لدود لها (٩) ، كما يصرح ك . لاين مستشار مركز مؤسسة ريند للأبحاث قائلا : لم يكن الاتحاد السوفيتى يمثل العامل الحاسم فى تحديد السياسة الأمريكية ، كما كان الأمر سائدا من قبل ، وإنما الواقع أن صناع السياسة الأمريكية سعوا بعد الحرب العالمية الثانية لخلق عالم تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، عالم يقوم علي تفوق القدرة السياسية والعسكرية والاقتصادية الأمريكية ، وكذلك على القيم الأمريكية (١٠) .

أصبح الخبراء الأمريكيون فى شئون الأمن القومى مديرين عالميين . لقد تم فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان سنوات الحرب الباردة إنشاء جيش جرار من المحترفين ضم موظفين فى الحكومة وجواسيس ومعلقين سياسيين وعلماء فى شتى الأفرع العسكرية ومهندسين متخصصين يعملون فى الشركات الحربية ، وهؤلاء ارتبطت حياتهم ومستقبلهم المهنى بوجود منافس مماثل مضاد لأمريكا . ويتساءل رونالد ستيل : ما الذى تريدون أن نفعله ؟ أن نفكك هذا الجهاز ، أن نوجه ضربة مميتة إلى المجالات الرئيسية فى اقتصادنا القومى ، بما فى ذلك مجالات التكنولوجيا الرفيعة التى تديرها الدولة وندمر مصدر قوتنا الوطنية... ؟ أم نبحث عن سبب جديد لاستمرار هذا الجهاز ونجنب ملايين البشر أخطار البطالة ؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة بديهية تماماً [١١] .

ويرى المنظرون الأمريكيون _باقتناع تام _أنه على الرغم من التلاعب بالألفاظ واستخدام العبارات البليغة ، فإن التعريف الفضفاض للسياسة الأمريكية تجاه العالم الخارجى بقى على ما كان عليه فى العقود الماضية [١٢] ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية لن ترفض إطلاقا قانون (الأول بين الأكفاء) فى عالم متعدد الأقطاب . ويؤكد دافيد كاليلو هذا الوضع بقوله : شئتم أم أبيتم فسوف تواصل الولايات المتحدة الأمريكية أداء دورها بإعتبارها زعيما فى أوروبا وفى آسيا [١٣] ؛ ويرى مايكل أوهانلون ممثل معهد بروكينج "أن العالم فى وضع بالغ الخطورة لا يمكن تجاهله ، ومن ثم فليس هناك بديل للعولمة [١٤] .

يمكن القول إن تشارلز كراوتهامر يقف على رأس معسكر أولئك الذين أدركوا أسرع من غيرهم «الأحادية القطبية لعالم الغد» ، وهو نفسه الذى نشر فى شتاء عام ١٩٩١ مقالا إرشاديا فى «فورين أفييرز» جعل عنوانه «مرحلة الأحادية القطبية» [١٥] وفى الكتاب الذى نشر فى نفس الفترة بعنوان «حتمية قيادة العالم» (قيادة الولايات المتحدة بطبيعة الحال – أ . أوتكين) نقرأ ما كتبه جوزيف ناى مؤلف الكتاب : «إن زعامة الدولة العظمى من شأنه أن يدعم الترابط العالمى ، فإذا ما اعترى الولايات

المتحدة الأمريكية البطء فى تعبئة مواردها من أجل الوصول لزعامة العالم ، فسوف تظهر عندئذ وعلى نحو بالغ السرعة ظاهرة تعدد الزعامات لتترك تأثيرها السلبى . إن إدارة التبعية المتبادلة ستصبح هى الدافع والحافز الرئيسى لاستخدام الموارد الأمريكية، كما أنها ينبغى أن تكون العنصر الرئيسى فى الإستراتيجية الجديدة». (١٦) ومن وجهة نظره يرى ريتشارد هاس أن الولايات المتحدة الأمريكية «ستظل على المدى البعيد هى السيد الفعال دائم الحضور فى عملية التحول العالمى» (١٧)

والآن ، وبعدما خمد الجدل الأيديولوجى (من جراء عدم نفعه) أصبح من الواضح -على الضوء الخافت للواقع المعاصر _أمر واحد على أقل تقدير ؛ فبدءاً من ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بشكل حقيقى فى عام ١٩٤٢ لم يكن هناك أحد فى هذا العالم بإمكانه بالفعل أن يقف فى مواجهتها ، وبالتالى أن يقف فى وجه إستراتيجيتها المحددة والحاسمة ، والتى كانت تمتلك مزية البساطة ووضوح الهدف الذى تمثل فى : الهيمنة على العالم . لقد استخدمت هذه العبارة بشكل رسمى للمرة الأولى عام ١٩٥٠ فى الوثيقة الرئيسية للحرب الباردة والمعروفة باسم ٦٨ . HCK، ومنذ هذا التاريخ دأب آخرون – وعلى نحو أكثر دقة – فى وصف هذه الإستراتيجية ، التى كانت الحرب الباردة مجرد مشهد من مشاهدها . إن الحديث يدور هنا حول الهيمنة العالمية على أى قوة (وعلى أى مجموعة من القوى) بهدف السيطرة على التطور العالمى .

لن نعلل أنفسنا بالأمانى؛ فأمريكا كانت ستخرج ، سواء فى وجود الاتحاد السوفيتى أو بدون وجوده ، إلى الفضاء الجيوبوليتيكى ، ولم يكن اختفاء هذا الخصم العنيد الواضح ليغير من جوهر نظرة أمريكا إلى العالم .

لم يظهر التفسير النظرى للجهود الإستراتيجية للولايات المتحدة مباشرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ؛ فبعد إنتهاء الحرب الباردة ظهر كثير من المنظرين الذين أغراهم انتصار كينان الجديد _السعى للحصول على نموذج يفسر كل شىء . وفى الوقت نفسه فقد ذهب المنظرون ، الذين يؤكدون أن الثنائية القطبية والتعددية القطبية هى النظام الأكثر رسوخا (١٨) ، ليأتى مكانهم خصومهم الفكريين من المدافعين عن الأحادية القطبية باعتبارها النظام العالمى الأمثل . لقد انطلق منظرو الأحادية القطبية

من أن نظام التعددية القطبية أقل رسوخا من الأحادية القطبية . وقد تطور النقاش الذى كان من نتيجته فكرة الإمكانية الفريدة للبلاد فى استغلال الأحادية القطبية باعتبارها نتيجة الانتصار الذى تحقق فى الحرب الباردة (١٩) .

أصبح التحذير الذى أطلقه الرئيس بوش هو ذروة التعريف اللغوى ، يقول الرئيس : «تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن اهتمامها الحيوى الضرورى يتمثل فى منع الهيمنة على مناطق أوراسيا من جانب أى دولة عدوانية أو أى مجموعة دول» (٢٠) .

وقد كتب جورج بوش فى مذكراته : «إن علينا ببساطة أن نقود الآخرين ... وأن نضمن التنبؤ بالمستقبل ، وأن نكفل الاستقرار فى العلاقات الدولية ، ذلك لأننا الدولة الوحيدة التى تمتلك الموارد الضرورية والسمعة ... وإذا لم تقم الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الآخرين ، فلن تكون هناك زعامة فى هذا العالم» (٢١) .

لم يستطع الديموقراطيون من أنصار كلينتون تجاهل حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية _أكبر مصدر فى العالم _ترتبط بالتصدير أكثر مما ترتبط به اليابان على سبيل المثال ، وأن فروع الشركات الأمريكية فى الخارج تمتلك نصيبا كبيرا من جملة التصدير العالمى ، أكثر مما تمتلكه الشركات العاملة على الأراضى الأمريكية ، وأن ربع الناتج القومى الأمريكى مرتبط بالاقتصاد العالمى . وبوصولها إلى السلطة أشاعت الإدارة الأمريكية مصطلح توسيع منطقة ديموقراطية السوق . وقد رأى الرئيس كلينتون ، بعد دخوله البيت الأبيض ، أن من الضرورى أن يقارن بين نفسه وبين وودرو ويلسون وهارد ترومان وتيودور روزفلت وفرنكلين روزفلت ؛ أى بينه وبين هؤلاء الرؤساء الذين يجسدون النشاط العالمى للسياسة الأمريكية . ووفقا للوثيقة الإرشادية التى اتخذها البنتاجون عام ١٩٩٢ فإن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغى أن تقضى على سعى الدول الصناعية الكبرى فى تحدى زعامتنا أو محاولة تغيير النظام السياسى أو الاقتصادى القائم(٢٢) .

ووفقا لقانون جولد ووتر _نيكولاس (١٩٨٦) يلتزم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام سنويا بنشر بيان خاص بإستراتيجية الأمن القومى للولايات المتحدة الأمريكية . كان بيان عام ١٩٩٥ يحمل اسم «إستراتيجية التدخل ودفع الأداء

الديموقراطي» . وقد وضعت إدارة كلينتون الثانية على رأس مهامها استراتيجية «التدخل ودفع الأداء الديمقراطي» [٢٣] . ويعتبر التعبير الذى أطلقته مادلين أولبرايت «أمريكا هى الدولة التى لا يمكن الاستغناء عنها» هو الإسهام النظرى فى هذا المجال . وقد أضافت أولبرايت «سوف نحتفظ بوجودنا فى كل مكان تقتضى الضرورة الدفاع عن مصالحنا فيه» [٢٤] .

ويفسر كل من ت . كرول (قائد مشاة البحرية الأمريكية) وج . جونسون (قائد العمليات البحرية العسكرية) وكلاهما عضو اللجنة المتحدة لقادة الأركان مذهب كلينتون بأن «الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تسمح لأى أزمة بأن تتصاعد بحيث تشكل تهديدا لها» [٢٥] . ويصف د . رايمر قائد أركان الجيش الأمريكى بأنه «يمثل قوات الانتشار السريع فى القرية الكونية» . كما أصبح إصطلاح «الهيمنة الطيبة» اصطلاحًا سائداً . واكتسب الجدل حول ضرورة الاحتفاظ بوضع الدولة العظمى الوحيدة سمة الاستمرار .

ما الأدوات التى يستخدمها الأمريكيون من أجل تحقيق أهدافهم ؟ تعدد وزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت هذه الأدوات على النحو التالى : المنطق البسيط ، الحوافز الاقتصادية ، المساعدة الفنية ، المعاهدات الجديدة ، تبادل المعلومات ، استخدام القوة ، التهديد باستخدام العنف ، المقاطعة ، التهديد بالمقاطعة وأى تركيب من الأدوات السابق ذكرها» [٢٦] . أما فيما يتعلق بالمنافسين الأقوياء لأمريكا ، فإن مادلين أولبرايت ترى أن من الضرورى تحذيرهم : «إن زعماء العالم الذين يصرون على أن العالم ما يزال _أو يجب أن يستمر _متعدد الأقطاب ، عليهم أن يراعوا أن دورهم الخاص ينبغى أن يتفق والمسئوليات الملقاة على عاتقهم ... فالتحالفات الفعالة ليست خيارا ، وإنما تأتى تحقيقا لزعامة الولايات المتحدة الأمريكية» [٢٧] .

تفكر واشنطن فى القرن الحادى والعشرين ، عندما يصبح الصراع على الموارد الطبيعية أشد ضراوة ، وعندما يتحول ٦٠ ٪ من سكان الأرض إلى سكان للمدن ، وعندما تصبح ٩٠ ٪ من نسبة زيادة السكان فى العالم بسبب سكان العالم النامى ، الساعى إلى تجاوز التخلف والقضاء على الأوبئة والانفجار السكانى . تبدو أمريكا كما

لو كانت قد انتهت من حل مشكلات القرن المنصرم ولم يعد هناك شيء يثير قلقها أكثر من القرن الحادى والعشرين ، ولم تعد هناك دولة واحدة فى العالم لا يحتدم فيها الجدل حول «المعركة من أجل المستقبل» .

ثبات الأحادية القطبية

«تبعًا لنظرية ثبات الأحادية القطبية فإنه كلما زادت الدولة –الزعيم قوة ، كلما ازداد النظام الدولى استقرارا» (٢٨) ، ولكن لو أظهرت القوى المتميزة رفضها لنظام الأحادية القطبية فإن تغيير هذا النظام سوف يكون أمراً بالغ الصعوبة . يزعم أنصار الأحادية القطبية أن تطوير عمليات العولمة فى القرن الحادى والعشرين وتوسيع الديموقراطية وعمليات الأسواق العابرة القومية سوف تضعف من أهمية الحدود القومية كما سوف تسهل من مهمة أمريكا. وهناك رأى شائع – إلى حد كبير، ولكنه يفتقر إلى الدقة– يقول «إن اليابان من بين المرشحين المعاصرين للقب دولة عظمى تتخذ موقفا معاديا بشدة للعسكرة ، والصين ضعيفة للغاية ، وألمانيا غارقة فى القضايا الأوربية ، وأوربا مشتتة ، والبرازيل والهند ما يزالا فى دور الفتوة ، أما مسألة بعث جمهورية سوفيتية كبيرة ما أو اتحاد للدول المستقلة ككل فأمر مؤجل للمستقبل ، إلى درجة أنه لا يمكن اعتباره موضوعًا مثيراً للقلق ... ومن وجهة نظر الأمن القومى الأمريكى من الصعب تصور ظهور أى تهديد على امتداد من ١٥ إلى ٢٥ عاما القادمة على أقل تقدير»(٢٩) .

ويؤكد منظرو الزعامة الخيرة أولا أن زعامة الولايات المتحدة يمكن أن تجد قبولا من المجتمع الدولى ، إذا ما بدت هذه الزعامة غير عدوانية ، ودودة ، واعدة بالخير؛ فإذا عملت الولايات المتحدة الأمريكية ، آخذة فى اعتبارها مصالح أعضاء الأسرة الدولية الأخرى ، فإن هذا يؤمنها ضد تجمع الجيران والمنافسين . إن قيم الديموقراطية والليبرالية الأمريكية وتأثيرها الثقافى الواسع يجب أن تضعف من مفعول القانون الثانى لنيوتن ؛ فالطبيعة سوف تقدم الاستثناء ، والفعل هنا لن يكون له رد فعل . وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن إيماننا العميق بالديموقراطية والحقوق المدنية يعطى للأمم الأخرى الثقة فى النوايا الطيبة لقوتنا العسكرية وسعيها نحو العملية الديموقراطية

السلمية». [٣٠] ثانيا : إن عدم التماثل النابع من السيادة الأمريكية سوف يخلق بنية تصاعدية صارمة يصعب خلخلتها . أما الدول الأخرى فإنها لا تستطيع عمليا أن تنشئ توازنا مضادا للهيمنة الأمريكية ، وذلك فى ضوء عدم التوازن الحاد للقوى ، الأمر الذى يجعل مهمتها بالغة الصعوبة .

ما يزال الخصمان المحتملان (ألمانيا واليابان) فى حالة ضعف شديد ، وكلاهما مرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية بشدة بشبكة من الاتفاقات والعلاقات . [٣١] وعلى أراضى هاتين الدولتين تنتشر القوات الأمريكية . ولا يمكن _إلا إذا وقع ظرف استثنائى _أن «يتحرر» هذان العملاقان (اللذان حاربا أمريكا فى القرن العشرين) ليواجها زعيم المجتمع الدولى ؛ فاليابان (التى أثارت تلك المخاوف باعتبارها منافساً ناجحاً ومحتملاً وزعيماً عالمياً) توقفت طوال الثمانينيات عن أن تكون قوة عالمية يخشى بأسها . والأمر لا يقتصر هنا على الأزمة التى أخذت بخناقها ، ولكن لأنها حتى الآن لاتمتلك عقلية الزعامة العدوانية . واليابان مجتمع تجارى مسالم ، غارق بشكل واضح فى جمع الثروة ، ولديه إصرار مطلق على ألا يكرر أخطاء الثلاثينيات . واليابان ليس لديها أى طموح أكثر من أن تكون الدائن الأول لأمريكا ، وشريكها التجارى الأول ، والمستثمر الأول والمحمية الأولى لها[٣٢] .

وفى هذا السياق فقد ركز الأمريكيون جهودهم على نحو مكثف لوضع نظريات تؤكد أن «الدول الديموقراطية لا يحارب بعضها بعضا» [٣٣] فما الذى يدفع الولايات المتحدة الأمريكية لأن تحارب كندا ، طالما أن بإمكانها أن تحصل منها على ما تريد وتحت بصرها.[٣٤] لقد اتفق كثير من الخبراء الأمريكيين على إبراز موضوع التبعية المتبادلة مؤكدين أن العالم الذى يسود فيه مبدأ التبعية المتبادلة يصبح التطاول على مكانة الزعامة فيه أمرا – ببساطة – غير ممكن ؛ فجميع أعضاء المجتمع الدولى الفاعلين مرتبطون أشد الارتباط كل بالآخر .

مبدأ إثارة الخوف

على أية حال لا يمكن القول بأن الجميع فى الولايات المتحدة الأمريكية يغمرهم الشعور بالرضا ، فالهيمنة الأمريكية لا يمكن أن تستمر بلا نهاية . إن نصيب الولايات

المتحدة فى الإنتاج العالمى ، وبالتالى تأثيرها العالمى ، سوف يبدآن فى التراجع حتى لو استمر الاقتصاد الأمريكى على حالته من الازدهار . إن مرحلة الأحادية القطبية لا يمكن أن تستمر طويلا . «والافتراض القائل بأن نظام العلاقات الدولية – كما كتب تشارلز كوبتشان – يمكن أن يعتمد إلى الأبد على الهيمنة الأمريكية هو وهم ، كما أنه أمر بالغ الخطورة» (٣٥) .

لقد عكست المؤسسات الصحفية البارزة التحول الذى أصاب الوسط القومى فى اتجاه الحذر . ويوجه أ . هايلاند رئيس تحرير مجلة «فورين افييرز» ذات النفوذ خطابه إلى أمريكا باعتبارها رمزاً جديداً للإيمان قائلا : إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترغب فى إقامة نظام عالمى جديد يعكس القيم التقليدية الأمريكية فإن عليها أن تحققها _أولا وقبل كل شىء _فى الحدود القومية ... وعلى ضوء الواقع القائم فى السنوات العشر الأخيرة ، فإن شعار «أمريكا أولا» ليس خطأ فى كل جوانبه» (٣٦) . وتكاد مجلة «فورين بوليسى» الأكثر ليبرالية بعض الشىء أن تتفق مع وجهة النظر هذه ؛ فها هو ش . أ . ماينز يؤكد أن «على الشعب الأمريكى أن يعى محدودية ما لديه من موارد» (٣٧) . أما أ . هاريس رئيس تحرير مجلة ناشيونال انتيريست التى تصنف باعتبارها ذات توجه يمينى ؛ فيؤكد أنه «أن تكون الدولة العظمى الوحيدة الباقية فى العالم... هو وضع غير مناسب على الإطلاق ، كما أنه يكفى القيام بعمليات عسكرية من جانب واحد بحجم «عاصفة الصحراء» مرة واحدة لا أكثر ... ينبغى أن تكون هناك فترة زمنية نتعامل خلالها برفق مع الموارد والطاقة القومية ، ولكى نكسب الوقت فمن الضرورى قبل كل شىء أن نرتب بيتنا من الداخل (٣٨) .

هناك ظاهرتان تهددان زعيمة العالم – المحظوظة : تعاظم الطامحين إلى نيل لقب الدولة العظمى وفقدان الاستقرار (الفوضى) فى أهم مناطق العالم ذات الأهمية الإستراتيجية .

بناء على ما سبق فإن الحجة القائلة بعدم وجود النزعة العسكرية لدى الدول الديموقراطية لن يصمد أمام التحليل التاريخى . وكما أن هناك زعماً بأن اقتصاد

السوق لا ينفصل عن الديموقراطية؛ فاليابان وألمانيا لم تكونا في يوم من الأيام دولتين تطبقان اقتصاد السوق على النمط الأمريكي . وهناك حجة أخرى أيضا لن تصمد للنقد ، وهي إمكانية إنقاذ الاعتماد المتبادل العالمي . ليست المرة الأولى على امتداد القرن العشرين التي يتم الاعتماد فيها على العلاقات الحميمية والتبادل الواسع النطاق للبضائع والمكاسب التجارية المتبادلة واللجوء الاستثنائي للقوة، مثل هذه الحجج البليغة جرى طرحها عشية نشوب الحرب العالمية الأولى (عندما بلغ الاعتماد المتبادل بالفعل مؤشرات كبيرة الحجم) وبين الحربين العالميتين. إن الظهور الجديد المدوي لمثل هذه الحجج لا يمكن أن يكون أساسا للرضا.

ويفترض عدد من المتخصصين من أمثال كينيث وولتس ، وميريام إيلمن ، ومايكل براون ، وشين لين- جونسون ، وستيفن موللر ... وغيرهم أنه إذا كان أعضاء المجتمع الدولي يعانون مشاعر الخوف في علاقتهم بعضهم ببعض فإن الاعتماد المتبادل إنما يؤدي فقط إلى زيادة احتمالات التصادم (٣٩) . ويورد المؤرخ بول كنيدي مقولة الاقتصادي الإنجليزي الذي رأى أنه برغم التبادل التجاري المكثف بين بريطانيا وألمانيا في بداية القرن إرهاصات للحرب بين البلدين حيث يقول وهو يتأمل المصانع الألمانية : «إن كل مدخنة من تلك المداخن ، هي فوهة مدفع موجه إلى انجلترا»(٤٠) . إن أشكال الاقتصاد المنافسة لأمريكا في نهاية القرن العشرين ... أصابها الهلع من هذه المداخن .

منافسون محتملون

هناك سؤال مطروح حول من سيكون بإمكانه مستقبلا استغلال تشتت القوات الأمريكية . لقد أصبح تحديد هوية المنافسين المحتملين واحدة من المهام الرئيسية المطروحة أمام علم السياسة الأمريكي . وقد لقيت آراء الأمريكيين بشأن القدرات المختلفة للدول تأثيراً متبايناً ؛ فها هو صمويل هنتنجتون أحد أبرز المواهب الأمريكية يلفت الانتباه إلى صراع الحضارات ، بينما راح ب . تشويت و أ . لوتفاك يبحثان عن منطقة الصراع في التطور الآسيوي . أما س . إيمرسون فقد ركز جهوده على قضية الإسلام الأصولي . وفي الوقت نفسه فقد رأى عدد كبير من المنظرين أن الصين الناهضة تمثل القوة العالمية الموازنة . ورأى ر. هاس أن التهديد لا يكمن في شخص

بذاته ، وإنما فى اندفاع الأحداث وعدم القدرة على التنبؤ بالتطور العالمى[٤١] . ويعتبر برايان إيتوود مدير وكالة التنمية العالمية أن الفوضى السائدة فى العالم الثالث قد احتلت مكان الشيوعية باعتبارها التهديد الأكبرللولايات المتحدة الأمريكية[٤٢] .

يدعو دافيد تاكر للتخلى عن الصور التقليدية البائدة للعدو ، ويرى أن صورة العدو الآن تتمثل فى «المقاتلين الهمج ، الذين لا يحملون أى قدر من الاحترام للقيود الحضارية ، والذين هم على استعداد دائما - وبشكل مطلق - للقيام بارتكاب أى عمل من شأنه أن يحقق لهم الانتصار. وهؤلاء الذين نشأوا فى ظل الحرمان والفوضى ومناطق الانفجار السكانى والمخاطر البيئية ، متأملين تدنى أحوالهم الثقافية فى البلاد الإسلامية الغنية بالنفط ، هم محاربون مستعدون بكل سرورللجوء إلى العنف »[٤٣] .

وقد حدد أنتونى ليك مستشار الرئيس كلينتون لشئون الأمن القومى المرشحين لدور الخصوم المحتملين على النحو التالى «إنهم القوميون المتطرفون والمتعصبون القبليون والإرهابيون وأصحاب الجريمة المنظمة والمتآمرون ، الذين لا يضعون اعتبارا لجيرانهم من الدول الأخرى ، وكذلك كل من يود لو أن الدول التى نالت استقلالها قريبا عادت إلى ما كانت عليه[٤٤] . وبناء على هذا التعريف الواسع للعدو المحتمل ، فإن مقاومة هذا العدو واتخاذ إجراءات الضمان اللازمة تتطلبان عولمة السياسة الخارجية وفرض الهيمنة على كل مكان فى العالم . ويتساءل رونالد ستيل : من الذى لا يمكن اعتباره عدواً للولايات المتحدة الأمريكية على ضوء هذا التعريف الفضفاض للعدو المحتمل ؟ [٤٥] . إن عدداً قليلاً للغاية من أقطاب السياسة العالمية هم الذين يملكون قوة عسكرية واقتصادية وسياسية مشابهة . وبطبيعة الحال فإنه ليس بمقدور كل منافسى أمريكا أن يصبحوا مرشحين لأداء دور المنافس الحقيقى لها . إن قادة المؤسسة السياسية مقتنعون أن عالم المستقبل سوف يضم بين جنباته أربع دول فقط يمكنها على ضوء ظروفها الملائمة الخروج من دائرة وصاية الولايات المتحدة الأمريكية ، وتوسيع نطاق نفوذها الخاص والتحول بذلك الى مركز يتمتع بالاكتفاء الذاتى ، وهذه الدول الأربع هى : ألمانيا (وإجمالى إنتاجها ٢,٢ تريليون دولار) ، اليابان (٤,٣ تريليون دولار)، الصين (تريليون دولار) ، روسيا (نصف تريليون دولار) .

ذكرنا آنفا أن الألمان واليابانيين شكّلا مع نهاية القرن العشرين الخصمين الرئيسيين للولايات المتحدة الأمريكية ، وهؤلاء مقيدون بالالتزامات التى يفرضها عليهم تحالفهم مع الولايات المتحدة الأمريكية . ترى هل يمكن اعتبار هذه المعاهدة الرقابية حاجزاً مضموناً ؟ لا يولى كل الامريكيين ثقتهم لحلفائهم ، كما أنهم غير مطمئنين لمتانة روابط الشراكة القائمة ولا فى فعالية نظام الوصاية العسكرية والسياسية على الاتحاد الأوربى واليابان . ومن هؤلاء ز . خاليداد ، أحد العاملين «بمؤسسة ريند» ، الذى توصل إلى استنتاج حول هشاشة علاقات التحالف أوجزه فى قوله : «إن الإيمان بتحالفات تقوم على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هو إيمان معرض للانهيار طالما لم يتوصل الحلفاء الرئيسيون فيها ، مثل ألمانيا واليابان ، إلى عقد اتفاق ينص على أن الاتفاقات القائمة لا تشكل تهديداً لأمنهما . إن هذا الإيمان يمكن أيضا أن يصبح عرضة للاهتزاز إذا ماظل الحلفاء لزمن طويل متواصل ينظرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها دولة لم تعد تمتلك الإرادة والقدرة على الدفاع عن مصالحها (٤٦) .

لقد دخلت روسيا - العدو السابق - فى خضم الصراعات الداخلية وفقدان الاتجاه والقلاقل العرقية وفقدان زعمائها إرادتهم ، وأصبح قيامها بدور المصدر للمواد الخام يقلل من شأنها ، فى نفس الوقت الذى فقدت فيه دورها تقريبا كمشارك فى الثورة التكنولوجية ، كما أفقدها الانهيار المفاجئ للهياكل الداخلية للدولة وهياكل السياسة الخارجية التمتع بالاستقرار . وما تزال روسيا غير قادرة حتى الآن على أن تجد العالم الداخلى تجاه قضيتين رئيسيتين مثل علاقتها بسبعين عاما من الشيوعية والهوية القومية للمواطنين الروس : علاقتها بحدودها الجديدة ، وبخمسة وعشرين مليون روسى خارج حدودها . لقد تقادمت أسلحتها الإستراتيجية ، وتقلصت أسواق الصناعة، وأدار حلفاؤها ظهورهم لها . انخفضت ميزانية الدولة فى روسيا لتصبح أقل من ميزانية فنلندا ولتتساوى مع ميزانية أيرلندا . وفى هذا الصدد يصل رونالد ستيل إلى استنتاج مفاده «أن روسيا دولة مصابة إصابة بليغة ... وهى بحاجة إلى عدة عقود لكى تستعيد - ولو ظاهريا - قدرتها السابقة . وسوف تظل ولزمن طويل «الرجل المريض» على امتداد الحدود الأوربية ، باعتبارها مشكلة أكثر من كونها مصدراً للتهديد» (٤٧) .

وحتى أكثر أنصار مبدأ إثارة الخوف تطرفا فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يتوقعون أن تتحول هذه الدولة ، التى تستجدى القروض من صندوق النقد الدولى وتطلب المساعدات الإنسانية ، إلى منافس كما كان الحال فى الماضى . وعلى أية حال فعلى الرغم مما آلت إليه روسيا من ضعف فهى ما تزال الدولة الوحيدة فى العالم التى تمتلك قوة نووية قادرة على تهديد الولايات الأمريكية المتحدة . إن النيات الحسنة التى تضمرها روسيا فى الوقت الحالى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تنقلب رأسا على عقب ، والقوة ، المحايدة دائما ، يمكن أن تتحول إلى سلاح لسياسة التهديد(٤٨) . يرى د . كاليو أن «روسيا العدوانية يمكن أن تمثل مشكلة ضخمة ، إذا ما دخلت فى تحالف مع الصين» (٤٩) . وسوف تتضاعف قوة روسيا إذا ما وجدت لها حلفاء أقوياء . عند هذه المعادلة تؤكد تيريزا ديلبش أن مستقبل التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين ، والذى تعتبر العلاقات بين روسيا والصين – من خلاله – الأكثر تعقيداً ، سوف يصبح تعاوناً حاسماً بالنسبة لقضية الحرب والسلام فى المائة عام القادمة» (٥٠) .

إن الحذر البالغ تجاه علاقة التقارب بين القوتين الأعظم فوق أراضى أوراسيا الشاسعة هو أمر تقليدى فى مجال الجيوبوليتيكا الأمريكية . ينبغى ألا ننسى هنا «أن المفهوم الأكثر تأثيراً فى فن الدولة الأنجلوأمريكية يتمثل فى فكرة «هارتلاند» عن أوراسيا وعن الفضاء المركزى ، وهى فكرة الحيلولة دون قيام دولة مركزية» (٥١) . لا سيما قيام تحالف بين دول مركزية قارية .

من الصعب – بطبيعة الحال – أن يؤمن الجميع بأن وجود مثل هذا التحالف يمكن أن يخيف واشنطن . يذكرنا مايكل ماندلباوم «بأن أكبر دولة من حيث تعداد السكان (الصين) وأكبر دولة من حيث المساحة (روسيا) تختلفان عن بعضهما البعض جوهريا فى عدد من الخصائص المهمة . فالاقتصاد والقوة والمكانة الدولية للصين تختلف عن وضع روسيا ، التى دخلت فى مرحلة صعبة من تاريخها» .

تبدو الصين هى أكثر خصوم الولايات المتحدة الأمريكية المحتملين فى القرن الحادى والعشرين ؛ فالصين تمتلك أقصى فرص النجاح كمنافس . ويرى خبراء

السياسة فى الغرب أن لدى الصين أكبر إمكانات لكسر الوضع الراهن الأمثل للولايات المتحدة الأمريكية . وتبعا لتعريف كولين جراى - الذى يتفق عليه الكثيرون - فإن ظهور الصين كدولة عظمى فى أوراسيا يمثل ظهور منطقة ساحلية «شرقية بالنسبة» للمنطقة المركزية «التاريخية ، والمنطقة الساحلية الهائلة للصين تطل على خطوط الاتصال البحرية الرئيسية ، وهى طرق عظيمة تمر عبر المحيطات وتسير بمحاذاة خطوط اتصال الإمبراطورية البحرية والصناعية والتجارية لليابان . وتمتلك الصين فيها وزنا ومكانة بارزتين ، كما أنها - خلافا للاتحاد السوفيتى السابق - غير منغلقة فى إطار حجمها القارى ، وقد لا يمكن أن تدفعها للانغلاق حتى السياسة الأمريكية الموجهة» (٥٢) . إن اتساع المساحات وطبيعة الأرض وتعداد السكان وخصوصية التقاليد الاجتماعية والموقع الجغرافى بالنسبة للعالم يجعل من الصعب المبالغة سلباً أو إيجاباً بشان قوة تأثير الصين فى النظام العالمى ؛ فالصين ستنمو حتما لتصبح دولة نووية عملاقة وعندها ستضطر الولايات المتحدة الأمريكية لأن تدفع ثمناً باهظاً من أجل توازن هذا التهديد»(٥٣) .

لا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما أوتيت من جبروت أن تفعل الكثير ، فى حالة ما إذا استمرت جمهورية الصين الشعبية فى تأكيد ذاتها بدءاً من شرقى آسيا ثم بعد ذلك فى كل أنحاء العالم . وهنا ينبغى عدم المبالغة فى أهمية عنصر الارتباط بالسوق الأمريكية. نعم ، صحيح أن الصين تحصل على مزايا هائلة بفضل نفاذها إلى السوق الأمريكية ، وبفضل الاستثمارات الغربية وتبادل التكنولوجيا مع الغرب ، ولكن الصين إجمالا موجودة بعيدا عن متناول الولايات المتحدة الأمريكية . إن هذا التصور حول الإمكانات الضخمة للصين ، وحول سرعة زوال محاولات توجيه نموها ما يزال يكتسب وزناً اجتماعيًا أكبر يوما بعد الآخر. بينما يتكون لدى عدد متزايد من الأمريكيين انطباع أن أمريكا لن تواجه الآن قوى هائلة لا يمكن السيطرة عليها .

وإذا لم تنزح بكين عن الطريق المؤدية بها إلى الهيمنة على شرقى آسيا ؛ فقد تبرز فى الولايات المتحدة الأمريكية قوى تؤكد على أن التوجه الحالى خطير لظهور منافس يبلغ تعداد سكانه ١,٥ مليار نسمة ويمتلك اقتصادا سريع النمو . ترى هل يمكن النظر

باطمئنان إلى هذا التهديد المتصاعد ؟ «هناك تحالف داخل العائلة الأمريكية يرى: أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقف ضد تحول الصين الى دولة عظمى ، وذلك بحفز التناقضات الداخلية فيها، فإذا ما تعذر ذلك ، فإن عليها (الولايات المتحدة) اللجوء إلى القيام بحرب وقائية»(٥٤).

مثل هذه الاستنتاجات المذعورة يمكن التوصل اليها إذا ما جربنا فقط الشكوك القائمة بشأن استمرارية القوة الحالية لحلف شمال الأطلنطى دون أدنى أمل فى ان يتسم النمو الصينى بمشاعر المودة. يجب أن نذكر هنا أن هذا التحالف الذى لا يستهان به من الصفوة الأمريكية ينطلق من افتراضات متشائمة مفادها «أن أوربا وحلف شمال الأطلنطى يفقدان دورهما باعتبارهما بؤرة الأحداث العالمية فى القرن الحادى والعشرين ، بينما ستفرض (بدلا منهما) منطقة المحيط الهادى الآسيوية مسيرة الأحداث فى العالم بعد انتهاء الحرب الباردة»(٥٥). وإذا كانت العلاقات السوفيتية الأمريكية هى التى حددت مسيرة الأحداث فى النصف الأخير من القرن العشرين ، فإن العلاقات الصينية الأمريكية هى التى ستحدد مسيرة الأحداث فى النصف الأول من القرن الحادى والعشرين . إن التاريخ يعلمنا أن الزعامة والهيمنة يولدان حتما المقاومة . وهناك ثلاثة عوامل بإمكانها أن تجعل من أسس الجبروت الأمريكى أسسا قابلة للاهتزاز .

أولاً : أنه ليس من طبيعة الدول ذات السيادة أن تضع أمنها فى أيد غريبة ، وأن وجود قوة عظمى واحدة ، فى نهاية الأمر ، يحفز الخوف لدى الدول المحيطة ، وأن أصدقاء اليوم ليسوا بالضرورة هم أصدقاء الغد ؛ فالدول المستقلة تسعى لتأمين مستقبلها لا بإعلان نياتها على الملأ ، وإنما بتقدير عوامل القوة الكامنة فى الأعمال . وإذا كانت النيات متقلبة فالقوة تظل دائما على ما هى عليه.

ثانيًا : أن إصرار سكان الولايات المتحدة الأمريكية على دفع ثمن بقائها دولة عظمى (مادياً وبشرياً) يمكن أن ينتابه الضعف . يرى تيرى ديبل أن «الدور العالمى يتطلب انفاقاً ضخماً للموارد ، كما يتطلب تفاؤلاً وفعالية كبيرين ... والأمريكيون عادة ما يشعرون بعدم الارتياح لكونهم متوحدين مع فكرة ان بلادهم تستغل مكانتها

للتدخل فى كل شئون الدنيا ، بهدف توطيد أمنها» (٥٦). وبشكل خاص فإن الحروب فى كوريا وفى فيتنام والأعمال العسكرية فى الصومال قد أظهرت بالفعل أن الشعب الأمريكي لديه الاستعداد لأن يدفع ثمناً محدوداً فقط من أجل احتفاظه بالقوة المطلقة. وكما يؤكد ديفيد ريف «فإن الجنرالات يعلمون أن من المؤكد أن أى عضو فى الحكومة لن يتكلم بلهجة قاطعة عن بشاعة الحرب والمصير البائس الذى يلاقيه الجنود إذا ما سقط ولو جندى واحد فيها» (٥٧)، بل إن بعض الجنرالات الأمريكيين رفضوا اعتبار «ما وقع فى فيتنام نوع من الخيانة» (٥٨). كان العالم شاهداً على الانسحاب السريع للأمريكين من الصومال فى عهد الرئيس كلينتون ... أما الأعراض الفيتنامية فلم تدفن فى رمال الخليج» (كان جورج بوش قد أكد أنه دفنها فيها) . هناك ثمن، والمواطن الأمريكى ودافع الضرائب ليسا على استعداد لدفعه حتى ولو من أجل الهيمنة العالمية . لقد ولى الزمن الذى كان سقوط الضحايا فيه (كل الضحايا تقريبا) كان وراءه ما يبرره . بانتهاء الحرب الباردة لوحظت الرغبة لدى العديد من الأمريكيين فى تحويل بؤرة الجهود القومية من الخارج البعيد لتحسين ظروف الحياة داخل البلاد . وفى خريف عام ١٩٩١ رفع ٧٤٪من الأمريكيين شعار العودة إلى الوطن (٥٩).

ثالثا : أصبحت بلدان العالم الثالث التحريفية ، وخاصة تلك البلدان التى تمتلك أسلحة الدمار الشامل ، والتى تسمح أحجامها ومؤشراتها الديموجرافية أن تطمح لاحتلال مكانة مهيمنة الخصم الرئيسى للوضع الراهن (٦٠) .

هناك أرضية واسعة للافتراض أن حدود المصالح المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين سوف تتراجع على نحو أكبر ، حتى بالمقارنة بالتراجع الذى حدث وعلى نحو مباشر بعد فترة الحرب الباردة . يمكن أن نسمع أصواتا تتساءل : وهل أمريكا مستعدة للدخول فى حرب من أجل الحدود الرومانية ؟ ومن أجل استقلال تايوان ؟ ومن أجل بقاء الوضع كما هو عليه فى كشمير والتبت وعلى الحدود بين الدول الأفريقية ، هل ستحارب بسبب جزر سبراطل وسينكاو ، أو بسبب الجدل الدائر فى آسيا الوسطى ؟ وهل سترسل الولايات المتحدة الأمريكية

الوحدات الحاملة للطائرات إلى مضيق تايوان أثناء إجراء الانتخابات القادمة فى تايوان ؟ هناك من الأسباب ما يدعونا إلى الشك فى أنها ستفعل ذلك . أما الصين فستصبح أقوى ، وسوف يتضاءل قلق الأمريكى البسيط بشأن تلك الجزيرة الصغيرة. يرى ك . لاين «أن من الأمور بعيدة الاحتمال أن تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تدعم الثقة فى ضمانات الأمن (إذا ما أعطيت هذه الضمانات) لدول مثل أوكرانيا ، ودول بحر البلطيق وحتى تايوان ؛ فكل دولة من هذه الدول يمكن أن تقع فى نطاق التهديد النووى لمنافسها» (٦١) . إن دافع الضرائب الأمريكى لا يرى أى مغزى للإبقاء على الوضع الراهن على نحو شامل وعالمى ، كما أنه غير مستعد لأية تضحيات مادية ، وأفضل دليل على ذلك هو ظهور نزعة الانعزالية الجديدة فى التسعينيات من القرن العشرين .

نلاحظ فى هذا الصدد أن عدم الوفاء بالالتزام مرة واحدة من شأنه أن يزعزع الإيمان فى القدرة الكاملة للزعيم ، وعندئذ ستأخذ كل الدول ذات السيادة طريقًا مستقلاً .

البحث عن السياسة الأمثل

تنفق الولايات المتحدة الأمريكية فى الوقت الحالى ما نسبته ١ :١٤من إجمالى ثروتها القومية لتحقيق سياستها الخارجية ، وهذا المقدار يقل كثيراً عما كانت تنفقه إبان حكم الرئيس ترومان ، وهى تحتل المكانة الأخيرة بين الدول الصناعية المانحة للمساعدات . وقد انخفضت المساعدات الأمريكية الخارجية إلى ١٧ مليار دولار أى حوالى١ ٪ من الميزانية الفيدرالية . كما أنها المدين الرئيسى للأمم المتحدة وللعديد من المنظمات الاقتصادية . و حتي هذه التضحيات بدت للكثيرين زائدة عن الحاجة . ولماذا ينبغى على الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أن تنفق مواردها الهائلة لضمان أمن أوروبا الغربية واليابان ؟ يكتب المؤرخ الشهير ب . كنيدى على سبيل المثال قائلا : «إن الاستخفاف الإمبراطورى لا يؤدى إلا إلى فقدان الموارد وتحول القوة إلى ضعف» (٦٢) . وقد حققت أمريكا أكبر قدر من زيادة القوة لا فى سياق اشتراكها فى المواجهة (كلفت الحرب الباردة العالم عشرة تريليونات من الدولارات أنفقت هباء) ،

وإنما فى الفترات التى ضعف اهتمام أمريكا فيها بشئون ما وراء المحيطات وذلك فى بداية الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وفى عشرينيات القرن العشرين . إن الهيمنة على العالم عمل بالغ التكلفة . وفى نهاية الأمر فإنها يمكن أن تمنح الدول الأقل تورطاً فى السعى وراء الهيمنة الفرصة لأن تصبح قوية .

تستطيع أمريكا تغيير الوضع الراهن الملائم لها ، وذلك على حساب الاستخدام الموجه للقوى القومية أو على أساس تعبئة التحالف الكبير لهؤلاء الشركاء ، الذين كسبت معهم الحرب الباردة . وهنا يطرح السؤال حول الشكل الذى سيتخذه الردع الإستراتيجى : هل يتحقق عن طريق الأعمال العسكرية المحدودة أم بواسطة التحالف الإستراتيجى ، الهيمنة بلا شريك أم البحث عن توازن القوى ؟

ما يزال المدخل الأول هو السائد فى المؤسسة الأمريكية ، هنا لا يوجد أحد على استعداد أن يشاركه الآخرون وظائف الهيمنة ، وهنا يزداد الخوف من النتائج المحتملة نتيجة مغادرة وفقدان الهيمنة على المناطق المهمة . إن المنطق السائد يقتضى الهيمنة على تلك البلاد التى يحتمل أن تصبح قادرة على الوقوف فى صف المعارضة . وقد عبر المرشح الجمهورى للرئاسة السناتور دول فى كلمته الرئيسية عن السياسة الخارجية ، والتى ألقاها فى عام ١٩٩٦ فى مركز نيكسون للسلام والحرية عن هذا الاتجاه بشكل واضح ، وكذلك تعهد السناتور دول بالتمسك بسياسة «الإستراتيجية الكبرى التى تلت عام ١٩٤١» ، وتتضمن الهيمنة على أوربا وسواحل المحيط الهادى والخليج الفارسى وضمان حرية البحار والتجارة . وفى سياق ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية المتحررة من كل قيود الاتفاقات ، سوف تكون أكثر استقلالا عن المنظمات الدولية : «فمع وجود بوب دول فى البيت الأبيض لن يتلقى أى أمريكى أية أوامر من الفيلدمارشال بطرس بطرس غالى» .

إن مثل هذه السياسة قد تفلح بشرط أن تجد دعما غير مشروط فى وطنها ذاته ؛ فقوة النزعة الأمريكية العالمية تستند على موافقة المواطنين الأمريكيين ، وقد ظلت هذه الموافقة عنصرا ثابتا فى أمريكا طوال النصف الثانى من القرن العشرين ؛ ففى عام ١٩٤٧ كان ٦٨ ٪ من الأمريكيين يؤيدون الدور الفعال للولايات المتحدة الأمريكية

فى العالم ، بعدما زالت تماما النزعة الانعزالية التى كانت سائدة من قبل . وعلى امتداد الخمسين عاما الماضية لم تتراجع إطلاقا نسبة الأمريكيين المتحمسين للدور الأمريكى عن ٦٥ ٪ من التعداد العام لأمريكا .

على أن التجربة فى كل من كوريا وفيتنام لعبت على أية حال دورها؛ فقد أصبحت الخسائر الجسيمة فى هذه البلاد النائية أموراً غير مقبولة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

أما أنصار المدخل الثانى فقد أشاروا –وعلى نحو بالغ الإقناع – إلى أن «مخاطرة الدخول فى صراع ونقطة الضعف المحتملة فيما يتعلق بتعرض الأراضى الأمريكية تحديدا لهجوم من الخارج ، هما أمران ينبعان – بشكل مباشر – من المسئوليات الأمريكية فيما وراء المحيط ، تلك المسئوليات التى يفرضها التعريف الواسع لمفهوم المصالح الأمريكية»(٦٣) . لا يمكن لأى قوة أن تجعل من الردع العالمى أمراً أبدياً ، ناهيك عن أن تجعله مستمراً لفترة طويلة . كل القوى العظمى السابقة كانت تقابل بالمقاومة ، وفى هذا السياق فالتجربة التاريخية خير مقنع . وكما يؤكد تشارلز كوبتشان «فإن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون مستعدة للضعف الحتمى الذى سيعترى هيمنتها ، ولكى تخفف من حدة أثر هذه العملية فعليها أن تساهم فى تقوية زعماء الأقاليم فى كل من المناطق الثلاث التى تتميز بقدرتها الصناعية والعسكرية، وهى أمريكا الشمالية وأوربا وشرق آسيا ... وإلا ستزداد سرعة ضعف الهيمنة الأمريكية» (٦٤) .

وإذا كان تاريخ العالم يعطينا أساسا لإجراء المقارنات ، فإن الجدل الذى لن يكون هناك مفر منه فى مستقبل أمريكا مفاده : هل من الأفضل لأمريكا أن تظل تدفع على نحو مستمر ثمنا متصاعدا من أجل الهيمنة العالمية أم تقيم توازنا للقوى فى العالم أقل تكلفة وأكثر رسوخا ؟ وما تزال تتصاعد داخل الولايات المتحدة الأمريكية أصوات تؤكد أنه يمكن تصور قليل من الصراعات فى عالم ما بعد الحرب يمكنها أن تعرض مصالح الولايات المتحدة الأمريكية لخطر حقيقى» (٦٥) .

إن النظرة الأحادية من شأنها أن تحطم موارد أى دولة ، حتى ولو كانت دولة فى ثراء الولايات المتحدة الأمريكية . يؤكد تشارلز ماينز أنه ،ما لم تعترف واشنطن بقصور وعودها وفى قدرتها على تحقيق الهيمنة فإنها ستدفع البلاد الى الإفلاس وإلى إثارة تمرد شعبى ضد التزامات أمريكا فى كل أنحاء العالم، (٦٦) . وفى الوقت نفسه يوجد إستراتيجيون حذرون من أمثال صمويل هنتنجتون يخشون ،السباحة المنفردة، ، ويفضلون التوازن الراسخ للقوى فى العالم(٦٧) .

أليس من الأفضل أن يسمح للقوى المستقلة أن تتعامل بحيادية بعضها مع بعض ؟ فلتتوازن الدول ،العظمى، فيما بينها، وسوف يكون بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية توطيد هذا التوازن لتصبح مدعاة للثقة أكثر من كونها دولة عظمى ، وذلك عن طريق الدفاع عن المصالح الأمريكية . ولتنفق الدول الاخرى مواردها ، عندئذ ستلقى الولايات المتحدة الأمريكية عن كاهلها أحمالا ثقيلة ، وستضمن قوتها الداخلية وطاقة إقتصادها وفكر جامعاتها ، وليس قيامها بالوظائف البوليسية الشاملة – مكانة لها فى المستقبل . يزعم د. هاس أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تلعب دور ،رجل الشرطة العالمى ، على أن تساندها دائما مجموعة من المساعدين، (٦٨) .

ويقترح تشارلز كويتشان اختيار الزعماء الإقليميين ، الذين لديهم الاستعداد أن يكونوا ،مساعدين لرجل الشرطة، . وهذا الأمر غير مطلوب فى أمريكا الشمالية ، فالولايات المتحدة الأمريكية ليس لها منافسون هناك ، ومن ثم يصبح بإمكانها أن تؤدى دور الزعيم الإقليمى بالمشاركة . أما فى أوربا ذات التنوع ، فإن هذا الزعيم الذى يلقى التشجيع فى أمريكا يجب أن يكون محوراً فرانكو أوربيا ، القلب الصناعى والسياسى للقارة التى عانت كثيرا . (يبلغ نصيب كل من ألمانيا وفرنسا ٨٠٪ من إجمالى الإنتاج الداخلى ، و٨٥٪ من إجمالى النفقات العسكرية للاتحاد الأوربى بأكمله)(٦٩) . ويمثل شرق آسيا حالة خاصة ففى الولايات المتحدة الأمريكية يفترضون ان آسيا لا تستطيع – رغما عنها – أن تقدم زعيما إقليميا مطلق الزعامة ومقبولا من الجميع ، واشنطن ليست فى عجلة من أمرها لتبلور هذه العملية . ،إن الدول الرئيسية فى هذه المنطقة تربطها علاقات سياسية وثيقة بالولايات المتحدة

الأمريكية، ولكنها لا تمتلك مثل هذه العلاقات مع بعضها البعض . وفي ضوء ذلك تأتي أهمية الوجود الأمريكي من أجل استقرار المنطقة ... وسوف يتعين على شرق آسيا أن يقطع شوطا طويلا من أجل تحقيق التضامن الإقليمي ... ›[٧٠]. ظلت اليابان لمدة طويلة هي المرشح لزعامة المنطقة . وفي التسعينيات من القرن العشرين كانت اليابان تنتج مايزيد عن نصف إجمالي الإنتاج الداخلي للمنطقة ، غير أن اليابان ، أولا: لا تمتلك إمكانات عسكرية كبيرة ، ثانيا : ليس هناك تضامن يجمع بين دول المنطقة (ويرجع ذلك في جزء منه لما خلفته الحرب العالمية الثانية) وثالثا : أن نهضة الصين تخفي في طياتها نتائج لا يمكن التنبؤ بها . وحتى الآن فإن أمريكا ليست مستعدة لمواجهة السيادة الصينية في شرق آسيا . وإن كانت تنتظر في أناة وصبر التطورات اللاحقة لأكبر دولة في المنطقة .

وعلى الرغم من أن التكتلات الإقليمية الثلاثة تمتلك إمكانات هائلة للقوة الكامنة فإن اللامركزية داخل هذه التكتلات تحد من قدرتها على تفعيل هذه القوة . أما الوجود العسكري والاقتصادي فيمنحها ضمانات محدودة . وسوف يسعى زعماء المناطق الثلاث لوضع قواعد اللعبة ويفترض ت. كوبتشان أنهم سوف يؤسسون مجلس إدارة عالمي يحل محل «مجموعة الدول السبع» ، وهذه ستتكون من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وفرنسا والصين ، وربما أيضا روسيا [٧١] .

سيبرز في المستقبل أنصار بناء توازن القوى . وبدون تكوين هذا التوازن سوف تضطر أمريكا لحل القضايا التي تستنزفها ؛ فالأهداف الأمريكية ينبغي أن تكون محدودة ، ومن الضروري لأمريكا «أن تضع مفهوما جديدا لمكانها في الغرب ولعلاقتها بالعالم الثالث وللعالم الذي كان يعتنق سابقا أفكار لينين» [٧٢] . يذكر أن المرشحين الجمهوريين السناتور فيل جريم والسياسيين بت بيوكينان وستيف فوربس عارضوا النشاط الأحادي الجانب أثناء حملة الرئاسة التي جرت عام ١٩٩٦ .

ويوصي رونالد ستيل أمريكا بالعودة إلى نصف العالم الذي تشغله ، وأن تدعم مواقعها على حدود المحيط وأن تنتهج نهج العزلة الرائعة لبريطانيا في القرن الماضي؛ فعلى أمريكا أن تداوي جراحها الداخلية ، وأن تصالح بين الطبقات والأعراق

والأجناس . وإذا كانت أمريكا راغبة عن استنفاد نفسها فى خضم تحقيق طموحاتها الهائلة ، فإن عليها أن تستنهض بداخلها شعور الاهتمام بالممكن ؛ إذ إن أكثر ما تحتاجه الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل هو الإحساس بالواقعية ، ومن ثم فإن عليها أن تتخلى عن سياسة الهيمنة العسكرية على المستويات العالمية ، وأن تترك لزعماء المناطق المختلفة حل مشكلاتهم الإقليمية ، وأن تتنازل عن ارتباطها المكلف بنفط الخليج ، وأن تبذل كل ما لديها من قوة من أجل رفع الإمكانات العالمية للمنافسة»(٧٣) .

فى ذروة الحرب العالمية الثانية طرح وولتر ليبمان صاحب الموهبة الرفيعة على الحكومة الأمريكية القضية الثالثة : «من الضرورى أن نوفى بالتزامات الأمة تبعا لمواردها ، محتفظين فى الوقت نفسه بالاحتياطى المهم لقدرتنا» ، وتحت تأثير الإحساس بنشوة القوة الجبارة أعلن الرئيس الأمريكى ترومان رسميا أن هدفه هو الهيمنة على العالم أى التراجع الحاسم عن قاعدة ليبمان ، أى : «التقنين المبتكر للتحالف الأمريكى» على حد قول تيودور دريبير . وقد بلغ الاستعداد للتدخل العالمى ذروته فى الكلمات الشهيرة التى صرح بها الرئيس كنيدى عندما قال : «إن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لتحمل أى عبء ودفع أى ثمن» .

لقد رأى ليبمان فى مذهب العولمة الذى طرحه ترومان سموم حملة صليبية أيديولوجية ليس لها حدود ، حملة لا يمكن وقفها ، كما يستحيل التنبؤ بنتائجها»(٧٤) . أما جورج كينان ، أبو سياسة العولمة الأمريكية نفسه ، فقد اضطر لأن يعترف – معبرا عن خوفه من استحالة دفع تكلفة الهيمنة على العالم – بأن هناك فى هذا العالم مشكلات لا يمكننا أن نحلها ، وكما أن هناك أعماقاً لا فائدة من سبر أغوارها وليس لها أثر واقعى ، فإن تلك المعضلات التى تحدث فى المناطق النائية ستجد لها حلا دون تدخل من جانبنا»(٧٥) .

يدخل الأمريكيون خفية وعلنا فى جدل مع بعضهم البعض ، وهم منعزلون فى شئونهم المهنية ، يشاهدون التليفزيون فى جو من الوحدة ، ويتسكعون عبر مواقع الإنترنت ، يطالعون المقالات فى الصحف باعتبارهم يمثلون أمة من الأنصار الحقيقيين للمذهب الفردى ، وهم قلما يتوصلون فى يسر إلى اتفاق حول قضية من

القضايا ، ناهيك عن الحديث عن المشكلات الحقيقية بشأن التورط الأمريكى فى الشئون الدولية . وإلى الآن ما تزال الأغلبية تتفق على ضرورة بقاء أمريكا «شرطى العالم» ، لكن الإجماع حول التضحية بالدم وبالثروات القومية من أجل قصة النظام العالمي ، هو إجماع لا يمكن الاتفاق الأبدى حول تعريفه . لا يقتصر الأمر على مجرد أن الهيمنة العالمية عالية التكلفة ، وإنما الأرجح أن هذه الهيمنة سوف تدخل فى تناقض مع المستقبل ، وكما يرى ديفيد رييف «فإن السيناريوهات التى تفترض أن معارضة النظام الاقتصادى العابر للقومية سوف تختفى مع الزمن ، هى سيناريوهات مستبعدة للغاية ... فكلما زاد فقدان الناس لوظائفهم بسبب النظام الرأسمالى الجديد والمؤثر ، كلما زاد ميل الناس نحو اتهام النظام العالمي الجديد بأنه وراء ذلك»[٧٦] . سوف تقابل الهيمنة فى طريقها حتما بالمقاومة ، ليس فقط من جانب العالم الخارجى المستقل ، وإنما من جانب الأمريكيين أنفسهم ، الذين ليس لديهم الاستعداد لدفع ثمن ظلوا يقبلونه طوال الستين عاماً الماضية ، ولكنه أصبح أقل قبولا فى كوريا ، ثم أصبح مرفوضاً فى كل من فيتنام ولبنان والصومال . إن إحساس المؤسسة العسكرية بالخيلاء يمكن أن يؤدى إلى اغتراب أهم الحلفاء وزيادة العنف عند الخصوم ، ويدفع بالقوة إلى غاية توترها .

مراجع الفصل الأول

1- Gaddis J.L.The Evolution of Containment //T.Diebel and j. Gaddis, Eds. Containing the Soviet Union. Washington .1987.P.1.

2-U.S. Budget,fy 1996. Washington.1996.Table 6.1.

3-Survival. Winter 1998/99.p.185.

4-Kupchan ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Integration, and the Sourses of a Stable Multipolarity//International Security Fall 1998. P .77.

5-The Military Balance, 1998/99. P .34 .table 6.

6-Steel R. A New Realism //World Policy Journal .1997. P .8.

7-Maynes Ch.W.Principled Hegemony//. World Policy Journal. 1998.P .31.

8-World Policy Journal. Fall 1996. p . 114-115.

9-Addis J.L The Tragedy of Cold War History // Diplomatic History. Winter 1993 P. 3-4.

10-Layne Ch. Rethinking American Grand strategy. Hegemony or Balance of Power in the Twenty-First Century? // World Policy Jounmal.Summer 1998.P.9

11-Quolaion from. No: pfaff W. Ronald Steel's post-Cold War America // World Policy Journal.Spring 1998.P.70

12-Danner M.Marooned in the Cold War .America, the Alliance , and the Quest for a Vanished World // World Policy Journal .fall 1997.P.3.Wpjf

13-Called D.A New Era of Overstretch ? American Policy in Europe and Asia//World Policy Journal .Spring 1998.P.14.

14-O'Hanlon M.How to be a Cheap Howk: The 1999 and 2000 Defense Budgets. Washington, 1998.p.4-5.

15-Krauthammer Ch.The Unipolar Moment // Foreign Affairs. America and the World 1990/91.P.23-33.

16-Nye J.Bound to Lead.N.Y.,1990.P.258-260.

17-Haas R.The Reluctant Sheriff : The United States after the Cold War.N.Y., 1997.

18-Waltez K. The Stability of a Bipolar World // Daedalus. Summer 1964 .P. 881-909; Deustsch K. and Singer D. Multipolar Power Systems and International Stability // World Politics . April 1964.P.390-406; Mearsheimer J. Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War // International Security Summer1990 P.5-56.

19-Van Fvera S. Primed for Peace. Europe after the Cold War // International Security. Winter 1990/91.P.5-57; Mastanduno M. Preserving the Unipolar Moment : Realist Theories and U.S Grand Strategy after the Cold War // International Security . Spring 1997.P.49-88.

20-Doyle M. Kant. Liberal Legacies and Foreign Affairs // Philosophy and Public Affairs. Summer 1983.P.205-235.

21-Bush G. and Scowcroft B.A World Transformed. N.Y., 1998P.566.

22-Tyler P.U.S. Strategy Plan Calls for Ensuring No Rival Develop// New York Times . March 8 . `1992

23-A National Security Straregy of Engage and Enlargement Government Printing Office . Washington . Feb . 1996 .

24-Albright M. The Testing of American Foreign Police // Foreign Affairs Novem ber - December 1998 . P . 59.

25-World Policy Journal . Spring 1998 .P .47 .

26- Albright M. The Testing of American Foreign Police // Foregn Affairs . November - December 1998.P.59

27-Albright M. The Testing of American Foreign Policy // Foreign Affairs Novem ber - December 1998 .P.61-62

28-B:Keohane R. After Hegemony . Princeton , 1984 . P. 31- 32

29-Diebel T. Stratengies befor Containment . Patterns for the Future // M .Lynn-Jones and S. Miller America's Strategy in a Changing Worlds .Cambridge , 1993.P.42

30-Cheney R. Defence Strategy For the 1990 's : The Regional Defense Strategy . W . P . 7

31-Art R. Why Western Europe Needs the US and NATO // Political Science Quar terly . Spring 1996 . P . 1-40 ; Betts R. Wealth . Power and Instability : East Asia and the US after the War// International Security.Winter 1993 / 94.P. 56-64.

32-Steel R.OP.cit P.7.

33-Doyle M. Kant. Liberal Legacies and Foreign Affairs // Philosophy and Public af fairs. Summer 1983. P.205-235.

34-Jervis R. The Future of World Politics //S.Lynn.Jones and S.Miller,eds.America's strategy in a Changing World.cambridge, 1993.P.17.

35-kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power , Regional Integration and the Sources of a Stable Multipolarity // International Security. Fall 1998.P.41.

36-Hyland W. The Case for Pragmatism // Foreign Affairs. America and the World 1991-1992.P.52 .

37-Maynes Ch. America without the cold w // foreign policy . spring 1990.p.18.

38-Harries O. Forteen Points for Realists //The National Interest.winter 1992-1993.P.110-112.

39-Waltz K. Theory of International Politics. Reading, 1979.P.151-160; Elman (ed.) Paths to Peace : Is Democracy the Answer? Cambridge, 1997; Brown M., Lynn. Jones S ., Miller S.(eds). Debating the Democratic Peace . Cam bridge, 1996.

40-Ennedy P. The Rise of Anglo-German Antagonism, 1860-1914. Boston, 1980.p.315.

41-Haas R. The Reluctant Sheriff. The United States after the Cold War. N.Y., 1980.P.25; Huntington S. The Clash of Civilizations; Luttwak E. The Enlarged American Dream.N.Y., 1993 Juergensmeyer M. The New Cold War ? Berke-ley, 1993; Choate.P Agents of Influence.N.Y.,1990.

42-Rieff D. Whose Internationalism, Whose Isolationism? // World Policy Journal. Summer 1996.P.3

43-Tuker D. Fighting Barameters. Summer 1998.P.70.

44-Steel R.op. cit. P.3.

45-Steel R.Op. cit P.3.

46-Khalidad Z. US Grand Strategies: Implication for the World // Z. Khalidad (ed). Stra tegic appraisal, 1996. Santa Monica. P.24.

47-Steel R. Op. cit.p.7.

48-Colin Gray .Do the Changes Within the Soviet Union Provide a Basis for Easid Soviet-american Relations? A Skeptical View /r. Jervis, S . Bialer (eds.) Soviet-American Relations After the Cold War Durham,1990.P.61-75.

49-Calleo D. A New Era of Overstretch? American Policy in Europe and Asia // World Policy Journal . Spring 1998.P.21.

50-Delpech Th. Nuclear Weapons and the "new World Order" : Early Warning from Asia?// Survival. Winter 1998-99.p. 74.

51-Colin S. Gray.The Continued Primacy of Geography// Orbis . Spring 1997.P.259.

52-Colin S. Gray. Op. cit.P.259.

53-Calleo D.A New Era of Overstretch? American Policey in europe and Asia // World Policy Journal. Spring 1998.p.19.

54-Layne Ch.Op.cit.P.10.

55-Haass R.Fatal Distraction: Bill Clinton's Foreign Policy// Foreign Policy.fall 1997.P.120

56-Diebel .T. op.cit. 564.

57-Rieff D.Whose internationalism, whose isolationism?//world policy journal. Summer 1996.P.6.

58-Ibidem.

59-Time. October 7, 1991.P .15.

60-Chase R., Hill E.,Kennedy P. Pivotal States And U.S. Grand Strategy// Foreign af fairs. January-February 1996.P.33-51.

61-Layne Ch. Op.cit. P. 20.

62-Kennedy P. The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Con flict from 1500 to 200.N.Y.,1987.

63-Layne Ch. Op. cit. P.22.

64-Kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Inteegration, and the Sources of A Stable Multipolarity// International Security. Fall 1998.p.42.

65-jarvis R. What Do We Want to Deter and How Do We Want to Deter it? // B. Eder ington, M. mazar (eds) . Turning Point: The Gulf War and US Military Strategy. Boulder, 1994.P 130.

66-Maynes Ch. W. "Principled Hegemon // World Policy Journal. P. 35.

67-Huntington S. America's Changing Strategic Interests // Survival. January-Fabruary 1991. P.3-17.

68-Haass R. The Reluctant Sheriff: the United States after the Cold War N.Y.,1980. P.122.

69-International Institute of Strategic Studies (IISS). The Military Balance. 1997-1998. P .46-100.

70-Kupchan Ch. After Pax Americana . Benign Power , Regional Integrating and the Sources of a Stable Multipolarity// International Security. Fall 1998.P.44.

71-Kupchan ch. After Pax Americana .P.74.

72-Jovitt k. The Leninist Extinction// Chirot D. (ed). The Crisis of Leninism and the Decline of the Left: the Revolutions of 1989. Seattle,1991.P.94.

73-Steel R. A New Realism // World Policy Journal. Summer 1997.P.9.

74-World Policy Journal. Fall 1997.P.14.

75-World Policy Journal. Summer 1996.p.10.

76-Rieff D. Op. cit. P.9.

الفصل الثانى

التوجه الروسى

عندما كتب جورباتشوف عن التفكير السياسي الجديد «من أجل بلادنا ومن أجل العالم بأسره» ، فإن التحولات الاستثنائية القائمة استطاعت أن تلقى بظلال كثيفة من الشك . لقد كان الأمين العام للحزب يكتب نثراً حزبياً تقليدياً، لكن أموراً لم يكن من الممكن في السابق تصور حدوثها، كانت تحدث بالفعل في البلاد - المصالحة بين العالم الأول والثانى. روسيا أكبر زعيم فى التاريخ لكل التكتلات المعادية للغرب تتخذ خطوات تمثل تضحية هائلة من أجل كسر الحواجز التى تفصل بينها وبين الغرب باعتباره مركزا للتكنولوجيا العالمية والتطور الإنسانى. وفى الفترة من عام ١٩٨٨ إلى عام ١٩٩٣ لم يجد الغرب أى اعتراض من جانب روسيا تجاه أى من القضايا المهمة المطروحة على الساحة الدولية ؛ إذ أصبح استعداد روسيا الجديدة للتعاون مع الغرب استعدادا مطلقا تقريبا.

وقد برز على الساحة مشهد تاريخى يندر أن يتكرر؛ فبغض النظر عن حالة الارتياب البديهية التى اعترت الخصم الغربى، والذى لم يتزحزح قيد أنملة عن الدفاع عن مصالحه القومية، فقد بدأت روسيا بكل نشاط وتفان، ودون أن تتعرض لأى قسر مادى ملموس، فى نزع سلاحها ذاتيا وعلى نحو يفوق الخيال. وسوف يتوقف مؤرخو المستقبل فى دهشة بالغة أمام معاهدة خفض الأسلحة التقليدية (١٩٩٠) وانهيار منظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادى. وقد يكون من المحتمل أن النزعة الروسية المناقضة للتاريخ بطبيعتها هى وحدها التى استطاعت أن تخلق هذه الإرادة الجبارة للتقارب مع الغرب، بعد أن ظلت على مدى أربعين عاما تنظر إليه باعتباره عدوها اللدود .

وأيا ما كانت التفسيرات التى لم يطرحها بعد العالم الغربى المخادع (على غرار أن سباق التسلح هو الذى أنهك روسيا، وأن الليبرالية انتصرت على الفكر الشمولى، وأن النزعة القومية سحقت الأيديولوجيا الاجتماعية ... إلخ) يظل القبول الطوعى من

جانب المجتمع الروسى كله تقريبا، من اليمين إلى اليسار لفكرة التقارب مع الغرب ومع طليعته الولايات المتحدة الأمريكية حقيقة لا تقبل الجدل. هذا القبول القائم على الأمل فى استكمال ما بدأه بطرس الأكبر فى أن تصبح روسيا جزءاً من الطليعة العالمية، وأن تشارك على نحو مباشر فى الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وأن ترفع من مستوى معيشة أبنائها ، وأن تحقق حرية الانتقال عبر القارات ، وأن تمد بصرها نحو آفاق مجتمع ما بعد التصنيع .

أربعون عاما ظلت روسيا تنظر على امتدادها إلى أمريكا عبر عدسات أقمار التجسس الاصطناعية ومناظير الغواصات وشاشات رادار منظومات الدفاع الجوى. وفى التسعينيات من القرن العشرين إذا ببندول التاريخ، الذى كان ساكنا، يتحرك حركة هائلة باتجاه الغرب مكتسحا فى طريقه الحزب الشيوعى السوفيتى، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وجمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية ، وجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ومنظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادى (ناهيك عن باقى المؤسسات والمنظمات الأخرى الأقل أهمية) . لقد باتت الحاجة ماسة لبناء صياغة جديدة للعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية أسماها الوزير كوزيروف بالشراكة الإستراتيجية، على أن وضع تعريف العلاقات الثنائية من جانب واحد فقط كان أمرا غريبا، كما كان مراقبة سعى الدوائر الروسية الراديكالية ذات النزعة الغربية لإصدار مرسوم خاص لإدخال روسيا ضمن دول العالم الغربى بدا أمرا غريبا أيضا، كما كان غريبا فوق هذا وذاك افتراض أن واشنطن سوف تؤيد أى نوع من أنواع الثنائية القطبية، فى الوقت الذى راح فيه هذا القطب الثانى فى تدمير ذاته على نحو دراماتيكى.

إن الأحداث الاستثنائية التى وقعت على تخوم الثمانينيات والتسعينيات قد حسمت المواجهة، لكن بندول التاريخ الروسى لم يبلغ القمم الثلاث التى كانت روسيا الجديدة تأمل فى الوصول إليها وهى: الوصول إلى عرش تكنولوجيا الحضارة، رفع مستوى المعيشة، حرية انتقال المواطنين الروس عبر دول العالم. على أنه ومهما بلغ نطاق حركة البندول، فلابد له من العودة فى الاتجاه المعاكس. ونحن نعيش الآن فى عالم

الحركة العكسية للبندول من «النزعة الإنسانية الكونية» باتجاه إدراك ما عليه العالم من أنانية، وعدم جدوى مساعى المصالحة، وسذاجة المعتقدات النابعة عن الإيحاء الذاتى، وصلابة المصالح القومية وسيادة المنفعة الذاتية للعالم الخارجى.

اكتشفت روسيا وبسرعة فائقة أن الشيوعية لم تكن هى العائق الوحيد فى طريق تقاربها مع الغرب؛ فهناك الأرثوذوكسية وأسلوب العمل الجماعى وأخلاقيات العمل وغياب المؤسسات والخبرة التاريخية المختلفة وأسلوب التفكير المختلف عن أسلوب التفكير الغربى وتباين وجهات النظر بين النخبة والجماهير، كل هذا وأكثر منه أريك كل دعاة النزعة الغربية، الذين رأوا مصاعب بناء رأسمالية عقلانية فى مجتمع غير عقلانى وإنشاء سوق حرة فى مناخ خواء السلطة ومركزية العمل فى ظروف الابتعاد عن فلسفة المنافسة.

لاشك أن القوة الهائلة للقصور الذاتى كان لها دور هنا؛ ففى عالم «الأحادية القطبية» استمرت واشنطن تؤدى دورها لمدة طويلة كما لو كانت هناك فى أعماق أوراسيا نقطة ارتكاز أخرى للنظام الدولى، وكما لو كان الجسر الممتد بين القوتين العظميين لم يسقط بعد، وكما لو أن الديموقراطية الروسية الجديدة غير المعروفة ستظل تنظر دائما وأبدا نحو معيار الديموقراطية فى شمال أمريكا بعيون كوزيروف. وبخروج هذا الوزير (الذى وصف الديموقراطية بأنها أعظم قيمة، بينما راح يتصرف تبعا لأفضل تقاليد الوعى الشمولى متفقا مع رأى واحد هو رأى الكرملين) انخفضت سرعة القصور الذاتى، التى كانت قد استمرت طويلا بسبب التنازل الدائم لأحد الطرفين.

لقد دخلت العلاقات الأمريكية الروسية مرحلة جديدة . وفى الوقت الحالى يتشكل فى عاصمتى الدولتين – واشنطن وموسكو – معيار جديد للعلاقات الثنائية سيصبح هو المعيار السائد فى القرن الحادى والعشرين ، وحتى نفهم السياسة الأمريكية تجاه روسيا، ينبغى أن ننظر إلى الصراع الدائر فى الولايات المتحدة الأمريكية بين ثلاثة مفاهيم «للظاهرة الروسية» سوف تتشكل سياسة واشنطن تجاه روسيا من خلال تصادمها بعضها ببعض .

أولوية الأيديولوجيا

ينطلق المفهوم الأول من رؤية الخصم لا فى كونه روسيا أو الشعب الروسى، وإنما فى كونه الشيوعية - العقيدة والتطبيق، اللذين ارتبطت بهما روسيا بعد سلسلة من الفشل الذى منيت به فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وفى حالة الإنهاك التى آلت إليها بحلول عام ١٩١٧ يصف مايكل ماكفول المختص فى الشئون الروسية المعاصرة هذا الوضع قائلا: «إن النظام الشيوعى السوفيتى - وليس روسيا باعتبارها دولة أو الروس باعتبارهم شعبا - كان يمثل تهديدا للمصالح القومية لأمريكا إبان الحرب الباردة.. وقد أدى انهيار الشيوعية - وليس براعة الدبلوماسية - إلى تطور هائل فى القضايا الخلافية الأساسية» (١).

يمكننا أن نسلم أن الشيوعية كانت وراء العنف المتبادل ، على أنه فى تلك المرحلة كان من الصعب تفسير عدد من الظواهر. فبادئ ذى بدء أدت الدبلوماسية تحديدا، وليس على الإطلاق انهيار الشيوعية (الذى وقع فيما بعد) إلى توحيد ألمانيا وإلى تراجع الاتحاد السوفيتى عن تفوقه فى مجال الأسلحة التقليدية، ثم انهيار منظمة اتفاق وارسو وسقوط الاتحاد السوفيتى، وكل هذا لا يمثل الأمر الرئيسى: إن الديموقراطية الروسية الشابة، التى تخلصت من الفكر المسموم لم تشعر بالتغيرات التى وقعت فى العلاقة من جانب أولئك الذين كانت الشيوعية تعوق قيام صداقة معهم، ولم تقبل خطة مارشال ، وظلت مرفوضة من جانب المؤسسات الكبرى فى الغرب. وبالإضافة إلى هذا بدأت أمريكا، منذ يناير ١٩٤٤ ، فى مد حلفها العسكرى الرئيسى باتجاه حدود روسيا الديموقراطية لا روسيا الشيوعية؛ فما الذى دفع بأمريكا لاتخاذ هذه الخطوة وقد لفظت الشيوعية أنفاسها بالفعل ؟

وفى سياق ذلك فقد أصبح الشيوعيون البولنديون والمجريون شركاء للولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح من غير المقبول أن تفرض أمريكا حمايتها على روسيا الديموقراطية (لا على المجر برئيسها الشيوعى)، روسيا الساعية للدخول فى الاتحاد الأوربى والمدعوة للدخول فى حلف الناتو ومنظمة التجارة العالمية واتفاقية الجات الجديدة، وكذلك فى سياق دخولها كعضو حقيقى فى «منظمة الدول الصناعية

السبع. عشرات المليارات من الدولارات قدمت سابقا إلى حكومة الاتحاد السوفيتي الشيوعية، بينما تقدم الآن مبالغ متواضعة إلى روسيا الديموقراطية وعلى هيئة قروض. من هنا ندرك لماذا تراود أصحاب التوجه الغربي الثابت في مقولة أن النظام الشيوعي هو الذي كان وراء إعراض الغرب عن روسيا.

لقد راح أصحاب المفهوم الأيديولوجي ينتظرون ما وعدهم به الإصلاحيون الراديكاليون الروس وعلى نحو بالغ التبسيط: تغيير ثقافة المجتمع والتحول الراديكالي عن الفكر الاشتراكي وإدخال علاقات السوق الجبارة. على أن الفشل الذي منيت به هذه السياسة خلق إحباطا يسهل تفسيره تماما؛ فالولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تشعر بعدم الرضا تجاه أمور ثلاثة على الأقل:

١-لم تنشأ في روسيا ولم تتكون بها سوق حقيقية وفقا للقواعد الكلاسيكية للعبة البورصة، سوق يحيطها مناخ من المنافسة القوية والشركات الرأسمالية العملاقة، وتتسع فيها الملكية الخاصة بشكل فعلي مع انفتاح البلاد على العالم الخارجي، كما لم تسن التشريعات الثابتة، التي تضمن المشاركة الكاملة للشركات الأمريكية. كل ما هو قائم الآن ليس هو ما يمكن أن نسميه بأقتصاد السوق الناضج، وهو ما تدل عليه المشاركة الضعيفة فيه من جانب المنتجين الأمريكيين (وغالبهم من الدرجة الثانية مثل «بيبسي كولا»، والسجائر، والوجبات السريعة) أما الصناعة الأمريكية العملاقة فلم تدخل بعد إلى الفضاء الروسي بسبب انعدام التشريعات المضمونة وعسف البيروقراطية والجريمة السافرة. ومن ثم «فاللوبي الروسي» في واشنطن بات عديم الفعالية (خلافا «للوبي الصيني» النشيط على سبيل المثال). لم يتحقق الفردوس الاقتصادي، ولم يأتِ الغرب البعيد إلى روسيا، التي انكمشت فيها السوق بدلا من أن تتسع، ولم يتحقق التبادل المطلوب.

٢- لم ترقَ الديموقراطية الروسية إلى المعايير الغربية؛ فروسيا لا تمتلك حزبا واحدا على الطراز الغربي، ولم يتم فيها الفصل بين السلطات الثلاث؛ فالسلطة القضائية لا تتمتع بالاستقلال (عن عمد)، بينما تتمتع السلطة التنفيذية - وفقا لدستور ١٩٩٣ - بصلاحيات واسعة تفوق صلاحيات السلطة التشريعية. إن تجاوزات، مثل

تلك التى وقعت عام ١٩٩٣، وانتصار اليسار فى انتخابات ديسمبر عام ١٩٩٥، والفشل الذريع فى التسوية الإقليمية فى الشيشان، قد زلزلت النظام السياسى الروسى الجديد، بعد أن أفقدته أشكاله الكاملة سواء على المستوى الإقليمى (اتحاد الدول المستقلة، اتحاد الجمهوريات السوفيتية، معاهدة الدول الأربع) أو على المستوى السياسى (لم يؤسس الديموقراطيون حزبا جماهيريا له أيديولوجيته الخاصة) أو على المستوى العسكرى (عدم التصديق على معاهدة ستارت- ٢). لقد تبين أن آمال ١٩٩١ فى التوجه المندفع نحو الديموقراطية وإقامة روسيا مستقرة موالية للغرب لم تكن سوى آمال مبالغ فيها.

٣-بعد عدد من السنوات (١٩٨٨ - ١٩٩٣) رأيت فيها روسيا تقول «نعم» دون انقطاع، أصبحت تقول لأمريكا لاتجاه ما يحدث على الساحة الدولية. لقد برزت عدة نقاط للخلاف حول قضايا بعينها ؛ فالأمريكيون يرون أن روسيا ما تزال تبيع أسلحتها بشكل أساسى إلى «الدول التى لا ينبغى أن تباع لها» (محركات التبريد للصواريخ الهندية على سبيل المثال)، كما أنها راحت تخالف الرؤية الأمريكية لنظام انتشار الأسلحة عن طريق عقد صفقات تلتزم بمقتضاها ببناء محطة للطاقة الذرية فى إيران، واتخذت موسكو كذلك موقفا مستقلا تجاه الأزمة اليوغسلافية، كما أخذت الرياح الوحدوية لعدد من أصحاب النزعة التكاملية فى موسكو فى تهديد سيادة «الحدود القريبة»، منبئة عن محاولات لإعادة أسس الدولة العظمى السابقة ذات الرؤية التوسعية فى العالم.

وتبعا لتقدير مايكل ماكفول فقد ظهرت التناقضات التالية أولا: «معاهدة الحد من التسليح المعروفة باسم ستارت - ٢، توسيع حلف الناتو، التجار مع كل من إيران والعراق، القانون الروسى الجديد الصارم، الذى يفرض عقوبات على نشاط أديان بعينها. إن هذا البرنامج القديم لا يعبر إلا عن أن محيط الشراكة الإستراتيجية لما بعد الحقبة الشيوعية بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا لم يتحدد. ومن جديد تتردد الحجج التى تقول أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا مقدر عليهما ببساطة أن يظلا خصمين، ويفترض ممثلو هذا الرأى أن الأزمة الاقتصادية هنا، فى روسيا سوف

تدفع إلى سدة الحكم فيها بزعماء روس من المعادين للغرب، الأمر الذى سيضطر العالم الغربى بسببه مرة أخرى أن يعمل على وقف تهديد روسيا للأسواق وللديموقراطية... أما إذا لقيت الديموقراطية والرأسمالية هزيمة هنا فسوف يتضاعف عندئذ عدد القضايا الجدلية بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وسوف تظهر تهديدات جديدة للأمن الأمريكى(٢).

إن الأثر التراكمى للعمليات سالفة الذكر قد حطم فى واشنطن ما أسماه كوزيروف بغطرسة زائدة بالشركة الإستراتيجية، لقد انقشعت الأوهام المتعلقة بالمرونة المضمونة من جانب روسيا، واتضحت الحقيقة أمام الإستراتيجيين الأمريكيين أكثر قسوة وفظاظة مما كان متوقعا. لا يقع الذنب فى عدم تشكل النظام العالمى الجديد على كاهل روسيا، ولكن يرجع السبب إلى أن عدم الاستقرار الروسى قد أضاف الاضطراب إلى مجمل الصورة.

أما ممثلو المدخل الأيديولوجى (ب. رادوى ، ر. ستار ، ر. بايبس ، إ. لوتفاك، أ.لاكير) الذين سبق لهم أن دافعوا عن طريقتهم فى حل المشكلة الروسية فى ظروف هزيمة الشيوعية، والذين لم يكن لديهم أى خوف من الشيطان الأحمر، فقد راحوا يرجعون السبب إلى الفروق الحضارية (بعبارة أخرى أصبح من العسير عليهم تفسير صعوبة التحول الرأسمالى لروسيا) . ومع نهاية التسعينيات أصبحت الفكرة الأساسية والمسلم بها لهذه المدرسة تتلخص فى أن هدف الناتو وحلف الأطلنطى لم يكن مجرد الدفاع عن الغرب ضد الاتحاد السوفيتى ، وإنما كان الناتو يمثل أيضا حائط الدفاع عن الغرب ضد الشرق ، أو – إذا شئنا الدقة – عن الحضارة الغربية ضد تخلف الشرق وضد الاستبداد والبربرية . لقد ارتبط تشكيل الناتو بشكل وثيق وبصورة شرعية واضحة بانتشار فكرة الحضارة الغربية وبإدخال المناهج الأكاديمية للجامعات الأمريكية ،(٣). لقد حاول جيمس كورت أن يربط المثالية بالواقعية، وقد تحدث عن التفاعل الوثيق بين كل من: ١) فكرة الحضارة الغربية، ٢) المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية، ٣) مسألة العضوية فى حلف الأطلنطى (٤) .

نعم، انهارت الشيوعية، ولكن بقى الاختلاف بين الغرب واللاغرب - وهذا الاختلاف هو مفتاح تحديد الإستراتيجية الأمريكية. إن روسيا الحالية التى استدارت ألف كيلو متر باتجاه الشرق ليست على الإطلاق - كما تدل على ذلك خبرة التسعينات التى لم تحقق قدرا كبيرا من النجاح - جزءاً من الغرب يبشر بالقوة، وإنما المبشر هو خصمها.

أولوية الجيوبوليتيكا

إذا كانت نهاية الشيوعية لم تجعل من أمريكا وروسيا صديقين، فإننا مضطرون للجوء إلى التفسير الثانى، الذى طرحه المحللون الغربيون للسياسة الروسية فى واشنطن. يا لها من غبية ، هذه الجيوبوليتيكا ! لقد قام اثنان من أبرع المختصين فى الشئون الروسية (الحجج الإستراتيجية الأمريكية المتعلقة بها) وهما دانيال يرجن وتاين جوستافسون بتحديد المدخل الإستراتيجى الرئيسى لواشنطن بشكل واضح على النحو التالى: إذا ما استعادت روسيا قوتها الاقتصادية والسياسية فسوف تصبح خصماً ومنافساً للولايات المتحدة الأمريكية، ولن تكون هذه المنافسة منافسة أيديولوجية ، وإنما منافسة بين دولتين عظميين، (٥). وإذا كان هناك أحد ما بحاجة إلى تعريف واسع الانتشار لمثل هذه الحجج ؛ فإننا سنعتمد هنا على أفكار كل من وليم أوروم وكولين جراى وإلى الكتاب السادس والثلاثين الذى ألفه بيجينسكى بعنوان «لعبة الشطرنج الكبرى» ، والذى أصبح (بفضل سرعة الترجمة) فى متناول القارئ الروسى. إن الفكرة الرئيسية التى يستند إليها كل من ينظر إلى روسيا بارتياب - مهما كانت نزعته السياسية - تتلخص فى أن الواقع الجيوبوليتيكى ، وليست الأيديولوجيا ، هو الذى أصبح يحدد قواعد السياسة العالمية ؛ فإذا كان أساس سلوك الولايات المتحدة الأمريكية فى العالم هو الجيوبوليتيكا ؛ فلنحاول إذن أن نحلل الثوابت الأساسية لها .

لقد تراجعت مكانة روسيا فى الترتيب العالمى الجديد للقوى ، ولكن لا إلى حد التبعية لمن هم أكثر قوة دون أمل فى استعادة مكانتها؛ فروسيا ما تزال على أية حال تحتفظ بالكثير من ميراث الاتحاد السوفيتى. وهى - فالداخل - عضو دائم فى مجلس

الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة، وتمتلك تأثيرا على جيرانها الأقربين، وهى طريق لعقد الصداقة مع الدول الكبرى. أما فى الداخل فهى السيف الصاروخى النووى فى يد شعب صبور للغاية ، شعب لم يدلله التاريخ أبدا . كل هذا أتاح لها حرية اختيار الطريق وتكوين التحالفات وعقد اتفاقات الشراكة. ومن المستحيل أن يغير أى شكل من أشكال «المرونة» الموالية للغرب من جانب الصفوة الروسية – بين عشية وضحاها – تلك الظروف، التى تعد جزءا لا يتجزأ من التركيبة الوراثية القومية: رفض التبعية على الإطلاق، قبول أى شكل من أشكال التضحية من أجل الحصول على مكانة مستقلة فى التاريخ، من أجل حرية الاختيار فى المستقبل، أو من أجل الاحتفاظ بهذا الاختيار للأجيال القادمة. لقد بدأت موسكو على مهل، ولكن بثقة، فى التخلص من الأوهام العجيبة. أما ذوى النزعة الغربية _دون قيد أو شرط – فقد بدأوا فى التنحى لهؤلاءالذين لديهم رؤية أوضح للمصالح القومية ؛ فهم لم يروا فى الغرب سوى الولايات المتحدة الأمريكية التى تؤكد مكانتها كزعيم .

لقد طرحت عملية توسيع الناتو فى آنٍ واحد مع زيادة عدد أعضاء الاتحاد الأوروبى بكل حدة قضية الأوروبيين الذين لا يولون اهتماما كبيرا لهاتين العمليتين، إضافة إلى القضية الخاصة بالمكانة الحقيقية التى تشغلها روسيا داخل أوربا. ترى ما هذه المكانة ؟ إن الغالبية فى الغرب ببساطة لا يمكنهم تجاهل أكبر دولة أوروبية. دعونا نتفق على رأى هذا الإنجليزى الرصين جوناثان هازلم الذى يقول: «إن مسألة إبعاد روسيا إلى الفناء الخلفى لأوربا هى حقيقة لا يمكن إنكارها، مهما حدث من تلاعب بالألفاظ من أجل إخفائها» (٦) .

مع مطلع القرن الحادى والعشرين وقف أصحاب الاتجاه الواقعى – انطلاقًا من الحقائق الجيوبوليتيكية – أمام حقيقة مفادها أنه إلى جانب «العظماء غير المشهورين» الثلاثة، البعيدين عن سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وهم: الصين الكونفوشيوسية، وجنوب آسيا الهندوسى ، والعالم الإسلامى (وهؤلاء يتجاوز تعداد كل منهم مليار نسمة) هناك دولة تقع فى شمال القارة الأوربية الآسيوية، دولة فقدت اثنين من حلفائها: دول اتفاق وارسو ودول الاتحاد السوفيتى السابق، وهذه الدولة هى روسيا.

وبالطبع فإن أى دولة تشعر بالعزلة سرعان ما تسعى لإيجاد مخرج منها . وفى هذا الصدد فإن روسيا ليست أفضل ولا أسوأ من الدول التى جرى إقصاؤها أو تجاهلها. ومن الصعب على المرء ألا يكرر هنا القاعدة القديمة التى تقول إنه لا ينبغى دفع الدول العظمى إلى الزاوية. إن انتقال روسيا إلى طائفة المنبوذين من شأنه أن يضاعف من دلالة أربعة مخاطر محتملة اكتشفتها واشنطن فى سياق ترتيبها للقوى العالمية (٧).

١) فقدان الهيمنة على أوراسيا؛ فبعد خمسة حروب (اثنان منها فى أوربا وثلاثة فى آسيا) فقدت الولايات المتحدة قادتها المتآزرة فى القرن العشرين ، وإذا بها – على حد تعبير جيمس بيلينجتون، رئيس مكتبة الكونجرس والمتخصص فى الشئون الروسية – أمام جوهر نفس المعضلة التى تغلبت عليها بريطانيا فى القرن التاسع عشر أثناء الحروب القرية التى خاضتها منذ عام ١٩٤٩ والمحاور والمثلثات (موسكو – بكين، موسكو – دلهى – بكين) وغيرها، تثير الخوف لدى الأمريكيين. من هنا ندرك السبب وراء حدة رد الفعل الأمريكى تجاه التقارب بين الدول غير الغربية بعد أن وضعت الحرب الباردة أوزارها .

٢) تطوير وانتشار أسلحة الدمار الشامل ؛ فعلى الرغم من أن الحرب الباردة أصبحت فى حكم المنتهية. وعلى الرغم من أن الأسلحة الروسية التقليدية قد أصابها الضعف الشديد، فإن روسيا – كما يذكرنا بذلك بيلينجتون – ما تزال تمتلك مع هذا القدرة على توجيه ضربة إلى المراكز السكانية وإلى البنية التحتية لأمريكا الشمالية، ناهيك عن أن الدول غير الخاضعة للقانون الدولى بإمكانها أن تحصل على جزء من الترسانة الروسية، (٨) . يمكن القول إن القوى الإستراتيجية الروسية ما تزال هى الترسانة الوحيدة على ظهر الأرض القادرة على تدمير أقوى دولة فى العالم (وعلى تدمير نفسها أيضا بداهة)، وعلى هذا فإن عدم التصديق على معاهدة ستارت – ٢ من شأنه أن يجمد عملية الخفض الأمريكى الروسى لمستوى المواجهة العسكرية بينهما. ومع الرغبة المتصاعدة لدى أمريكا فى إنشاء نظام الدفاعات المضادة للصواريخ، تجرى إعادة النظر فى معاهدة حظر إنشاء دفاعات مضادة للصواريخ

باعتبارها أساسا قويا للاستقرار بين الدولتين. إن انهيار الاقتصاد الروسى يدفع إلى عدد قليل من الحلول المتاحة أمامها للحصول على العملات القابلة للتحويل. وأحد هذه المصادر هو المساعدة المكثفة للدول الراغبة فى زيادة قوتها العسكرية، بعبارة أخرى فإن القيام بتسليح الدول، التى تتيح سيادتها لها إمكانية الإفادة من الوسائل العسكرية على نحو مستقل يوفر لروسيا دعامة من دعامات قوتها الدبلوماسية.

٣) طبيعة الهوية القومية للدولة الروسية. إذا اعترفت روسيا بأن من يعيش داخل حدودها هم فقط مواطنوها، وسلمت بما آل إليه مصير أصحاب الأرومة الروسية الذين يعيشون خارجها، فإنها بذلك ستصبح - وعلى نحو موضوعى - المحافظ على الوضع القائم STATUS QUO الذى تشكل فى التسعينيات ، أما إذا قبلت الوصاية على ٢٥مليون روسى يعيشون فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، أى إذا ما وضعت نفسها موضع ولى الأمر الفعلى لهم فإنها يمكن أن تتحول عندئذ إلى دولة «تحريفية».

٤) يمكن لروسيا أن تعود لأداء دورها الاجتماعى السابق باعتبارها نصيرا للمذلين والمهانين. وعلى ضوء الانفجار الديموجرافى العالمى فإن روسيا قد تسعى لاعتلاء موجة الاضطرابات الاجتماعية فى الجنوب الذى فقد أوضاعه فى سياق مطاردته للحداثة ومواجهته «للمليار الذهبى» ؛ أى مجموع دول الشمال الصناعية الغنية. إن هذا التغير يمكن أن يحول المواجهة بين الشرق والغرب إلى تناقض لا يقل عن التناقض القائم بين الشمال والجنوب . وقد تتمكن روسيا من استغلال العنف لدى هذه الدول المهمشة تاريخيا؛ فالكراهية العرقية التى ظهرت بشكل واضح فى نهاية القرن العشرين يمكن أيضا أن تزداد شدة بفضل الكراهية الاجتماعية، التى بدأت فى الظهور على خلفية ارتفاع قيمة الموارد الطبيعية العالمية، والتى أصبح امتلاكها سلاحا فى يد المحرومين.

إن المخاطر الأربعة السابقة تزداد اقترابا من الواقع، كلما ازداد الوضع الاقتصادى لروسيا بؤسا، وكلما ازداد إحساسها بالمهانة القومية يأسا، وكلما ازدادت سياستها فى التأييد العرقى لروس الشتات تهورا. ومن الناحية التاريخية فهذه ليست بالمرة الأولى التى تبحث فيها روسيا عن طريق للخروج من أزمتها القومية ، وقد كان النجاح حليفا لمحاولاتها السابقة.

المفهوم الثالث (التهادني) ، وينطلق من أن أمريكا لا تخشى روسيا الاتحادية القومية، الواثقة في ذاتها أكثر من خشيتها روسيا الضعيفة التي تحتفظ مع ما يعتريها من تدهور بقوتها النووية. هنا تصبح الحلول العسكرية غير ذات جدوى . «إن الردع والعزل والاستخفاف بتطور المؤسسات في روسيا إنما هي سياسة من شأنها أن تحول الثورة الروسية إلى تهديد للأمن الأمريكي» [٩] . هذا هو المفهوم الذي يتبناه جورج كينان أكبر المتخصصين الأمريكيين في الشئون الروسية ويشاركه فيه من العاملين في هذا المجال من أمثال جون لويس جيديس وتشارلز كوبتشان . ومن أجل تفادي تحول روسيا إلى دولة منبوذة من المجتمع الدولي وإلى «أرض لا تخص أحداً» بين شرق آسيا الناهض وغرب أوربا بتأثيره الممتد حتى الحدود الروسية، يقترح الخبراء الأمريكيون العمل على المحورين الآتيين:

أولاً: من الضروري الأخذ في الاعتبار أنه إذا ما جرى استثناء روسيا من التشكيلات الرئيسية سواء في الشرق أو في الغرب، فإنها سوف تضطر عندئذ وببساطة أن تعكف على أن تبني مركز القوة الخاص بها [١٠] ، وعندئذ هل ينبغي التصدي لها؟ على العكس، فإذا كان الغرب يرفض وجود روسيا داخل الاتحاد الأوربي والناتو، فإن عليه أن يمد يد العون إليها في إعادة بنائها الذاتي، وذلك عن طريق تعميق دور اتحاد الدول المستقلة (الكومنولث) والسماح بتعزيزه اقتصاديا في المقام الأول وعدم إثارة المخاوف في سياق ذلك؛ فالكومنولث سيبقى حتى مع كل جهود أصحاب الدعوة للتكامل مجرد اتحاد كونفيدرالي . عندئذ فإن تقارب الغرب مع روسيا (لا ابتعاده عنها) سوف يستمر. وعندئذ أيضا فإن أوربا كلها في القرن الحادي والعشرين سوف يمكنها - كما كتب في هذا الشأن كل من آلفين روبنشتاين ونيكولاي بترو - أن تتجنب تدريجيا (إذا استمرت حيوية المؤسسات الديموقراطية في روسيا وفي دول غرب الكومنولث) آثار نظام الثنائية القطبية والمواجهة بين الشرق والغرب (مع وجود وسط أوربا باعتباره منطقة عازلة)، كما أنها ستتحول إلى منطقة واحدة للتجارة الحرة والأمن بمقتضى ميثاق أوربا الجديدة... وهنا علينا ألا نعزل روسيا على نحو متكلف ، بل يجب أن تصبح جزءا متكاملا مع أوربا[١١] .

إن روسيا – مع كل ما تعانى منه من اضطراب وعدم استقرار – تعد موضوعيا قوة اقتصادية رئيسية ترتبط بها وإرادات الغاز (كحد أدنى) كما يرتبط بها التطور الاقتصادى لكل منطقة شرق آسيا (كحد أقصى). إن هذا وحده كفيل – فى رأى بترو و روبنشتاين – بأن يحفز إعادة التكامل ويضفى الشرعية على مطالب موسكو، لكى تتم معاملة الروس الذين يعيشون خارج روسيا الاتحادية دون تمييز؛ فمن حق روسيا أن تدافع عن حقوقها (١٢) .

يرى بترو و روبنشتاين أن التعداد الحديث للسكان بنهاية القرن العشرين يجب أن يؤكد أو ينفى وجود «عدد ٢٥مليون روسى يعيشون خارج روسيا، وبهذا فإننا نخطو خطوة تجاه حسم الجدل حول حق موسكو فى تجاهل سيادة الدول الأخرى والتدخل فى شئونها لصالح هؤلاء الروس» (١٣).

سوف يلعب النمو الاقتصادى لبلدان هذه المنطقة دورا حاسما بالإضافة إلى أن الاكتفاء الذاتى فيها سوف يحفز أيضا عملية الاستقلال السياسى لعدد كبير منها؛ فروسيا لن تسعى إلى «بعث الإمبراطورية» ، وإنما ستكتفى بفرض هيمنتها على المنطقة السوفيتية سابقا.

ثانيًا: يشير أنصار التقارب التدريجى بين روسيا والغرب إلى ضرورة فتح أبواب الاتحاد الأوروبى وحلف شمال الأطلنطى – بشكل أو آخر – أمام روسيا، مواجهين بذلك خصومهم الفكريين، الذين يولون اهتمامهم الأكبر للجانب الجيوبوليتيكى متغاضين تماما عن الجانب الأيديولوجى. إن انضمام روسيا إلى حلف الناتو قد يفتح السبيل إلى تحويل الحلف من منظمة للدفاع الجماعى إلى منظمة للأمن الجماعى. يفترض تش . كوبتشان أن انضمام روسيا للناتو سوف يخلق فى أوربا مركزين كل منهما يخلق توازنا مع الآخر، أحدهما فرانكو ألمانى والثانى روسى، الأمر الذى يحقق نظاما جيوبوليتيكيا أكثر استقرارا، من شأنه أن يخفف من حدة اندفاع عدد من الدول نحو التفوق ، وهو ما قد يتيح إمكانية منع تكون توجهات انفصالية جديدة، ويتفادى المشاعر العدوانية لدى روسيا إذا هى ظلت خارج الناتو (١٤) .

إن على الدول الكبرى أن تتخلى عن مخاوفها، و إلا أصبحت منفصلة بعضها عن بعض بعازل من هذه الكتلة الأرضية المهمة. «إن انضمام روسيا إلى أوربا لن يؤدى

إلى انهيار الاتحاد الأوربى، على الرغم من أنه يمكن أن يضعف قليلا من شأن القوى الجاذبة فيه نحو المركز... إن انضمام روسيا إلى أوربا يجب أن يصبح الموضوع الرئيسى على جدول الأعمال اليوم ؛ فالدول التى يتم استثنائها من مثل هذه العمليات، تظل تسعى دائما لتغيير القواعد الجيوبوليتيكية، (١٥). وقد يفهم استثناء روسيا من العمليات التكاملية الجديدة بأنه إعلان للعدواة تجاهها بدرجة خطيرة. إن الدول التحريفية فى العالم النامى، خاصة تلك الدول التى تمتلك أسلحة الدمار الشامل وكذلك الدول المهيمنة على مقدرات الأمور فى مناطقها بفضل ، مساحتها وتعداد السكان فيها، يمكن أن تغير من الوضع الراهن . STATUS QUO (١٦) .

و يعترف أنصار هذا التوجه بأن الاتحاد الأوربى والناتو ليسا على استعداد فى الوقت الحالى لضم أى دولة من خارج أوربا المركزية إلى صفوفهما أيا كانت هذه الدولة ، وذلك خشية فقدان فعاليتها نتيجة تجريف تماسك هذه الصفوف . على أن وصد الأبواب تماما أمام روسيا قد يعنى استفزاز أسوأ التحولات فى مسار الأحداث.

الإحباط الروسى

تعتبر التغيرات التى حدثت فى موقف موسكو وفى رؤاها وأهوائها فى الفترة من ١٩٩١إلى ١٩٩٣تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها النموذج والمانح والصديق، أكثر حدة من كل العمليات الموضوعية والتغيرات الذاتية التى حدثت فى الولايات المتحدة الأمريكية. ويمكننا فى هذا الصدد أن نقول - بشىء من التعميم - إن روسيا شعرت بفقدان هيبتها بسبب تضحياتها فى السنوات من ١٩٨٨ إلى ١٩٩١، وأنها أصبحت مرفوضة باعتبارها شريكا متميزا ، وأن طموحاتها لإقامة علاقات خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية هى طموحات لا تجد اعترافا بها. ينبغى أن نحدد هنا خمسة عوامل ملموسة هى:

١) لم تقدم الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة المكثفة والهادفة لهذه المنطقة الآخذة فى التحول نحو الديموقراطية خلافا للوضع الذى كان قائما فى الأربعينيات والخمسينات من القرن العشرين. لم تضع «خطة مارشال» (١٧مليار دولار عام ١٩٥١ أى ما يعادل ١٠٠مليار دولار بالأسعار الحالية) روسيا ضمن أهدافها؛ فعندما

أنقذ الأمريكيون الديموقراطية في أوربا الغربية كان باستطاعتهم التصرف بمزيد من الكرم. وكانت خطة مارشال تعادل آنذاك ٢ ٪ من إجمالي الإنتاج الأمريكي، بينما تمثل قيمة المساعدات التي تقدم إلى روسيا ٠,٠٠٥ من الإجمالي الحالي للإنتاج الأمريكي . من هنا يتضح لنا من الذي لديه الاستعداد للتضحية وما هو هدف هذه التضحية. إن تقديم القروض بشكل عرضي غيره دف لايبدوا معادلا لأسس إعادة الهيكلة الفعالة للاقتصاد الروسي على النمط الغربي. أضف إلى ذلك أن أصحاب النيات الحسنة تجاه روسيا لم يعد باستطاعتهم أن يغيروا هذه الرموز الكريهة للحرب الباردة .خذ مثلا تعديلات جاكسون – فانيك التي تقضي بغرض القيود على التجارة مع روسيا ؛ فضلا عن أنه لم يتم التعامل مع موسكو وفقا لقاعدة الدولة الأولى بالرعاية في مجال التجارة. وهو الوضع الذي يتمتع به عدد كبير من شركاء أمريكا في التجارة. لم يؤد سعي روسيا نحو الغرب إلى الانضمام إلى صفوفه ، ولم تتحقق عضويتها في الناتو أو نظم التنمية والتعاون الاقتصادي أو صندوق النقد الدولي أو الجات أو منظمة الدول السبع وغيرها من المنظمات الغربية .

٢) منذ فترة قريبة كانت هناك خطة – بدت جذابة إلى أبعد حد – للجمع بين التكنولوجيا ورؤوس الأموال الأمريكية والموارد الطبيعية والقوى العاملة الرخيصة الروسية، لكن هذه الخطة ماتت في مهدها؛ فبينما يبلغ حجم الاستثمارات في الصين الشيوعية ٦٠ مليار دولار، نجد أن مجموع الاستثمارات الغربية المباشرة في روسيا هو خمسة مليارات دولار متواضعة، وذلك هو أفضل دليل على انهيار الأحلام الاقتصادية عند أصحاب التوجه الغربي من الروس. والأسوأ من هذا أن حجم الأموال المتسربة سنويا من روسيا إلى الغرب يتروح ما بين ١٥ إلى ٢٠ مليار دولار تغذي الاقتصاد الغربي على حساب استنزاف دماء الاقتصاد الروسي. وهكذا أصبح الروس الجدد سببا للقطيعة مع الغرب بدلا من أن يصبحوا همزة للوصل معه، فرؤوس أموالهم ذهبت لتعمل بعيدا عن الوطن.

٣) إن ما يثير دهشة المثاليين في موسكو أن حلف شمال الأطلنطي لم يقم بحل نفسه بعد زوال خصمه الرسمي . أضف إلى هذا أن أمريكا في سياق إعادتها هيكلة

الناتو باتجاه توسيع الحلف نحو الشرق، تقيم نظاما للأمن الأوربى لا تدخل روسيا شريكا فيه، علما بأن الأمريكيين كانوا قد قطعوا عهدا آخر على أنفسهم.

فى خطاب شخصى بعث به الرئيس بوش إلى جورباتشوف فى يوليو ١٩٩٠ وعد الرئيس الأمريكى نظيره الروسى بقوله «إن الناتو مستعد للتعاون معكم فى بناء أوربا جديدة ، وذكر الرئيس الأمريكى أنه يفكر فى التحول التدريجى للناتو نفسه»(١٧). وعلاوة على ذلك فقد وعد الغرب مرتين على الأقل (وعلى نحو لا يقبل الجدل خاصة فى دورة١٩٩١ فى كوبنهاجن) ألا يستغل الموقف الراهن بغرض الحصول على ميزات جيوبوليتيكية من جراء انهيار الشرق . وسرعان ما تأكد أن الوعود فى السياسة ما هى إلا أمور سريعة الزوال ؛ ففى يناير١٩٩٤ أبدى الرئيس كلينتون عزمه على توسيع الناتو على حساب الأعضاء السابقين لمنظمة اتفاق وارسو. أما السياسيون الواقعيون فى العواصم الغربية فقد لقنوا دبلوماسيى روسيا الجديدة درسا قاسيا للغاية. لقد تطلب الأمر بضعة شهور حتى يدرك السياسيون فى روسيا الانقلاب الذى جرى فى الغرب وما طرأ على مشاعرهم. ولأول مرة بعد مرور عدد من السنين يأتى رد فعل موسكو بطيئا ، ولكنه لا يحمل هذه المرة «الموافقة» على المحال بأى حال . ترى هل كان الأمر يستحق تدمير منظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادى وتفكيك الاتحاد السوفيتى من أجل الحصول على الدبابات البولندية التى انتشرت فى مواجهة روسيا ؟

إن حديثنا هنا لا يدور - من المنظور التاريخى الواسع - حول إضافة نصف مليون جندى إلى جيوش الناتو، ولا حول ثلاثمائة مطار حديث تقع بالقرب من الحدود الروسية، بل ولا حتى حول السيطرة على تلك المناطق التى تم استخدامها باعتبارها نقاط ارتكاز للهجوم على موسكو فى الأعوام ١٦١٢ ، ١٧٠٩ ، ١٨١٢ ، ١٩٢٠ ثم عام ١٩٤١ . وإنما يدور الحديث حول فشل الخطة التى بدأها بطرس الأكبر ، وسار على هديها -بحماس بالغ- الديموقراطيون الروس أصحاب التوجه نحو الغرب طوال الفترة من عام ١٩٨٨ ، وحتي عام ١٩٩٣ ، وحول توسيع الناتو وما يعنيه توسيع حلف شمال الأطلنطى من عزلة جديدة لروسيا .هذه هى المرة الثالثة على امتداد القرن العشرين، القرن الذى كان شديد القسوة على روسيا، التى يحاول فيها الغرب أن

يخرج روسيا من منظومة الأمن الأوربى الشامل. لقد جرت المحاولة الأولى مع إنشاء منظومة فرساى ثم إنشاء «النطاق الصحى» على امتداد الحدود الغربية مع روسيا. وقد أدى إقصاء روسيا (وكذلك ألمانيا) إلى قيام حرب عالمية. المحاولة الثانية تميزت «بخطة مارشال» وإنشاء الناتو ، وهى المحاولة التى صنعت حربا باردة دامت أربعين عاما، وأنفقت فى سبيلها موارد خيالية ، وولّدت قهراً نفسيًا طال ثلاثة أجيال. أما المحاولة الثالثة فهى إنشاء منظومة الأمن الأوربى بدون (بل وضد) روسيا، وهى المحاولة التى تجرى الآن أمام أعيننا.

إن توسيع الناتو – تحديدا – ليس سوى أكثر الشواهد بداهة وبشاعة على النهج الجديد للغرب ، وهو من الناحية العملية لا يقل أهمية عن اتفاق شينجن للتحالف الأوربى، الذى قيد حرية الاتصال بين المواطنين وضع الستار الحديدى للتأشيرات. على أن توسيع الناتو هو أهم الأعراض جميعا . لقد عرض على روسيا دون مبالاه أن تتصالح مع حقيقة أن هذا الحلف – الذى أنشئ لأغراض عسكرية – لن يتعرض لها بأى تهديد حتى ولو اقترب من حدودها ببضعة مئات من الكيلو مترات.

هل ستتمسك الدول الغربية بهذا المنطق فيما يتعلق بها هى ذاتها ؟ فالولايات الأمريكية – على سبيل المثال – اعترفت رسميا أنه لا يلوح أمامها فى الوقت الحاضر أى تهديد عسكرى، ومع ذلك فإنها لا تنوى تخفيض، وإنما ستزيد من إنفاقها على القوات المسلحة، كما أنها لن تحل أحلافها العسكرية، ما دام هناك سؤال مقنع وشرعى تطرحه على الناس: وما الذى يمكن أن يحدث بعد عشر أو عشرين سنة ؟ أما تلك الدول، مثل فرنسا، فإنها تزيد من ميزانيتها العسكرية؛ فضلا عن أنها تجرى تجارب نووية. وفى سياق ذلك فإن روسيا فى الوقت نفسه تظهر قلقها من جراء البناء العسكرى، الذى يتم فى الجوار. إن اهتمام الغرب بالأمن هو ضرورة مطلقة، أما اهتمام روسيا به فهو عصبية مصطنعة وانفعال جامح، وهو الشعور الغالب لدى دولة فقدت فى القرن العشرين ثلث سكانها .

من الناحية الموضوعية فإن توسيع الناتو سوف يؤدى إلى عزل روسيا عن المنظومة الغربية، وفى هذه الحالة فإن من المنطقى أنها ستسعى من الآن فصاعدا (وهو ما تدركه أو قد لا تدركه واشنطن) للعمل على خلق توازن مضاد. وجزء من

الحل الذى ستلجأ إليه يمكن أن يكون فى تقوية علاقاتها بالدول غير الغربية واللجوء إلى الطريقة التقليدية عند الروس، والتى طال الشيوعية. إليها وهى التعبئة الوطنية. إن إبعاد روسيا عن المنظومة الغربية للأمن سوف يغير من معيار العلاقة الطيبة تجاه الغرب ، والذى انتصر عام ١٩٩١على النزعة الانعزالية الشيوعية .

٤) هناك أمر آخر مهم لا توليه الولايات المتحدة الأمريكية ما يستحقه من اهتمام، وهو أن عدد المثقفين الروس المؤيدين للغرب آخذ فى التراجع، كما أنهم بدأوا يفقدون تأثيرهم ويتجهون نحو التحلل والاختفاء، وهؤلاء كان تعاطفهم وحبهم (بل وسخطهم أيضا) لأمريكا يمثل قاعدة لتغيير سياسة العداء لأمريكا فى المرحلة الأخيرة من حكم جورباتشوف وبداية حكم يلتسين. إن هؤلاء المثقفين تحديدا هم الذين رسموا فى روسيا صورة إنسانية للغرب ، وهم الذين كانوا على استعداد للمخاطرة والدخول فى صراع مع الهياكل الحكومية الجبارة من أجل الحفاظ على الروابط مع منطقة معيارية . إن المثقفين الذين كانوا يكنون مشاعر الحب لأمريكا، و الذين واصلوا الاستماع عشرات السنين لإذاعة صوت أمريكا التى كانت معرضة للتشويش، والذين علقوا صورة هيمنجواى على الحوائط، وزرعوا فى الطلاب والقراء حب هذه الجمهورية الواقعة وراء المحيط – ثقافتها وأدبها وموسيقى الچاز بها ... إلخ . هؤلاء المثقفون تحديدا هم الذين أحاطوا يوما ما بجورباتشوف ، وكان من بينهم أهم مستشاريه ، وهم الذين دعموا الأمل فى أن أمريكا سوف تقدر مأثرة ما قاموا به من تضحية . كان المثقفون الروس يؤمنون إيمانا بلا حدود فى تضامن أمريكا الديموقراطية معهم.

على أن السعى وراء الغرب فى مسألة خلق علاقات السوق أصبح مقترنا بفقدان كل المكاسب الاجتماعية فى مجالات الصحة والتعليم وما إلى ذلك من مكاسب. الآن يتراجع المثقفون عن كونهم أصحاب التأثير فى الجماهير . وفى هذه الظروف القاسية التى فرضتها السوق التى دافع عن وجودها الاقتصادى الروسى جايدار فإن المثقفين الروس بلغوا حد الفقر المدقع بكل معنى الكلمة؛ فضلا عن أنهم فقدوا كل المقومات التى وضعتهم فى طليعة الأمة ، وجعلتهم عنصرا من عناصر التجديد القومى، لقد فقدوا الاهتمام بمؤلفى المجلات السميكة، وبجريدة الأدب التى كانت تصدر بملايين النسخ، وبالكتب التى كانت تباع تقريبا بالمجان. سقط جزء كبير من المثقفين أصحاب

التوجه إلى الغرب إلى قاع المجتمع وبعضهم غادر البلاد . في عام ١٩٩٣ وحده سافر إلى الخارج أربعون ألف عالم، وتدهورت أحوال الغالبية التي بقيت في البلاد وانحدرت إلى حد اللجوء للعمل في تجارة التجزئة وإلى أعمال الغش والمضاربة. اختفت روح احترام الحضارة الأمريكية، التي لولا وجودها لكان من المحتمل أن تستمر عمليات القضاء على الحرب الباردة لعشرات السنين.إن الأمر يتطلب عدة أجيال حتى تعود لروسيا قوتها الثقافية المهدرة. ترى هل سيظهر هناك مثقفون جدد أكثر صلابة ، فرديون ، مناصرون للقيم الغربية ؟

إن الأحلام حول فضاء ثقافي واحد ، وإمكانية شراء تذكرة اليوم والسفر بها غدا إلى برلين أو باريس أو لندن، قد اصطدمت بحواجز التأشيرات التي حلت محل «الستار الحديدي» وما يزال الغرب راغبا عن فتح حدوده. لقد اصطدم الغضب العاطفي لدى المثاليين بالواقع الذي بدا أقل ودًا وأكثر قسوة . إن الجسر بين الشرق والغرب، بين روسيا المثقفة والولايات المتحدة الأمريكية المتمسكة بالحاجز الجمركي قد فقد أكثر جوانب أسسه صلابة.

٥) لعل الأمر الأهم يتلخص في أن الرؤية لدى النخبة الأمريكية غير مطابقة لرؤية النخبة الروسية ، كما أن الشخصيات التي تتبوأ قمة السلطة السياسية في البلدين يفهمون بعضهم البعض بصعوبة بالغة – في واقع الأمر فإن هناك حضارتين مختلفتين تتعامل كل منها مع الأخرى، واحدة غربية والأخرى شرق أوربية. لقد أصبحت المتابعة التاريخية للمباحثات الخاصة بالأسلحة النووية أو العادية بين الشرق والغرب أمرا بالغ الصعوبة. وبينما يحدثنا ستروب تالبوت في كتبه الرائعة عن المباحثات الخاصة بالحد من الأسلحة الإستراتيجية وكيف جرت بشكل منطقي وعقلاني، ويصف الغرب اللقاءات الرفيعة المستوى بأنها كانت مزيجا من اللياقة الغربية والحفاوة الروسية، نجد أن كل شيء قد سار على نحو بالغ التعقيد.

لم يترك الضغط العاطفي الشرقي أدنى انطباع لدى المحاورين الغربيين . وطغت دهشة باردة من تسرع كل من شيفاردنذة وجورباتشوف بسبب الرغبة الشديدة لدى الرئيس الروسي في الحصول على الإعجاب . ترى من يعنيه في الولايات المتحدة الأمريكية الاهتمام بالذين قاموا على تنظيم احتفالات موسكو بالذكرى الخمسين

للانتصار فى الحرب العالمية الثانية ؟ وما إذا كان الرئيس الأمريكى سوف يزور الميدان الأحمر أم يكتفى بزيارة بوكلونايا جورا ؟ وما تزال موسكو تشعر بقلق دائم بشأن الدعوة للقاء الدورى «للدول السبع» . حسبنا هنا أن نقارن فقط بين مذكرات جورباتشوف ويلتسين ودوبرينين من ناحية، ومذكرات چورچ بوش وشولتز وچيمس بكير وميتلوك – على سبيل المثال – من ناحية أخرى، وجميعها وصفت نفس الأحداث، لنقتنع تماما بأننا إزاء مأذق عقلى، وعاطفى يقودنا إليه عدم التطابق فيها. إن ما كان يعتبره أحد الجانبين على جانب كبير من الأهمية (تبادل القبلات وهتاف الجماهير والحديث بلا كلفة والعناق الودى وتبادل الأقلام وما إلى ذلك من الأمور المبتذلة) لم يعن أى قدر من الأهمية لدى الجانب الآخر ، الذى راح يضع المعاهدات بكل ثبات مستخدما أعلى درجات المنطق فى أساليب تحقيقها ، متخذا جانب الدفاع الصارم تجاه مصالحه القومية . لقد اصطدم شعار التفكير الجديد من أجل بلادنا ومن أجل العالم بأسره بشدة بالواقع الصارم الذى يرى أن الشرعية العملية الوحيدة هى الدفاع عن المصالح القومية. ولعل أكثر ما يثير الحزن فى ذلك كله أنه لم يحدث أى تراكم للخبرة؛ فالشرق ما يزال غير عازم على تغيير منطلقاته العاطفية، بينما الغرب لا يخطر بباله أن يستخدم الأسلوب البيروقراطى على مائدة المباحثات.

فى هذا السياق فإن الزعماء الأمريكيين أصبحوا يدركون بكل وضوح أهمية التبعية فى روسيا وسعى زعمائها للحصول على الإعجاب. ولعله لهذا السبب توجه الأمريكيون فى هلسنكى فى فبراير ١٩٩٧ بالسؤال الوحيد الذى كان يؤرقهم بالفعل والمتعلق باتخاذ حلول تجاه إعداد وتجربة الأنظمة المضادة للصواريخ إلى الرئيس الروسى تحديدا. وعندما أثمر الهجوم الذى استمر يوما ونصف عن النتائج المرجوة، أظهر الجانب الأمريكى عواطفه بأن فتح زجاجات الشمبانيا، ولهذا اندفعت وزيرة الخارجية الأمريكية فى يناير ١٩٩٩ إلى المستشفى المركزى، كانت أولبرايت تريد أن تحدث ثغرة عند مواجهة معاهدة عام ١٩٧٢ الخاصة بالدفاعات المضادة للصواريخ بطريقة محنكة، لكن القبلات والترحاب كانا يمثلان مخاطرة قد تحول الأمور إلى الجانب المضاد، إذا ما شعر الجانب الذى قدم تنازلات أن الجانب الآخر قد تلاعب بمشاعره.

رد الفعل تجاه الإحباط

لقد أدى الاختلاف فى أسلوب التفكير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا باتا يدركان - كل بطريقته - الإعصار السياسى الذى وقع فى الثمانينيات والتسعينيات. وقد أثارت النزعة العملية الباردة لدى واشنطن أول إحساس قومي حقيقى بأن نقص الخبرة والرغبة القومية فى التفاخر، وعدم الرغبة فى إظهار التشدد، أمور أدت كلها فى النهاية إلى نتائج مؤلمة من منظور روسيا، كما طرحت أمامها قضية دوافع الغرب، الذى تعهد منذ زمن غير بعيد «ألا يستغل الظروف الراهنة»، وهنا ظهر على الفور موقفان متعارضان ، وبدا وكأن التفكير «الجديد» قد دخل فى صراع مع التفكير «الجديد القديم» .

لقد راح النصف الأول من الطيف السياسى لروسيا (الآخذ فى التلاشى) يدعو إلى بقاء سياسة كوزيروف والحفاظ على التقارب مع أمريكا، والذى يأتى من حيث الأهمية على رأس الأولويات الأخرى، ثم الخضوع لما يبدو أنه أمر حتمى ومحاولة الخروج من الموقف بشىء ما إيجابى، وتقدير ما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من قدره على ردع الصراعات القائمة بين الدول أعضاء الناتو وفرض الاستقرار فى منطقة وسط أوربا دائمة الاضطرابات. والاعتراف بوجود قوة مستعدة للتضحية ماديا وبشريا ومعنويا من أجل تجميد الصراعات الإقليمية، مثل البوسنة أو كوسوفو ، والتقارب مع حلف شمال الأطلنطى برئاسة أمريكا ، حتى ولو فاقت سرعة مجموعة المدن الكبرى فى هذا الاتجاه سرعة موسكو .

لكن ذروة التأثير الكبير لموجات الراديكالية الديموقراطية الموالية للغرب قد زالت. ويرجع السبب فى انحسار أصحاب هذا التوجه من الساحة الروسية إلى أنهم لم يخلقوا الوضع الأساسى والحاسم بالنسبة للحكومة الروسية ؛ فالراديكاليون ذوى التوجه الغربى لم يحققوا تحالفا وثيقا مع الغرب، فالحصول على عضوية الاتحاد الأوربى وحلف شمال الأطلنطى كان من الممكن أن يكون علامة فارقة. فهؤلاء راحوا يرجعون قبولهم فى الاتحاد الأوربى (وأحيانا على نحو مباشر للغاية كما فعل رئيس الوزراء تشيرنوميردين) لكن طلبهم قوبل بالرفض. ونتيجة لتعسف الغرب والسياسة المدمرة

التى عرفت باسم الإصلاحات ذات التوجه الغربى، انهار تأثير أول حكومة روسية لها هذا التوجه على مدى ثمانين عاماً انهياراً حاداً، واضطرت هذه الحكومة أن تسلم دفة السلطة لقوى أكثر اعتدالاً، مهمومة بالوضع الخرب للبلاد بعد مرور عشر سنوات من الإصلاحات التى باركتها أمريكا.

أما الجزء الثانى من الطيف السياسى الروسى الذى انتشر تأثيره حتى نهاية القرن العشرين كالنار فى الهشيم، وذلك بفضل النتائج الشحيحة لنزعة التوجه للغرب فى روسيا، فقد وصل إلى استنتاج مفاده أن من المستحيل اتباع سياسة «التوجه نحو الغرب تحت أى ظرف» . لقد أثارت مسألة قبول الناتو لحلفاء الاتحاد السوفيتى السابقين حالة حقيقية من الاضطراب الشديد لدى القوى السياسية فى روسيا ، ودفعتهم إلى مراجعة موجعة للقيم والتحول نحو الواقعية ، وذلك على ضوء التوجه الواقعى الذى كان أمراً مؤلماً بالنسبة لروسيا . إن حججًا على شاكلة «لقد دعوتم الغرب ، وها هو قد جاء إلى حدودكم» قد فقدت قوتها ؛ فمع اقتراب القرن العشرين من نهايته ظهر الإجماع القومى بصورة عملية فى مراجعة ما يقوم به الغرب من أفعال بعد انتهاء الحرب الباردة. وسادت الحياة السياسية فى روسيا مقولة: لقد قدمنا أكبر التنازلات فى سياستنا الخارجية، بينما استغل الغرب «ثقة أهل موسكو» فاندفع إلى مواقعنا الأمامية، ثم إذا به يجذب حلفاء روسيا فى أوربا الشرقية إلى مداره؛ فضلاً عن الجزء الشرقى من ألمانيا. وهكذا سرعان ما أثارت طريقة التفكير التقليدية عند الروس ، والتى تتميز بالتباين الشديد «رد الفعل الوطنى» ، ومن ثم فقد تحولت مشكلة السياسة الخارجية بخصوصيتها لتصبح رهينة لكل الأهواء السياسية الحادة .

لقد تكونت صورة غير جذابة للإحباط الذى تشعر به روسيا تجاه حليفها عبر المحيط. ترى هل كانت روسيا «متعنتة للغاية» ، عندما راحت تتحدث عن ضرورة مد يد العون لديمقراطيتها ولاقتصاد السوق النامى لديها ، وللهياكل الجديدة التى تقترب بها من النموذج الغربى ؟ حسناً، يمكن القول إن وجهة النظر هذه متداولة فى أنحاء روسيا. ولعله من العدل أن نشير هنا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقطع على نفسها أى عهد بتقديم هذا العون، ومن المستحيل أن يكون لدى الأمريكيين أى شعور بوخز الضمير فى هذا الشأن.

إننا نتناول هنا قضية تخرج فى جوهرها عن إطار العلاقات الأمريكية الروسية إلى رحاب العلاقات الدولية وأيضا الإنسانية الأكثر رحابة. إن الأغنياء ليسوا مضطرين لمساعدة الفقراء والتضحية بأى شىء من أجل جيرانهم. ومن حق الغرب – فلسفيا – أن يراقب الفشل الذى منيت به الإصلاحات الروسية، ولكن عندئذ فإن الغرب –وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية –عليه أن يتقبل شرطاً واحداً ، وهو أن يكون مستعدا لمواجهة عواقب ذلك .

الفقراء لديهم سلاح وحيد يواجهون به لامبالاة الأغنياء وهو الاتحاد. ولعل أكثر الأمثلة إقناعا فى القرن العشرين كان هذا الاتحاد الذى جرى إبان الهزيمة العسكرية والسقوط الفعلى لروسيا عام ١٩١٧ ، عندما أعلن البلاشفة بالفعل روسيا وطنا لكل المذلين والمهانين ، وشكلوا تهديدا للغرب، هذا التهديد الذى فاق فى النهاية كافة أشكال التهديد .

إن تكرار المدخل الاجتماعى الداروينى الذى يعطى روسيا مصيراً خاصاً، يمكن أن يحدث اليوم بشرط أن تفقد الولايات المتحدة الأمريكية ذاكرتها التاريخية. إن روسيا المدفونة تحت ركام مشاكلها الخاصة، والتى هبطت الغالبية من سكانها نتيجة للتحديث الفج لتصبح دولة من دول العالم الثالث ليس لديها من الأمتعة سوى تسليحها الجبار.

يعلم الأمريكيون جيدا مدى الأهمية الحيوية للتضامن الاجتماعى بدرجة أو بأخرى. وإذا كانوا يتراجعون الآن على الساحة الدولية عن التضامن مع هذه الدولة التى تسعى لمشاركتهم القيم العامة واستيعاب المبادئ الحضارية المشتركة؛ فسوف تدفع الولايات المتحدة ثمناً باهظاً نتيجة استخفافها بالمصائب التى تعانى منها روسيا، التى تسير فيها عمليات التحديث ببطء ملحوظ.

(فى ضوء ذلك فإن فرط الحساسية فى السياسة يبدو أمراً مضحكاً. إن روسيا التى تجرعت الظلم حتى الثمالة من جراء علاقات الآخرين بها، وأعربت عن تذمرها بسبب عدم كمال العالم، ومن قسوة الحلول التى اتخذت دون مشاركتها، مثلما حدث مثلا بالنسبة للناتو والبوسنة وكوسوفو أو العراق، سوف تقف وحدها فى مواجهة

جرحها المعنوى. ينبغى أن ندرك هنا أن تطور السياسة الأمريكية لم يحدث انطلاقا من أمزجة واشنطن المعادية لروسيا ، وإنما - وبدرجة كبيرة - بسبب أن القيادة الروسية لم تستطع أن تعبر بوضوح عن مصالحها الشخصية ، وأن تعرض نفسها كشريك يتمتع بالاستقرار . لقد تراوح نشاط الدبلوماسية الروسية بين الهدوء تارة والتهديدات المفاجئة لدول البلطيق وتركيا وكل من طالته يداها تارة أخرى. وإذا كانت سفينة الدولة الروسية قد فقدت بعضًا من حجمها، فإن الأهم هو أن يكون لديها بوصلة مضمونة وخارطة وخطة عمل محددة وأهداف واضحة، وعندئذ فقط قد تستطيع روسيا أن تقيم الادعاء على الذين يعوقون حركتها نحو المستقبل) .

للمرة الثانية

ارتكب الغرب و للمرة الثانية خطأ فادحًا فى علاقته بجارته روسيا . حدث ذلك للمرة الأولى إبان الحرب العالمية الأولى عندما فقدت روسيا بمؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية توازنها ، وأصبح استمرار الحرب يهدد بخسائر فادحة وانهيار لبنيتها الاجتماعية . وقد قام الغرب بدفعه لروسيا لخوض حرب يائسة فى عام ١٩١٧ إلى زيادة روح الثورة فى المجتمع الروسى وتحويل روسيا إلى دولة معادية للغرب ، ولم يستطع كل من الإمبراطور نيكولاى ومن تلاه من لفوف وكيرنسكى أن يتراجعوا فى وعدهم بتشكيل اتحاد مع الغرب أملاً منهم فى المحافظة على هذا الاتحاد المهم ، إلا أن المتحالفين الغربيين كانوا يمتلكون فى روسيا دبلوماسيين متعلمين ومراقبين استطاعوا إثارة الشك و بشكل قوى فى قدراتها العسكرية . لقد لاحظوا ضعفها وانهيارها الاقتصادى وغياب الرجال فى القرى والطوابير الطويلة فى المدن وغياب الأهداف الواضحة فى الحرب . كل هذا فجر الثورة الوطنية وبعد واحدة من الأحاديث الساخنة التى ألقاها ممثل عن دول الغرب الحليفة لروسيا التى دعا فيها لعدم خداع الغرب (فى الوقت التى كانت فيها روسيا قد فقدت مليون مقاتل) قام وزير الحكومة المؤقتة بمخاطبة وكيل الأمين العام للولايات المتحدة الأمريكية للشئون الروسية أ. روت قائلاً «سيدى ، ألن تتفضل بإخبار هؤلاء الأمريكيين بأننا تعبنا من هذه

الحرب. اشرح لهم أنه قد أصابنا الإعياء من تلك الحرب الطويلة والدموية، . وبتفضيل التحالف مع الغرب على مصالحها الذاتية غرقت روسيا فى هجوم ١٩١٦ – ١٩١٧ .

و فيما بعد اعترف الغرب بخطئه هذا حين ضغط بشكل زائد على روسيا .و يقول رئيس الوزراء السابق لويد جورج «لقد تمسك أركان الحرب بمشاريعهم و تشبثوا بها بشكل أعمي رافضين التراجع أو مناقشة خطط بديلة. و لقد أوكلوا إلي روسيا مهمة تفوق إمكاناتها فلم تستطع القيام بها ؛حيث كانت قد انهارت تماما مع نهاية عام ١٩١٦ . و كان الجندى الروسى مثله مثل الشعب الروسى بأكمله قد تعب من الحرب ، وكانت مواصلة الحرب بالنسبة لهم تعنى استمرارا للمعاناة» (١٨) .

ونتيجة لذلك فإن الطبقة الحاكمة الغنية فى روسيا صديقة الغرب المعقود عليها الآمال ، والتى ترتبط به اختفت من الساحة الاجتماعية الروسية إلى مجهول التاريخ . كانت ثورة أكتوبر نتيجة مباشرة لأهوال الحرب وإصرار الغرب على توريط روسيا وإرغامها على الاشتراك بها . ولقد كلف أوربا تحاملها هذا غاليا عندما اصطدمت بالنظام المتطرف فى كل من روسيا وألمانيا بين الحربين .

والمأساة الثانية نعايشها بأنفسنا حاليا ، فمنذ سنوات تخلت روسيا عن الشيوعية، وسارت نحو المستقبل المجهول . وكانت نقطتى الرؤيا لديها هما السوق والديمقراطية، إلا أنه وبعد سعى دءوب لخصخصة الممتلكات العامة فقدت سفينة التغيير وجهتها، حيث اصطدمت بمشكلات كان يمكن التنبؤ بها فى بلد لم تنه بعد المسائل الأساسية . منظومة حكومية مستقرة ، مشاكل الملكية الخاصة فى الأراضى، قيادة والسيطرة علي قطاع رأس المال الحكومى ومبادئ وأسس فرض الضرائب ، كما أنه لم يتم الاهتمام بالحفاظ على الصناعات التى أنشأها أجيال وأجيال ، وكذلك لم يتم الحفاظ على البنية العلمية الأساسية والنهج السياسى فى اتحاد الدول المستقلة . وسادت حالة مأسوية فى السوق من التضخم وتحويل الروبل ، ولم يتم إجراء إصلاحات اساسية ، ووصل الأمر إلى أن مفهوم «الإصلاح » فقد معناه ، وأصبح يطلق على أى تغيير تافه فى البرنامج الاقتصادى أو تعديل وظيفى مما نزع الثقة، وأفقد هذا المفهوم اعتباره حتى إنه ارتبط

حاليا بهبوط الإنتاج وانهيار العلم والفوضى الاجتماعية . وهنا –وفى هذا الوضع وللمرة الثانية فى خلال هذا القرن – لا يحاول الغرب ملاحظة المشاكل الرئيسية فى روسيا، بل ويطلب بشكل صارم منها التقدم والتحرك للأمام ، ولكن فى هذه المرة فى اتجاه أكثر خطورة، وكما حدث فى عام ١٩١٧ البعيد يعد الغرب بالولاء والإخلاص مقابل مواصلة التحرك فى اتجاه رفض التصنيع وتحرير الشخصية الاقتصادية وتطوير الإنتاج الحيوانى ذلك التحرك الذى بدأ فى عام ١٩٩٢ . ومن المثير للفضول أن نعرف كيف كان رد فعل الغرب لو كانت روسيا هى التى اقترحت عليه هذه التغييرات التى من شأنها أن تفقده نصف إجمالى الناتج القومى ، وتقلص متوسط عمر الفرد فيه بمعدل عشر سنوات والمستوى الاقتصادى بمعدل الثلثين ، والتى من شأنها أيضا أن تفرض عليه مشكلات تعرض الملايين للبطالة وانقراض المجتمع وانحطاطه بشكل فوضوى وانخفاض المستوى العلمى والمهارى لملايين المتخصصين الذين انهاروا إلى أدنى مستوى اجتماعى ؛ فهل يمكن أن نصف هذا الطريق جيدا بكل وعورته وفجواته التى جعلت الشعب الروسى مع كل حبه للثقافة الأوربية يكره الغرب، ويكره هؤلاء الذين جعلوا مأساة إنسانية لشعب بأكمله ثمنا للعبة شخصية ؟ وكما حدث فى عام ١٩١٧ فإن الشعب لا يفهم معنى وجوهر ما يحدث ، ومما يساعد على ذلك صمت القادة . وتبدأ مرحلة من التراجع عن التحديث والتطوير ، والتى يتحدث عنها العالم الأمريكى المهتم بالشئون الروسية س . كوين .

كان يمكن تفهم وجهة نظر كليمانصو ولون جورج . لقد سحب لودیندورف قواته من الجبهه الشرقية فى ضواحى باريس ، والتى كانت تتعرض لهجوم يومى ، واليوم من الصعب أن نفهم قادة الغرب المعاصرين ، فلا أحد ينوى أن يتعدى على حدود حلف الأطلسى ومناطق نفوذه .

وقد قام الغرب «الذى لم يتعلم من درس عزل روسيا وخطورته» بتوجيه ضربته إلى حليفه الأساسى فى روسيا ، وفى هذه المرة إلى الطبقة المثقفة من الشعب الروسى، والتى أخذت على عاتقها على مدى سنين طويلة مهمة غرس مشاعر الحب والاحترام تجاه إنسانية وعقلانية الغرب فى الشعب الروسى ، والذى يعد «أكثر الشعوب قراءة فى العالم» .

وعلى مدى ثلاثمائة عام من التقارب مع الغرب سعت روسيا للتخلص من الفتيشية أو عبادة الرقى بما فى ذلك الرقى الكلامى . إن الإصلاحات هى الطريق المأمول لتطور المجتمع ، إلا أن مفهوم الإصلاح بدون فك رموزه أو باعتباره رمزاً للتوافق مع الحليف يعتبر شكلاً من أشكال السير بأعين مغمضة ، والذى ينطوى على مخاطرة كبيرة كتلك التى حدثت إبان الانفجار الشيوعى الأول .

ماذا يتبقى لروسيا ؟

ماذا يتبقي لروسيا ؟ يجيب على هذا السؤال أستاذ الدراسات الإستراتيجية بكلية الجيش فى الولايات المتحدة الأمريكية ستيفين بلانك قائلاً «إن روسيا التى تفتقد إلى المساعدات الدولية التى وعدت بها سابقا والمتأثرة بعدم اكتمال الإصلاحات الداخلية ليست على استعداد للاستمرار فى عالم اقتصاد السوق الذى سيقودها للانتحار. لقد تخلت روسيا – بفضل التطورات الداخلية – عن مكانتها فى النظام العالمى الجديد، وهى بذلك تكون قد جعلت من استراتيجية الغرب محل شك» (١٩) ، وإذا كان الغرب لا يستطيع أن يشعر بمخاطر العنف الروسى فإن موازين القوى فى العالم يمكنها إفراز قوى معادية للغرب. فضلاً عن ذلك فإن كل أحلام الروس ذوى الميول الغربية تنهار بالكامل. إن حالة الضعف والقلاقل فى روسيا ستمر ، وستتمكن روسيا من تصحيح أوضاعها ، وستأخذ دورها فى نفس اللعبة التى يفرضها الغرب عليها الآن. ولذلك فإن الولايات المتحدة تتابع باهتمام شديد الحوار الصينى الروسى ، وتحدد أهمية الأدوار فى محور موسكو- بكين ، كما تثير مقترحات رئيس الوزراء السابق بريماكوف حول حدوث تقارب مثلثى بين روسيا والصين والهند إحساسا بالصدمة لدى الأمريكيين. وسيأتى الوقت عندما تعود الاستثمارات (وليس الدبابات) الروسية إلى أوربا الشرقية. هذا الطرح يفتح التقارب مع أوربا الثانية، مع دول أوربا الشرقية التى ستقتنع بسرعة أن دول أوروبا الأولى لا تنتظرهم ، وأن التنافس الاقتصادى مسألة خطيرة وجادة، وأن أسواقهم ومصادرهم لا تثير إعجاب وانبهار الغرب. فلامفر عن التراجع للوراء ؛ فالمنتجات المجرية وسيارة «سكودا» التشيكية مطلوبة فى سوق واحد فقط هو السوق الروسى. والصفقات ذات المنفعة لا يمكن ألا تعطى نتائج إيجابية. وفى النهاية فإن

العامل الحضارى والتاريخى لأوربا الشرقية يلعب دوره المهم والعلاقات التي تأصلت على مدى نصف قرن لا يمكن أن تنسى بهذه السهولة. إن روسيا وأوربا الشرقية يجمعهما المستوى التكنولوجى المتساوى ، وفى نفس الوقت فإن كلاهما قد تأخر وتخلف عن الاتحاد الأوربى بدرجة متساوية أيضا. إن روسيا يمكنها إمداد أوروبا الشرقية بالنفط والغاز وتقديم أسواقها لها .إن الماضى لا يمكن إعادته ، ولكنه لن يمضى دون أى أثر.

وحينئذ فإن الناتو سيبدو وكأنه ديناصور من العصور الغابرة. الآن يحاول الأمريكان – بعد فشلهم فى إيجاد لغة مشتركة مع روسيا – أن يركزوا جل اهتمامهم في السيطرة على نفط بحر قزوين والهدف من ذلك كما تعتقد مجلة «الفاينا نشال تايمز» التى تصدر فى لندن هو «تأسيس منطقة نفوذ أمريكية فى القوقاز وبحر القزوين للسيطرة على النفط» [٢٠] .

ومن ناحيتها فإن روسيا ببيعها البترول إلى دول أوربا الغربية يمكنها أن تضعف بشكل كبير وحاسم تبعية هذه الدول لأمريكا التى تسيطر على نفط الشرق الأوسط. ويتحدث عن ذلك اليوم الأوربيون أنفسهم[٢١] .

فلندع الحديث عن الآفاق جانبا ؛ فأمامنا حالة خاصة ؛ فقد خسر مساعد وزير الخارجية الأمريكى ستروب تالبوت ، والذى كان على قناعة بأهمية تدعيم العلاقات مع روسيا أمام ريتشارد هولبروك المسئول عن السياسة الأوربية والمعتنق الرئيسى لفكرة توسيع حلف الناتو فى أوربا الشرقية ، خسر الأول أمام الثانى معركة ضم روسيا للغرب ، إلا أن تالبوت (ومعه قطاع مهم من المؤسسة الأمريكية) يواصل التأكيد على أن «ضم روسيا للمنظومة الغربية ذو أهمية ملحة للسياسة الأمريكية الخارجية بشكل عام ويجب أن يصبح هذا الموضوع العنصر المحورى للسياسة الأمريكية بالنسبة لروسيا حيث أن تحقيق أمريكا لأهدافها المهمة سيعتمد بشكل أساسى على موافقة روسيا الاشتراك فى النظام العالمى الجديد» [٢٢] هذا يمثل اعترافاً بأن المهمة الأساسية لأمريكا لم تجد الحل النهائى بعد. وإذا توانت الولايات المتحدة عن حلها فإنها بذلك تخاطر باستفزاز العالم فى وقت ما بتأسيس تحالف تجارى مكتفٍ ذاتيا من المحيط الأطلنطى وحتى المحيط الهادى» [٢٣] .

آفاق التقارب

إن عالمنا معقد للغاية، ولكي نتفهم آفاق التقارب يجب أن نحدد كل النقاط وكل الاتجاهات حتي المتطرفة منها . إن الشكل الأول لتطوير العلاقات بين روسيا والغرب، والذى تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية ينظر إليه على أنه نصر لمناصرى روسيا فى الغرب وأمريكا ومناصرى الغرب فى روسيا. هذا الشكل يفترض أن روسيا لا تبالى بالتدهور والتراجع الحاصل فى مواقفها الجيوبولوتيكية ، وهى لا تتخذ أى مبادرات معادية للغرب، كما أنها توافق على الخط الأساسى لمواقف أمريكا بوصفها زعيمة العالم ، وتولى ثقتها بالآخرين حتى فيما يخص أمنها القومى. وهذا الأسلوب أو الطريقة فى أداء روسيا السياسية تم استبعادها إبان فترة حكم شيفرنادزه وكوزيروف وتلائم هذه الطريقة فكر وأحلام مناصرى الغرب فى روسيا فهى لا تتطلب أى جهود إضافية أو نفقات وأعباء زائدة، كما أن هذه الطريقة يمكن اعتبارها مناسبة لطريقة تفكير جزء من المجتمع الروسى، فبناء على توصيات أمريكية يتم دعوة روسيا إلى الانضمام لحلف الأطلنطى وتمنح حقوق العضوية فى الاتحاد الأوربى ، كما أنها تقبل الانضمام لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (نادى الدول الثلاثين الأكثر نموا فى العالم) كما يتم دعوتها لحضور قمة «الثمانية» . بالإضافة إلى ذلك فإن مشاكل تأشيرات الدخول بين روسيا والدول الغربية انخفضت إلى الحد الأدنى، ويمكن القول إنها وصلت إلى المستوى التى كانت عليه عام ١٩١٤ ، ويمكن أن ويتم صياغة إطار محدد للتفاهم الجمركى المتبادل ، والذى يسمح لبعض قطاعات الصناعة الروسية أن تملأ الفجوة الحاصلة فى السوق الغربى الغنى، كما أن أهم ما كان يحلم به الغربيون الروس أعوام ١٩٨٨ – ١٩٩٣ يتحقق الآن، ألا وهو التلاحم والاندماج بين رأس المال الغربى والأيدى العاملة والمواد الخام الروسية.

ونتيجة لذلك فإن متوسط الدخل فى روسيا يرتفع (يمثل حاليا عشر ما هو عليه فى الولايات المتحدة الأمريكية) كما أن الطبقة المثقفة تتمتع بهامش حرية يساوى ما هو عليه فى اتحاد العالم المتقدم. ولأول مرة فى روسيا يظهر لدى المواطن الشعور بالحماية ، وكذلك الاندماج والتواصل مع العالم والانخراط فى الزعامة العالمية (وهذا لا يقدر بثمن فى دولة مثل روسيا) . وهكذا تتحقق أحلام بطرس الأكبر وبيستل

وتشادايف وميليوكوف وساخاروف ؛ فها هى روسيا تندمج فى عالم أمستردام ليس بصفتها ضيفا ، بل بكونها حليفاً يتمتع بكافة الحقوق ومساهماً رئيسياً فى تأسيس أوربا العظمى الممتدة من فلاديفوستوك وحتى سان فرانسيسكو. وبهدف تحقيق حلم أكبر وهو تجنب حدوث حروب عالمية وتوحيد العالم المسيحى وحلم أن تقوم الثورة الأوربية ، والتى امتدت لخمسمائة عام وتزعمتها أمريكا فى القرن العشرين تقوم بضم روسيا التى تحلم حاليا بالانضمام للاستعمار العالمى، الأمر الذى تجنبته طوال القرون من ١٦-١٨ .

إن موسكو يجب عليها أن تقرر ماذا يمكنها أن تحققه مع واشنطن ، وما هو صعب تحقيقه؛ فإذا لم يكن فى الإمكان تحقيق شراكة إستراتيجية بشكل كامل فيجب تحديد أى عناصر هذه الشراكة يمكن تنفيذها. وفى السياسة من المفيد دائما أن تسبح مع الزعيم وليس ضده ، ولذا سيتضح سعى موسكو لتحقيق وفاق مع واشنطن حتى ولو للحد الأدنى؛ فهناك الكثير الذى يربط الدولتين . يجب العودة إلى الحوار البناء حتى ولو فى حدود معينة: تأكيد أهمية الأمم المتحدة للدولتين، مسألة عدم نشر الأسلحة النووية وكذلك التشابه فى مواقف الدولتين تجاه بعض المشاكل الإقليمية. وأسوأ ما كان يمكن أن يحدث هو نزاع مجنون بين روسيا والغرب يفقد روسيا وزنها فى الغرب كما تخسر روسيا نتيجة له إمكانية تحديث التكنولوجيا الروسية بمساعدة الغرب ويفقدها الاستثمار الأوربى والقروض على اعتبار أن انضمام بولندا والتشيك والمجر لحلف الأطلنطى سيحدث لا محالة وبشكل ذاتى وبغض النظر عن رد فعل موسكو، ولكن هل من الواجب الحديث تفصيلا عن صعوبات تحقيق هذا المشروع أو هذا الطرح؟ لقد أحس هذه الصعوبة كل من ذكرناهم سابقا من رجالات التاريخ الروسى من القيصر بطرس الكبر وحتى العالم الأكاديمى ساخاروف . لن نتحدث عن الثروة البشرية ذات الخصوصية المنفردة فى روسيا أو الثقافة المختلفة أو الدين أو التقاليد أو الحضارة، ولكن نستطيع القول بأنه من المستبعد تماما أن يقوم الغرب بدعوة روسيا للاشتراك فى حلف الناتو أو منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية أو الاتحاد الأوربى ولا غيرها؛ فهذا لا يريده الغرب مهما حلم بذلك مناصرو الغرب فى روسيا وحتى نظام التأشيرات لن يتم تغييره لجذب العمالة الروسية المدربة والماهرة؛ فأوربا تعانى من

معدل بطالة مرتفع يصل إلى ١٨ مليون عاطل ، كما أن استثمارات الشركات الغربية فى روسيا لن تغامر بالدخول إلى السوق الروسى الذى مازال يحكمه عالم إجرامى لا يحترم القانون.

احتمال التصعيد

لنحدد معالم الطرح الآخر ، والذى يقف على الجانب الآخر تماما عن الطرح السابق. إن الصيغة الثانية المفترضة لتطور العلاقات الروسية الأمريكية والروسية الغربية تفترض أن تنسلخ روسيا ، وتندمج مع آسيا الأوربية الشمالية والشمالية الشرقية. إن الناتو والعوائق الجمركية والمشكلات التى تواجه منح التأشيرات كل هذا يقف عائق أمام اندماج روسيا للعالم الغربى ، وعلى ذلك سيتحتم عليها أن تقرر مصيرها وتبنى مستقبلها بنفسها ، وذلك عن طريق احتكار النفوذ المتبقى لها فى إطار دول الكومنولث المستقلة والبحث عن حلفاء جدد خارج أعضاء نادى الدول المتقدمة الأوروبية ، ويمكن البحث عن هؤلاء الحلفاء فى المقام الأول فى آسيا وفى العالم الإسلامى والهندوسى والبوذى والكونفشوسى. وفى هذه الحالة ستقوم روسيا بتجديد الإجراءات الجمركية حتى تحمى صناعتها المحلية ولنفس الهدف ستكون بكل بساطة مضطرة للخروج إلى أسواق دول الاتحاد السوفيتى السابق فى آسيا الوسطى والقوقاز وبقدر الإمكان دول الشرق السلافى ، وهى الدول المستهلكة السابقة للمنتجات الروسية.

وستفقد الاتفاقات العسكرية المبرمة مع الغرب سابقا قوتها، وسيتم النظر إلى اتفاق باريس ١٩٩٠ حول تقليص الأسلحة التقليدية على أنه حماقة عظمى لكل القرون.(فقد وقع عليه جوربا تشوف تحت ضغط يلتسين الذى يلاحقه فى سباق على السلطة. والأهم أنه وقع عليه وعلى المنضدة خريطة لأوربا الجديدة الحرة والخالية من التكتلات والساعية للوحدة. فأين هذه الخريطة ؟ ولماذا يبقى حلف الناتو حتى الآن بل ويتوسع ؟) . ستقوم روسيا بإعادة إنتاج الصواريخ الإستراتيجية ذات الرءوس المنفصلة، وستبنى مدنا جديدة مغلقة ، وستحتكر العلم. وكل دعوة إلى اتحاد فيدرالى ستخبو وستقوى وتعزز من نفسها الدولة الموحدة ذات البنية الأساسية الصارمة ، الأمر الذى سيؤثر على مصير الطبقة المثقفة الموالية للغرب.

ويفترض سيناريو المواجهة تعبئة كل موارد الدولة بالرغم من أنه لا يمكن تجهيز الدولة لتعبئة جديدة، إلا أن هذا هو حال روسيا فى القرن العشرين. يجب تحقيق الاكتفاء الذاتى والنظام الداخلى والاقتصاد المخطط (حتى لو كان ذلك فى المجالات الدفاعية) والتوزيع العادل والهادف للموارد. إن التعامل مع العالم الخارجي يوجب تدعيم القدرة العسكرية للدولة ، وذلك عن طريق:

- الانسحاب من اتفاقية الحد من الأسلحة التقليدية وإلغاء اتفاقية تقليص الأسلحة الإستراتيجية (ستارت – ١) ورفض الإسراع بتنفيذ اتفاقية (ستارت – ٢) وإلغاء المعاهدة الخاصة بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية وتشكيل جيش عالمى و مضاعفة عدد الصواريخ المزودة برءوس محمولة ومنفصلة.
- تصنيع صواريخ متوسطة وقصيرة المدى وإعادة الإنتاج الجماعى للصواريخ المحمولة متوسطة المدي إس إس– ٢٠.
- يتم إعلان دول المجر وبولندا والتشيك أهدافا للقوات النووية الروسية إذا قاموا بتوجيه منظوماتهم العسكرية نحو الشرق .
- تبذل كل الجهود القصوى لتشكيل تحالف مؤلف من الدول الأعضاء فى تحالف كومنولث الدول المستقلة حتى ولو على نطاق محدود فى البداية ، ويتم التنسيق بين جميع الدول التى تقع خارج نطاق حلف الأطلنطى بما فيها تلك التى تنتمى لدول كومنولث الدول المستقلة ، وسيكون هناك نشاط ومساعى فى اتجاه أوربا الغربية من حيث استغلال الاهتمام النشط من جانب ألمانيا بالسياسة الروسية ، وكذلك مخاوف فرنسا وإنجلترا من تزايد النفوذ الألمانى فى أوربا. إن تنشيط السياسة الأوربية لا يمكن ألا يعطى نتائجه ، فهى تعد طريقاً مدروساً للدبلوماسية الروسية: لقد وجد بطرس الأكبر بها حلفاء ضد السويديين ، وقامت الإمبراطورة أيكترينا بتأسيس جامعة شمالية ، وطوال القرن ١٩ كانت روسيا صديقة حميمة لبروسيا – جيرمانيا، وفى القرن العشرين كانت ضمن دول الائتلاف.

إن المنطقة المجاورة لروسيا لم تكن أبدا كتلة صخرية ، والكلام هنا ليس عن اختلاف أطراف عن أخرى ، إلا أنه فى السياسة كما فى الحياة ليس هناك إستاتيكا.

أما ما يحدث من متغيرات فإنها لا محالة تولد إمكانيات جديدة والإفادة من هذه الإمكانات هو ضرورة وواجب الدبلوماسية الروسية تجاه شعبها.

إن الهدف الأساسى من كل هذه الجهود يتمثل فى إظهار جدية قلق الدولة التى تم الاعتداء على سيادتها أكثر من مرة على مدى التاريخ بما فى ذلك القرن العشرين؛ فليقيس الغرب الجوانب الإيجابية والسلبية فى ضمه إلى أحضانه ثلاث أو أربع دول من العيار المتوسط الذين يقعون أصلا ومنذ زمن فى منطقة نفوذه (الغرب). فإذا قلنا إن فرنسا لا تعتبر عضويتها فى حلف الناتو ضمانة كافية لأمنها ، وتواصل لذلك تطوير قدراتها النووية ؛ فلماذا يجب على روسيا – التى أنقذت فرنسا مرتين فى القرن العشرين _أن تستسلم لمصيرها والذى خذلها أكثر من مرة ؟

إن روسيا المنسلخة دون رغبتها عن العالم الغربى تدعم علاقاتها مع الدول المتعطشة للتعاون العسكرى معها مثل إيران والعراق وليبيا ، إلا أنها بشكل أشمل ستبنى اتحادا مع الصين بالسماح للصناعات الخفيفة الصينية بالمرور إلى الأسواق الروسية وبتحديث الصناعة العسكرية والثقيلة لدى هذه الدولة الضخمة المجاورة ، والتى سيتخطي إجمالى الناتج القومى لديها خلال خمسة عشر عاما نظيره الأمريكى، كما أظهرت الهند اهتماماً واضحاً بالتنسيق مع روسيا فى المجال السياسى ، وهى دولة ستكون من عمالقة القرن الواحد والعشرين. هذا التقارب بين العالمين الثانى والثالث سيرسم خريطة جديدة للقطبية العالمية على اعتبار أن أكثر من نصف الناتج العالمى سيتحقق على شواطئ المحيط الهادى وليس فى شمال الأطلسى ؛ فهل من المهم الإشارة إلى أن هذا النموذج سيتطلب من روسيا التنظيم العلمى للإنتاج الصناعى وإعادة تأسيس الهيئات العقابية والتأديبية وتشكيل أيديولوجية مؤسسة على مواجهة الجنوب المستغل لهيمنة الغرب زعيم التطور العلمى والتكنولوجى. إن عقلنة المواجهة لن تشغل وقتا طويلا، كما أن حالة التعبئة الوطنية والإيمان بفكرة المعسكر الذى يتعرض للحصار – هو سمة مميزة لروسيا القرن العشرين. وسيتحول الاهتمام بعيدا عن دول آسيا الأوربية فيما سينمو الاهتمام بتدعيم العلاقات مع دول المحيط الهادى حيث سيتزايد باطراد هذا التوجه وكذلك الاهتمام بالمنظومة الآسيوية وليس بالفردية الغربية. إن روسيا يجب أن توجه نظرها نحو الشرق وتمعن النظر بشكل غير سطحى

فى التجربة الصينية، وتكتشف جوهر الاهتمامات التى تجمعها من تلك الدولة التى تلاحق الغرب ، وتبدأ فى التحول بالتوازى ؛ فمشكلة جزر الكوريل الجنوبية سيتم حلها من خلال إدارة مشتركة روسية يابانية ، وفى المقابل تنتشر مصانع تجميع المنتجات اليابانية فى روسيا ، وستصبح كوريا الصديق المفضل لروسيا ، وستتمتع الصين بحرية فى إطلاق يدها فى بحر الصين الجنوبى. وستتوجه الشركات الروسية والصينية واليابانية والكورية الجنوبية إلى منطقة سيبيريا باعتبارها المستودع الأخير فى العالم، كما ستقوى العلاقات مع أمريكا اللاتينية كواحدة من ضحايا الغرب.

إن عدم الرضى والرفض الروسى الواضح سيكون برهانا على قلق الدولة التى أنقذت الغرب مرتين طوال هذا القرن. وليس هناك أى شك فى أن روسيا فى حالة تمكنها من التأثير بشدة على الدول الغربية وإثارة أفكار جديدة وشكوك وقلق وخوف بل ورعب لدى هذه الدول وإجبارها على أن تزن جيدا مواقفها وتحدد متى تقول «نعم» أو «لا».

المعوقات

إن العقبة الرئيسية فى سبيل تنفيذ هذا المشروع تتمثل فى الإحساس السائد بالانتماء لأوربا ، وهو الإحساس الذى يسيطر على عقلية الدوائر المثقفة ليس فقط فى روسيا وجنوب شرق أوربا بل وفى القوقاز وحتي آسيا الوسطى. ولن يكون من السهل على موسكو أن تهدم روسيا بطرس الأكبر، وأن تبنى عالم شرقى على طريقة سكوبيليف وكورباتكين ؛ فقد كان ستوليبين وڤيتى يحلمان بأن يجعلوا من إمبراطورية الشرق دعامة إضافية لوزن روسيا ومكانتها فى أوربا . إن نقل مركز الثقل سيتطلب أيديولوجية عناصرها الأساسية تتمثل إما فى محور اجتماعى (الشيوعية) وإما «رفض المبتذل» ، إلا أن الثقافة والحضارة الروسية برمتها ستقف فى وجهة أى اتجاه معاد للغرب ، وسيخبو أى حلم بمجرد رؤية الحملة الأخيرة للسلاف الشرقيين على بحر أوخوتسك كمشهد أخير فى دراما التهجير العظيم للشعوب . ولتحقيق هذا السيناريو وتحويله إلى واقع يتطلب إرادة سياسية قوية وصارمة واستعداد شعبى وتضحيات مادية وموارد بشرية مناسبة. وهذا الأخير- على وجه التحديد -يجعل من المستحيل

استخدام مبدأ القوة كرد فعل على توسيع الناتو. إن الأزمة الاقتصادية التى تتعرض لها روسيا فى العقد الأخير تضع حدوداً لاستخدام هذا المبدأ. فخلال هذه الفترة القصيرة انخفض إجمالى الناتج القومى لروسيا بمعدل ٥٥ ٪ كما انخفض معدل الاستثمار فى الاقتصاد الروسى بمعدل٧٣٪ والإنفاق على الصناعات العسكرية ٨٤٪ وفى عام ١٩٩٠ بلغ حجم إجمالى الناتج القومى لروسيا ٥ ٪ من إجمالى الناتج العالمى فى حين بلغ ٢/ ٨٪[١] لدول الاتحاد السوفيتى السابق جمعاء. والآن يبلغ نصيب دول الناتو ٤٥ ٪ من إجمالى الناتج القومى فيما يبلغ نصيب روسيا ٢,٤ ٪ فقط ، وتبلغ النفقات العسكرية للناتو فى ١٩٩٨- ٤٦ ٪ من حجم الإنفاق العسكرى العالمى ما يعنى عشرة أمثال الإنفاق الروسى لنفس الغرض ويبلغ عدد أفراد القوات المسلحة فى حلف الناتو٧,٣ ٪ مليون جندى فى حين يبلغ ١,٧ مليون فقط فى روسيا. وتجدر الإشارة والتذكير بتفرد وزعامة الولايات المتحدة فى الثورة التكنولوجية ، وأن روسيا الحديثة تجنى ٢٠ ٪ من إجمالى الناتج القومى الذى تحقق فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠و٥ ٪ من إجمالى الناتج القومى الأمريكى . إن كلا الطرفين أمريكا و روسيا يبتعدان بشكل مطرد كل فى اتجاه. وما زالت قوة الجاذبية التى اخترعها نيوتن تنبعث من كليهما، وتجذب إليها الآخر، وكلاهما يمكنه التأثير على الآخر لبعض الوقت كما لو أن عالم القطبين ما زال كائنا ، إلا أن هذا لن يستمر طويلا، فالاحتكاك – المصطلح الفيزيائى – سيعوق ذلك الاحتكاك السياسى والاقتصادى والحضارى لا مفر منه ، وفى ظروف يفقد فيها التفاهم المتبادل والمنافع المادية فإن الاغتراب والابتعاد يحدث بشكل أكثر سرعة، وإذا وضعنا فى اعتبارنا هذا التباين فى قوة المعسكرين فإن أى رد فعل روسى يستخدم فيه مبدأ القوة لا يبشر بنجاح ،إلا أن الإبطاء بالنمو التكنولوجى وتجميد الصناعة الروسية له مخاطر أعظم بكثير؛ فالآفاق المستقبلية فى هذا الاتجاه غير مبشرة. وإذا استثارت روسيا الآخذة فى الضعف هذه المنطقة القوية والمهيمنة من العالم ضدها فإن فى هذه الحالة لن يكون هناك أى أمل فى مستقبل جيد. إن الظروف الموضوعية تفرض على روسيا التصرف بشكل مخالف وتوجب الاستعداد للتوصل لسيناريو الحل الوسط.

إن روسيا – كونها لا تمتلك أيديولوجية واضحة وثاقبة وتفتقد للقادة الأقوياء ذووا الكاريزما ولخطر تحقق إعادة الاندماج مع دول كومنولث الدول المستقلة فى فضاء واحد – ستغرق فى الجدل والنزاعات ، وسترى أسباب فشلها دائما فى غيرها وليس فى نفسها. إن نثر الحياة والمنطق يقول بأن الناتو سيتوسع إلى أقصى حد بغض النظر عن اعتراض روسيا وشكواها المستمرة ، إلا أن الغرب يرفض ضم روسيا إلى معسكره، وسيواصل منحها مهدئات فى شكل قروض صندوق النقد الدولى وفى شكل السماح لها بالمشاركة النصف كاملة فى أعمال قمة «الدول الصناعية السبع» ، وفى شكل منتدى دافوس «الاستعراضى» وفى شكل الصناديق المانحة للتسهيلات وغير ذلك. وستصبح أوربا الشرقية منطقة خاصة للنفوذ الغربى ، أما أوكرانيا فستصبح ساحة لصراع محتدم وشرس فيما ستصبح البلطيق برجاً محصناً تابع للمعسكر الغربى. أما الصناعة الروسية الثقيلة فستنحدر نحو الحضيض ، وستبقى الأنابيب الضخمة التى تحمل النفط والغاز عبر القارات وموارد العملة الصعبة نتيجة بيع النفط والغاز لتخفف قسوة الحياة فى آسيا الأوربية ، وستنهار الطبقة المثقفة فى روسيا أو ستهاجر، وسيصبح المتخصصون فى التسويق هم أرباب العقول وسادة الفكر، إلا أن هذا سيستمر لفترة غير طويلة ثم يسيطر شكل من أشكال التفلسف على المجتمع، وتصبح مشكلة الفوارق المادية والثقافية بين عاصمتى روسيا وبين الريف هى الموضوع الرئيسى والمشكلة الرئيسية.

إن روسيا المتداعية والآخذة فى الاحتضار منذ ١٩٩٢ ستفقد –على نحو تدريجى – أسواقها فى الدول المجاورة ونفوذها الدولى وحتى حب ٢٥ مليون روسى مهاجر يعاملون بشكل مهين فى دول إقامتهم، كما أن روسيا لن تصبح قلعة من قلاع العلم فى العالم بل ستصبح مستهلكا فقيرا لمنتجات الاتحاد الأوربى من الدرجة الثانية ، وبذلك تتحول من صانع وفاعل للسياسة العالمية إلى مفعول به. وعلى الأرجح لن يكون هناك شهود لهذه المأساة ؛ فالانهيار سيحدث ببطء شديد ، وسيخفف من قبل الغرب وبفضل المنح والمعونات الغربية ، إلا أنه من المؤكد أن فصل روسيا بطرس الأكبر سيطوى من التاريخ الروسى.

مراجع الفصل الثانى

1-McFaul M. Russia's Summer of Discontent // Current History. October 1998 .P.311.

2-McFaul M. Russia's Summer of Discontent //current History. October 1998.P.311.

3-Kurth J.NATO Expansion and the Idea of the West // Orbis. Fall 1997.P. 561.

4-Kurth J.Op. cit. P. 563.

5-Yergin D., Gustafson th. Russia 2010 and What It Means for the World. N.Y.,1995.p.256.

6-Haslam J. Russia's seat at the table:a place denied or a place delayed? //International Affairs, 1998.No1.P 122.

7-Billington J. The west's stake in Russia's future// orbis. Fall 1997.p.546.

8-Billington. Op. cit. P. 545.

9-McFaul M. Op. cit.P. 312.

10.Kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Integration, and the Sources of a Stable Multipolarity // International Security. Fall 1998. P. 76.

11-Petro N., Rubinstin A. Russian Foreign Policy: Form Empire to Nation - State. N.Y., 1997.p.188.

12-Petro N., Rubinstein A. Op.cit.P.123.

13-Billinsky Y. Russian Foreign policy in Search of a Nation // Orbis . Fall 1997.P.648.

14-Goodby J. Europe Undivided: The New Logic of Peace in U.S-Russian Relations. Washington, 1998.

15-Kupchan Ch. Op. cit. P. 76-77.

16-Hill E., Kennedy P. Pivotal States and U.S Grand Strategy // Foreign Affairs. January- Fabruary 1996.P.33-51.

17-Dobrynin A. In Confidence N.Y., 1995 .P.635.

18- لويد جورج د. مذكرات عسكرية . موسكو ، ١٩٣٥ ، المجلد الرابع ، ص ١٣٢

19-Blank S. Drift and Mastery // European Security. Autumn 1997.P.2.

20-Financil Times. September 19,1997.

21-Haslam J. Russia's seat at the table: a place denicd Or a place delayed? // Interna-tional Affairs. 1998 No 1.P.129.

22-Talbott S. The Battle for Russia's future // Wall Street Journal. September 29, 1997.

23-Haslam J. Op. cit.P. 130.

الفصل الثالث

أمريكا وروسيا والقضايا الإقليمية

اختلفت أمريكا مع الاتحاد السوفيتي في جملة عامة من المشكلات في الفترة التي سبقت أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات . ولقد وضع هذا الدولتين في إطار خاص خلافا لغيرهم من الدول ذات السيادة ولاعبي الأدوار على الساحة العالمية ؛ حيث إن الفجوة بين كلتا الدولتين وغيرهما من دول العالم يعترف بها القاصي والداني .

لقد صيغت كل العلاقات الدولية بوجهيها الودي والعدائي انطلاقا من هذه المواجهة العالمية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ؛ ففي أي مكان من العالم كانت أي دولة تتعرض للإهانة أو الانتقاص من جانب حلفاء إحدى الدولتين العظميين تسارع بطلب العون الاقتصادي والسياسي والعسكري من الجانب الآخر . وهذه السياسة التي تقوم على إشعال المواجهة مع أصدقاء العدو أوضحت بشكل كبير الصورة العامة للعلاقات الدولية ، وجعلت من السهل التنبؤ بتصرف أي من الدولتين إزاء مواقف إقليمية معينة .

إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي قد غير بشكل جذري من الواقع الإستراتيجي والجغرافي ... فقد أصبح على الولايات المتحدة أن تعيد النظر في منظومة علاقاتها الدولية بعد أن أصبحت تحتل مركز الزعامة العالمية في الظروف العالمية الجديدة؛ فمن ناحية تمتلك الولايات المتحدة كل المقومات كي تصبح الدولة العظمى الأوحد وانبثقت أمامها إمكانيات هائلة جديدة فلم يعد يؤرقها منافس أو عدو ذو وزن ، كما أنها تتمتع بالتفوق على كل منافسيها الرئيسيين في القارات جميعها في المجال العسكري وفي معدل النمو الاقتصادي . ومن ناحية أخرى ، اختفت لدى الولايات المتحدة ميزة الحصول على عملاء وحلفاء جدد ، وفي مقابل ذلك اهتمت بقبول أصدقاء روسيا السابقين تحت وصايتها ، واختفى بشكل عام نظام الثنائية القطبية الذي سيطر على العالم لفترة من الزمن .

إن مفهوم السباق بين القطبين اختفى بسرعة وبشكل جذري ، وظهر بدلا منه ما يسمى بـ «فرض النظام» في هذا العالم الذي صار أكثر فوضى ، واختفت إمكانية

حدوث تهديدات بأزمات عالمية على غرار أزمة الكاريبى ، إلا أن الأزمات الإقليمية توالت تباعا : الخليج العربى ، والصومال ، وهاييتى ، ورواندا ، والبوسنة ، وحول تايوان ، وفى كوسوفو .

و ترى الولايات المتحدة الأمريكية أن الصفة الرئيسية و الجديدة التى تميز هذه الأزمات أن المنافس الرئيسى لها فى كل أنحاء العالم و هى روسيا ، قد خسرت فى حقيقة الأمر مع مطلع القرن الحادى والعشرين كل حلفائها الإقليميين ، وأصبح من العسير- بل ومن المستحيل -أن تقوم روسيا بدور ونشاط سياسى فعال فى المناطق البعيدة، ليس فقط بسبب الضعف الشديد الذى تتعرض له بل لأن طاقتها الأكبر يجب أن تنفق فى إطار كومنولث الدول المستقلة ؛ حيث تبحث خمس عشرة دولة ذات طابع حضارى شرق أوربى عن طريق للبقاء على قيد الحياة فى خضم التحولات الجذرية التى تمر بها . ولأول مرة منذ عام ١٩١٧ يطرح التساؤل التالى نفسه: هل وحدة الشرق السلافى حقيقة واقعة فعلا ؟ وإلى أى حد تحققت هذه الوحدة؟ وما هى قدرات أوراسيا ؟

والأرقام والإحصاءات بهذا الصدد لا تبعث على الأمل ؛ ففى عام ١٩٠٠ كان عدد معتنقى المذهب الأرثوذوكسى يقارب ٨,٥ ٪من سكان العالم ، فى حين بلغ هذا العدد ٦,١ ٪ عام ١٩٩٥ وطبقا للتنبؤات فإنه من المتوقع أن يهبط هذا العدد إلى ٤,٩ ٪ مع حلول عام٢٠٢٥ . وفى عام ١٩٨٠ بلغ حصيلة ما تنتجه دول الفضاء الأرثوذوكسى ١٦,٤ ٪من إجمالى الناتج العالمى ، وهبطت هذه النسبة إلى ٦,٢ ٪ عام١٩٩٢ . وقد بلغ تعداد قوات هذه الدول مجتمعه فى بداية التسعينيات ١٥ ٪ من تعداد قوات دول العالم أجمع ومع مطلع القرن الحادى والعشرين فقدت دول حلف وارسو والاتحاد السوفيتى تفوقهما على الغرب فى مجال الأسلحة التقليدية فيما أخذت القوات النووية الإستراتيجية فى روسيا تتعرض للشيخوخة أمام أعين الجميع يوما بعد يوم ؛ إذ لم يتم تحديث القوات النووية الإستراتيجية الروسية سوى مرة واحدة فقط خلال التسعينيات وتحديدا عام ١٩٩٨ بمجموعة من الصواريخ النووية المحمولة «توبول – م» .

إلا أن روسيا فى حقيقة الأمرما تزال تتزعم هذه المنطقة وما تزال تقودها على الرغم من افتقاد هذه المنطقة لنظام داخلى قوى . وبالرغم من الضعف والانهيار الواضح فإن روسيا تحاول أن تتحاور وتتفاوض مع الولايات المتحدة نيابة عن تلك الدول التى تجمعها بها أواصر حضارية تماما كما ترى الولايات المتحدة فى نفسها زعيمة للحضارة الغربية ، وتتحدث بالتالى نيابة عنها .

ومع مطلع الألفية الجديدة خرجت روسيا وأمريكا على العالم بثلاثة أنواع من المشكلات الإقليمية أو ثلاث حلقات من العلاقات الجديدة التى تشكلت بعد الحرب الباردة . الحلقة الأولى تمثل سلسة معقدة من المشكلات حول الدور الجديد للصين والمرتبطة بشكل أو بآخر بمسألة ضرورة التكيف والتأقلم مع الزعيم الاقتصادى والسياسى الجديد فى قارة آسيا . والحلقة الثانية من المشكلات تتناول ماهية الاتجاهات الخاصة بإمكانية حركة الجذب والطرد داخل حدود كومنولث الدول المستقلة ؛ حيث تخسر روسيا مواقعها ، وتحاول واشنطن أن تحل محلها .

والحلقة الثالثة والأخيرة من المشكلات وتتمثل فى الصدام الدورى بين روسيا وأمريكا ، والذى يحدث بين فترة وأخرى فى مناطق العالم النامى . وسنتناول الأشكال الثلاثة للصدامات الإقليمية بالشرح والتحليل على التوالى.

المثلث العظيم

هناك أمران على الساحة السياسية الخارجية يشغلان اهتمام روسيا فى مطلع القرن الحادى والعشرين وهما: أولا: سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم ولمدة عشرين عاما على أقل تقدير ، وثانيا: النمو المفاجئ والجذرى للجار الآسيوى الكبير الصين ، وذلك على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية. وبالتالى فقد كتب على روسيا أن تعيش فى عالم يؤثر فيه عداءها لإحدى القوتين (أو لكليهما) سلبيا على الظروف الخارجية للتطور الروسى. وفى نفس الوقت فإن تمنى الخير والنجاح لكلا القوتين سواء للقوة المسيطرة(أمريكا) أو للأخرى الآخذة فى النمو (الصين) أصبح أكثر صعوبة لا سيما أن أهداف كل من أمريكا والصين آخذه فى التباعد والتنافر أكثر فأكثر ؛ فأمريكا عازمة على عدم السماح بترك زعامة شرق آسيا

فى يد الصين، كما أن الصين ترى نفسها الزعيم الأوحد فى هذه المنطقة ، ولا ترى لنفسها مستقبلا خارج هذا الإطار .

ونتيجة لذلك فقد وجدت روسيا نفسها بين فكى هاتين القوتين ، والتى سيلعب التفأهم أو التباعد بينهما دوراً محورياً وعاملاً مهماً فى منظومة العلاقات الدولية فى العقود الأولى من القرن الحادى والعشرين . وعلى ذلك فلزاما على روسيا أن تلعب دورا مزدوج الأهداف : عدم التعامل بعنف مع أى من القوتين ومحاولة الإفادة من التناقضات الحاصلة بينهما وضمان مقعد «السعيد الثالث» ، الذى يملك تصريح مرور للإفادة من مصادر التقدم التكنولوجى ورءوس الأموال الحرة وأغنى الأسواق العالمية .

ومهمة أمريكا أيضا محددة وتتمثل فى عدم السماح بأى تقارب يحدث بين عملاقى أوراسيا، وتحاشى أى اتحاد يمكن أن يقوم بين العملاق السكانى الصينى وروسيا الدولة ذات القدرة الإستراتيجية الهائلة . وفى نفس الوقت عدم التخلى عن مواقعها وقواعدها فى شرق آسيا، حيث مركز ومستقبل النهضة الاقتصادية العالمية .

لعبة قديمة فى ظروف جديدة

بدأت اللعبة الدبلوماسية فى إطار هذا المثلث عندما نجح هنرى كيسينجر فى إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أمريكا والصين ، وحقق بذلك نجاحاً سياسياً هائلاً؛ حيث جاءت هذه الخطوة فى وقت كانت فيه واشنطن وبكين على أعتاب مواجهة عنيفة . وفى الفترة من١٩٧٢ - ١٩٨٩ قامت الإدارات الأمريكية على التوالى بالتقارب مع جمهورية الصين الشعبية مستغلة ذلك للتأثير سلباً على مواقف الاتحاد السوفيتى المنافس الرئيسى آنذاك . وبدأ الموقف يتغير مع نهاية الثمانينيات ،عندما أخذ التوتر بين ألاتحاد السوفيتى والغرب يذوب بسرعة فائقة ، فى الوقت الذى وجه الشيوعيون الصينيون دباباتهم لمحاصرة الطلاب وضرب ثورتهم فى ميدان تيانينمين (السلام السماوى) . وحدث التقارب بين واشنطن وموسكو فى هذه الفترة التاريخية عندما أصبحت سرعة واطراد التطور الاقتصادى العسكرى الصينى تثير مخاوف متزايدة لدى الغرب : فما عساه يكون برنامج السياسة الخارجية لتلك الإمبراطورية الجديدة . أصبح هذا السؤال يؤرق الغرب أكثر فأكثر .

لقد تكشفت أمام الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا حقيقة مهمة مفادها أن العالم الكونفوشيوسى لتلك الدولة القارة والمجتمعات الصينية فى الدول البعيدة وكذلك الثقافات وثيقة الصلة فى كوريا وفيتنام بدأ عملية بناء شرق آسيا على أساس الجوهر الحضارى (مذهب كونفوشيوس فى فهم الحياة والتعامل معها) و ذلك خلافا للأساس الذي قامت عليه الرأسمالية والشيوعية ؛ فهذه المنطقة تمثل مزيجا عجيبا فى استخدام التكنولوجيا الحديثة والأيدى العاملة الكادحة مع احترام التقاليد والنمو المطرد للوعي والفكر .

ويحاول المحللون الأمريكيون حاليًا مقارنة نهضة الصين بالنهضة الألمانية التى حدثت فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تلك النهضة التى أدت إلى عدم استقرار النظام العالمى ككل . وترى الولايات المتحدة الأمريكية من واجبها تدعيم وتعزيز والإبقاء على حالة التعددية القطبية السائدة فى أوراسيا ، وهى المنطقة الوحيدة التى تفوق قدراتها مجمتعه الولايات المتحدة الأمريكية ، ويسكنها٧٥٪ من سكان العالم وتنتج ٦٠٪ من إجمالى الناتج العالمى و٧٥٪ من مصادر الطاقة العالمية. وعلى المدى القصير وفى إطار مثلث الصين ـ أمريكا ـ روسيا، فإن مهمة واشنطن الأساسية أصبحت تتمثل فى تحاشى ظهور أى تحالفات معادية من شأنها أن تتحدى وتعوق التفوق الأمريكى.[1] وعلى المدى المتوسط فإن على الولايات المتحدة أن تبحث عن شراكة مع تلك الدول التى تتصف بوزن ونهج سياسيين يمكن الإفادة منها للحيلولة دون قيام أى اتحاد أو تحالف روسى صينى متوقع _أما على المدى الطويل فإن واشنطن ستحاول تحاشى قيام وحده آسيوية أوربية تكون على حساب شراكة أمريكية مأمولة مع الصين زعيم التقدم الاقتصادى فى أوراسيا .

ولكن ما الذى يمكن أن يؤثر سلبا على مواقف ومكانة الولايات المتحدة فى هذا المثلث العالمى ؟ إن أهم شيء فى الوقت الحالى يمكنه التأثير سلبا على مكانة وموقع واشنطن هو إمكانية انهيار العلاقات مع الصين ، وهو أمر وارد خصوصًا عندما يتطرق الحديث إلى المحاور التالية :

١- أزمة تايوان .

٢- مشاعر الغضب الداخلى فى الصين تجاه الغرب ، والتى تصل إلى حد الثورة ضد كل ما هو غربى .

٣- الخلاف اليابانى الأمريكى ، والذى يمكن أن يؤدى إلى تقارب صينى - يابانى.

٤- سعى روسيا الغاضبة المفتقدة لأسلوب مناسب مقبول للتعامل مع الغرب للبحث عن شراكة جيوبوليتيكية مع عملاق آسيا النامى.

والفكرة كلها تكمن فى أن روسيا والصين على وجه التحديد يعلنان صراحة ودون مواربة شكوكهم حول جدوى نظام الأحادية القطبية وسياسته التى تود الولايات المتحدة فرضها. علاوة على ذلك فإن روسيا والصين وحدهما لديهما الإمكانات التى تعوق استقرار وبقاء نظام من هذا القبيل . ومرجع هذا التفاهم المتبادل بين روسيا والصين تاريخيا يعود إلى تجربة الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٨ ، تلك الحقبة التى شهدت إنشاء مجمع الحديد والصلب فى مدينة أوهان وأول مصانع سيارات صينية . لقد قامت روسيا بتقديم المساعدة القصوى لبناء الصناعة الصينية وخبرة الخمسينيات بين الأخوة فى الصين وروسيا عندما تحدوا حلف الأطلسى ، وأوقفوا الولايات المتحدة عند حدها فى الهند الصينية وكوريا، و هذه التجربة يمكن أن يعاد الإفادة منها من جديد.

وتتابع واشنطن بمثابرة ودأب أى تطورات وعمليات تتلاقى فيها مصالح تلك الدولتين العظميين ،الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى تنام مطرد ومتوازن فى كل منهما؛ فليس من مصلحة روسيا أن ترى انهيار الصين ، وليس من مصلحة الصين رؤية انهيار اتحاد كومونولث الدول المستقلة ، بل على العكس فعندما يصبح هؤلاء الجيران أقوياء بإنجاز التحديث الشامل يكون باستطاعتهم دعم التحديث فى الصين على أساس عامل الجوار .

واشنطن والشراكة الإستراتيجية بين موسكو وبكين

فى مايو ١٩٩٧ قام الرئيس الروسى بوريس يلتسين بإعلان دعم العلاقات مع الصين كإجراء مضاد لخطة توسيع حلف الناتو تجاه الشرق ، وقام الرئيس الصينى

زيان زيمين بزيارة موسكو فى سبتمبر١٩٩٤ ومايو ١٩٩٥وأبريل ١٩٩٧ وديسمبر١٩٩٨ ، كما قام رئيس الوزراء الصينى لى بين بزيارة موسكو فى يونيو ١٩٩٥ وديسمبر١٩٩٦ ، وقام تشو جوانزى الذى تولى رئاسة الوزارة بعد «لى بين» بزيارة أيضاً إلى روسيا فى عام ١٩٩٨ . وأجرى عدد كبير من اللقاءات بين وزراء من البلدين فى مختلف المجالات ، وأعرب الجانبان عن تمسكهما «بشراكة استراتيجية تقوم على المساواة والثقة المتبادلة والتنسيق الدائم كما تم حل مشكلة ترسيم الحدود بين البلدين ، وأعلنت الصين رسميا أن الأحداث فى الشيشان تعد شأناً داخلّيا روسياً ، ولم ترحب بتوسيع الناتو ، وأيدت فكرة انضمام روسيا إلى اتفاقية التعاون الاقتصادى لدول آسيا والمحيط الهادى. و من ناحيتها لم تقم روسيا أى علاقات رسمية مع جزيرة تايوان ، كما اعترفت بأحقية الصين فى إقليم التبت وأقرت أنه جزء لا يتجزأ من الدولة الصينية . وتم توقيع اتفاقية تعاون عسكرى بين البلدين ،كما تضاعف حجم التبادل التجارى بين البلدين ، من ٣,٨مليار دولار عام ١٩٩٤ ووصل إلى ٨ مليارات دولار فى عام ١٩٩٧ ، وأصبحت روسيا تحتل المرتبة الثالثة فى الشراكة التجارية مع الصين بعد أمريكا وألمانيا (٢) ، والمستهدف حاليا الوصول بحجم التبادل التجارى بين البلدين فى العامين القادمين إلى ٢٠ مليار دولار .

إن فكرة التحالف بين عملاقى أوربا وآسيا تلقى فى الصين تأثيرا متزايدا فى أوساط ذوى النفوذ والتأثير. وفى الوثائق السرية الصينية نقرأ أن روسيا بالرغم من المصاعب المؤقتة التى تتعرض لها فإنها ستظل كما كانت فى السابق قوة عظمى صاروخية ونووية ، وواحدة من القلائل الذين يستطيعون معارضة الولايات المتحدة فى السياسة العالمية . وينظر الصينيون إلى العامل الروسى على أنه شرط أساسى لتحقيق الصين أهدافها الإستراتيجية على الساحة الدولية . ويرى مركز الصين للأبحاث الإستراتيجية أن «تطوير التعاون السياسى والعسكرى والتكنولوجى مع روسيا سيدعم ويعضد المواقف الصينية الدولية على امتداد القرن القادم ويمنحها القدرة على النصر». ولقد قامت كل من الصين و روسيا بالعمل معا لصياغة سياسة مشتركة فيما يتعلق بقضيتى كوسوفو والعراق .

ويعتقد مؤلف كتاب «الصين والإستراتيجية الكبرى» – والذى صدر فى عام ١٩٩٧، وحظى باهتمام كبير –أن الصين يجب عليها أن تمضى قدما لتحقيق تعاون مع روسيا فى كل المجالات (بما فيها العسكرية) ، ويرى أنه على المستوى السياسى تتطابق مواقف كلتا الدولتين فيما يتعلق بجميع القضايا الدولية الكبرى . ويصل مؤلف الكتاب إلى نتيجة مفادها أن تدعيم الصين للتعاون والتقارب مع روسيا من شأنه أن يؤدى إلى دعم مواقف الصين و نجاحها فى صراعها مع منافسيها العالميين . ويصف السيد لو نانتسيوان نائب مدير مركز الدراسات الروسية والتابع لأكاديمية العلوم الصينية الموقف قائلاً : «إذا تعرضت العلاقات الإستراتيجية التى تقوم على الشركة بين الدولتين لأى تأثير خارجى بفعل التغيرات على الساحة الدولية . كأن تقوم الولايات المتحدة– على سبيل المثال– بالضغط الشديد على كل من الصين وروسيا فإن هذه العلاقات ستزداد قوة . أما إذا لم تقم أمريكا بالضغط على أى من البلدين أو قامت بالضغط على إحداهما منفردة فإن هذه العلاقات ستتعرض للضعف» .

إن واشنطن تستشعر الأهمية التاريخية لما يحدث بين البلدين ، وترى صحيفة واشنطن تايمز أن التقارب بين روسيا والصين هو الطريقة الرخيصة وغير المكلفة لبث مشاعر الخوف لدى الولايات المتحدة ... أما الهيمنة الامريكية الحالية فعلى الرغم من أنها تعوق التقارب التام بينهما إلا أنها في الوقت ذاته تجبرهم على التعاون فى مجالات وقضايا معينة ذات الاهتمام المشترك (٣) .

وتضع الولايات المتحدة كلاً من الصين وروسيا فى طليعة الدول ذات النفوذ الإقليمى والتى تحظى بالأولوية والأسبقية في سياستها ؛ فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وارين كريستوفر فى نوفمبر ١٩٩٣ وأمام لجنة العلاقات الدولية بمجلس الشيوخ أن «منطقة شرق آسيا والمحيط الهادى تمثل بالنسبة للمصالح الأمريكية أهمية لا تحظى بها أى منطقة أخرى فى العالم» (٤) ، ويؤيد هذه الفكرة فى جامعة جون هوبكينز والمستشار الأسبق للرئيس بيل كلينتون فى حملته الانتخابية؛ حيث يرى «أنه بعد انتهاء الحرب الباردة أصبحت كل من الصين وروسيا هما الدولتان الأهم بالنسبة للولايات المتحدة . وتكمن عوامل هذه الأهمية فى مساحة كل منهما

وقدراتهما الاقتصادية والعسكرية . ولا يقل عن ذلك أهمية بالنسبة للسياسة الخارجية لأمريكا ، وإن كان أقل وضوحا حقيقة ، وبغض النظر عن التناقضات المهمة بين كلتا الدولتين فإن كلا منهما بثقله النووى وتاريخهما الشيوعى والأرثوزوسكى يمثل تحديا قويا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية (٥) . ولقد رحبت الولايات المتحدة بتحسن العلاقات بين الصين وروسيا إبان أول زيارة رسمية يقوم بها وزير الخارجية الروسى كوزيريف إلى الصين فى مارس ١٩٩٢ . وقد قام الرئيس الصينى زيان زيمين بعقد ستة لقاءات شخصية مع الرئيس الروسى بوريس يلتسين أسفرت جميعها عن نتيجة أساسية مضمونها «أن التعددية القطبية فى العالم تنمو وعلى نحو سريع» ، إلا أنه وبعد الإعلان عن الصفقات العسكرية الضخمة بين البلدين فى ١٩٩٤ بدأت واشنطن فى الإعلان عن مخاوفها . وبعد الزيارة الرسمية التى قام بها إلى موسكو الرئيس الصينى فى سبتمبر ١٩٩٤ وتطوير فكرة الشراكة الإستراتيجية بين موسكو وبكين بدأ بعض موظفى الحكومة الأمريكية فى إظهار مخاوفهم إزاء جوهر وأهداف السياسة الصينية تجاه روسيا ، تلك المخاوف التى أخذت تتنامى مع مرور أعوام على إقامة هذه الشراكة ومع تطورها» (٦) .

ورداً على سياسة الصين التوسعية فى حدود جيرانها المحيطين بها يقترح الخبراء الأمريكيون الالتزام بسياسة ضبط النفس فى العلاقة بالصين (٧) ،كما أنهم يدرسون إمكانية الالتزام بنفس السياسة وفى نفس الوقت تجاه روسيا المريضة ؛ فمن ناحية من المنطقى عدم مواجهة عملاقين كبيرين فى مثل هذا الحجم وفى وقت واحد ، إلا أنه ومن ناحية أخرى فإن هذا سيعطى أساسا عقليا ومبررا لسياسة الهيمنةالعسكرية الأمريكية على العالم ، وهو الأمر الضرورى لتشكيل رأى عام وتمرير الميزانية العسكرية فى الكونجرس الأمريكى .

وفى الوقت الحالى فإن هناك ثلاثة عوامل أو ثلاثة ظروف تعوق ترجيح روسيا لخيار أوراسيا على خيار الجنوح نحو الغرب .

أولاً : أن الحكومة الروسية تعلم تماما حجم التضحيات التى يمكن أن تتكبدها إذا قامت بكين بتفضيل واشنطن يوما ما ؛ ففى سنة ١٩٩٦ كان حجم التبادل التجارى

بين روسيا والصين يمثل ٥,٦ مليار دولار فى حين بلغ حجم التجارة بين روسيا و دول ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادى ٧٠ مليار دولار [٨]. وشملت صادرات الغرب إلى روسيا منتجات معقدة تكنولوجيا وضرورية لروسيا. إن الغرب على وجه التحديد وليس الصين أو الهند يمكنه أن يقدم لروسيا قروضا ويمنحها استثمارات كما أن تحويل التوجه نحو الصين أو الهند يمكن أن يكلف الاقتصاد الروسى الضعيف ثمنا غاليا . ولأن من السهل على روسيا الإعلان عن خطط خيالية وذلك دون تحقيق أى منها .

وثانيًا : فإن البنوك ورؤساء كبريات الشركات الروسية أسسوا لوبياً غربياً من نوع خاص فى روسيا من الصعب على مناصرى التوجه الإستراتيجى نحو آسيا أن يتجاوزه أو أن يقضوا عليه . إن اللوبى الروسى من الموظفين ورجال الأعمال المناصر للتوجه الغربى يؤمن التحرك لمصلحة اندماج روسيا للمنظمة الاقتصادية التى تدار من قبل الولايات المتحدة الأمريكية [٩] .

وثالثًا : إصرار الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بشكل عام على عدم السماح للمصالح الروسية بالتغلغل فى آسيا . وأمريكا ما زال لديها الكثير من الوسائل التى لم تستنفذ بعد؛ فواشنطن تتذكر جيدا ما حدث عام ١٩٤٩ ، وهى على استعداد لعمل أى شيء لتحاشى تكرار ذلك . على أنه «لو بدأت الظروف الاقتصادية فى روسيا فى التحسن وبدأ الشعب يرى وميضاً من الأمل ، فإن قادة روسيا سيكون لديهم عندئذ فرصة لتحقيق سياسة خارجية متوازنه مع الجانبين فى إطار التحرك المستمر نحو الغرب أما إذا لم يتمكن الاقتصاد الروسى من التعافى واستمر انخفاض مستوى المعيشة فى روسيا فإن تحقيق هذه الدرجة من السياسة المتوازنة مستبعد تماما» [١٠] .

تجارة الأسلحة

يعد محور روسيا الصين واحداً من محاور المثلث الإستراتيجى العظيم ، ولقد وجد هذا المحور الأساس الموضوعى للتعاون العسكرى المتبادل ؛ ففى فترة التسعينيات أصبحت الصين السوق الرئيسى للأسلحة الروسية ؛ حيث بلغت نسبة الواردات العسكرية الصينية من الأسلحة الروسية ما يعادل ٢٦ ٪ فمن ناحية تعتبر الصين

الصناعة العسكرية الروسية الصناعة الرئيسية بالنسبة لها وبامتلاكها ١٤٠ مليار دولار من الاحتياطي القومي النقدى فإن الصين بقدرتها شراء أى تكنولوجيا توافق روسيا على بيعها . ومن ناحية أخرى (وكما يعتقد السفير الأمريكى الأسبق فى بكين جيمس ليلى) فإن شراء الصين من روسيا أسلحة بهذه الجودة وتلك السهولة «تعد فرصة لا تتكرر إلا مرة كل مئة عام» . و قد بلغ حجم صادرات الأسلحة الروسية إلى الصين فى الف ١٩٩٤ –١٩٩٨ رقماً هائلاً بلغ ٦.٥ مليار دولار . فقد تلقت الصين من روسيا ٧٢ مقاتلة من طراز سوخوى– ٢٧ وخمسين دبابة تى– ٧٢ وثلاثمئة صاروخ من طراز «أرض جو» اس ـ ٣٠٠ وست غواصات ، كما أن الاتفاقية التى وقعت فى عام ١٩٩٦ تشتمل على قرارات بنقل تكنولوجيا أكثر حداثة إلى الصين ، جزء منها لم يتم استخدامه فى تسليح الجيش الروسى نفسه . إن بيع روسيا للصين طائرات وغواصات وصواريخ «أرض جو» وعدد من الدبابات سيحول الصين إلى زعيم عسكرى إقليمى لا يمكن تحديه . إن المساعدات العسكرية والاقتصادية الروسية ستسمح للصين فى خلال عشر سنوات بإنتاج ١٥٠ طائرة سو_٢٧ خاصة بها ، وهى طائرة صممت خصيصا لمواجهة المقاتلات الأمريكية من طراز اف_١٥ واف_١٦ والتى باعتها أمريكا لتايوان.

لقد تطابقت المصالح الروسية الصينية فى هذا المجال فقد استغلت روسيا الفرصة لإنقاذ صناعتها العسكرية الضخمة والجبارة . وفى الوقت الذي تعثرت فيه روسيا بدت الصين دولة قوية . تستغل خبراتها فى اختراق الأسواق الغنيه فى العالم (أمريكا واليابان فى المقام الأول) فضلا عن استغلالها لقدراتها و خبراتها فى الاقتباس والتقليد. وروسيا يمكنها الإفادة واقتباس الكثير أيضا وامتلاك القدرة على تصنيع الأجهزة الإلكترونية والمنزلية والآلات البصرية . إن كل المصنوعات الصينية لقيت انتشاراً واعترافاً فى السوق الروسية ؛ فإذا أصبحت الصين العملاق الإقتصادى ـ وحاليا العسكرى الأكبر فى أوراسيا فإن هذا سينعكس بشكل جذرى على ميزان القوى العام فى العالم .

موضوعية التقارب

ليس هناك من شك فى أن التقارب الروسى الصينى يكتسب أهمية ضخمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . وليس هذا بمستغرب أن تسعى أمريكا بشكل حثيث للتأثير على التفاهم الروسى الصينى فى المجال العسكرى ، وأن تحاول الإبطاء من عملية تسليح روسيا للصين وجذب اهتمام روسيا بعيدا عن سياسة تشكيل عالم متعدد الأقطاب فى مواجهةعالم القطب الأمريكى الأوحد .

إن التقارب مع الصين تعد القضية الإقليمية الرئيسية التى تباعد بين روسيا وأمريكا ؛ فالجانب الأمريكى لا يعترف بحق الصين فى السيادة على جزيرة تايوان والتبت فى حين أن روسيا تعترف بهذا الحق . والولايات المتحدة مستعدة للقيام بعمل عسكرى فى سبيل الحفاظ على سيادة تايوان ، وهى تخشى التنامى السياسى والعسكرى المطرد للصين فى منطقة شرق آسيا ، فى حين أن روسيا تدعم هذا النمو .

ويرى السيد ام . ماند يلباوم «أن التناقضات والخلافات الحادثة بين الولايات المتحدة من ناحية وروسيا والصين من ناحية أخرى تنبع من حقيقة أن كلتا الدولتين روسيا والصين تنتميان إلى الدول التى تحوى قوميات كثيره مختلفة ، وفى كل منهما هناك مجموعة عرقية غالبة ، وتمثل الأقليات نسبة قليلة من العدد الكلى للسكان ، إلا أن هذه الأقليات تملك من الوعى القدر الكافى للتعبير عن عدم رضاها بل والتمرد على الحاكم» (١١) .على سبيل المثال الشيشان فى روسيا وسكان التبت فى الصين . وهؤلاء جميعهم يلجأون إلى الولايات المتحدة التى لا تعترف حكومتها باستقلال هاتين المنطقتين ـ وهو الأمر الذى تسعى إليه تلك الشعوب الصغيرة ـ إلا أن أمريكا لا يمكنها تجاهل ما يحدث ، وهذا يمثل أهم عامل من عوامل الضيق والإثارة داخل المثلث الإستراتيجى العظيم : أمريكا ـ روسيا ـ الصين .

والجديد فى هذا المثلث أن حكومات كل من روسيا والصين – والذين اشتهروا بالقوة والمركزية – أصبحوا أقل تأثيراً وأضعف نفوذاً ، وهذا التحول الذى طرأ على تقليد ساد لأمد طويل سيخلق بين الولايات المتحدة وكل من روسيا والصين موقفا يمكن أن يسمى «نحن وهم» . وعندئذ لن يكون من السهل على الوعى الأمريكى أن

يقبل بفكرة أن أعداء الأمس يهددون حاليا وضع أمريكا المستقر ليس من منطلق القوة بل من منطلق ضعفهم . و بتعبير آخر فإن ضعف السيطرة على الأسلحة النووية يمثل خطورة بالنسبة لروسيا ليست أقل منها بالنسبة لأمريكا ، إلا أن الأمريكيين الذين يعيشون ظروفاً جيدة يشعرون بهذه المشكلة علي نحو أكثر حدة .

إن الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن الصين لن تصبح دولة عظمى فى القريب مهما بلغت مؤشراتها الاقتصادية فى الارتفاع . وقد يكونون قد أخطأوا فى هذا التقدير، وبذلك يكونو قد منحوا فرصة كبيرة لموسكو . فالأغلبية العظمى من الطبقة العليا فى أمريكا ليست مستعده لاعتبار التحرر الاقتصادى الداخلى فى الصين شأنا صينيا داخليا وليست مستعده أيضا لتسليم تايوان، كما أنها ليست مستعده لهيمنة الصين على المنطقة أو لأى دور وسيط تلعبه دولة اليابان القوية وهى التى تعد المحمية الأمريكية فى المنطقة . إن هذا سيلزم بكين تبحث عن دعم ما يعطى فرصه لروسيا ويجعل التعاون الروسى الصينى ضد عالم القطب الأوحد أمراً واجباً وطبيعياً ، وكما يعتقد الباحث الأمريكى «فإن روسيا والصين قد تعبا من اعتداء الولايات المتحدة على مناطق نفوذ كل منهما»(١٢) .

تعدد الأوجه

غير أن الموقف فى إطار المثلث الصينى الروسى الأمريكى هو موقف ذو دلالات متعددة ، وكما يرى العديد من السياسيين الأمريكيين – بجيزينسكى على سبيل المثال– فإن التاثير الصينى المتنامى فى آسيا الوسطى سيضعف من إمكانات روسيا فى تلك المنطقة . وفيما يتعلق بهذا الموضوع فإن هناك مجموعة من التناقضات الكبيرة بين الطرفين يمكن أن تجد فيها الولايات المتحدة والصين منطلقا لسياسة متوازية تهدف لإضعاف المصالح الروسية فى هذه المنطقة . ويبدو بعض المحللين متشائمين جدا فى هذا الصدد ومنهم السيد جون هيلين الذى يعمل فى مجلس العلاقات الدولية ؛ حيث يقول «أحيانا تجرى روسيا والصين لقاءات على أعلى مستوى تحت شعار (الشراكة الإستراتيجية) إلا أن هذه اللقاءات إما أنها لا تؤتى بأى ثمار وإما أنها تؤتى بنتائج غير ذات معنى» (١٣) . إن الصين المتنامية القوة من الممكن أن ترى

فى المستقبل فى أمريكا شريكاً إستراتيجيًا طبيعيًا حتى لو كان ذلك نابعا من تصور أنه (خلافا لليابان وروسيا) فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تملك أى خلافات إقليمية مع الصين . وفى الصين يدركـون جـيـدا أنه بدون واشنطن لن يتـوافـر تدفق الاستثمارات الضرورى للاقتصاد الصينى .

ومن المميـز أيضـا تأثيـر الهند العـمـلاق الآسـيـوى الثـانى على هذا المثلث الإستراتيجى، فالقوات المسلحة الهندية مدعومة بأسلحة روسية بما نسبته ٧٥٪ وقد استوردت الهند فى الفترة من ١٩٩٠ وحتى١٩٩٦من روسيا ما قيمته ٣,٥مليار دولار من الأسلحة. (بمعدل سنوى ٨٠٠ مليون دولار) وقد اعتمدت الهند خطة لشراء أسلحة روسية حتى عام ٢٠١٠ . ويولى الأمريكيون اهتماما خاصا بعلاقة الهند مع دول المثلث العظيم ؛ فبدون المساعدة السياسة من جانب روسيا تبدو الهند محاصرة بالتعاون الصينى الباكستانى . و تأمل واشنطن– و هى تضع فى الاعتبار هذا التوجه الروسى نحو الهند – المحافظة على الهند كعنصر معارض للصين (فى حالة احتدام العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان) . ويخلق هذا النهج تربة جيدة لاحتدام التنافس بين روسيا وأمريكا على بسط النفوذ فى الهند . وحتى الآن فإن موقف روسيا بالنسبة للهند يبقى هو الأفضل ، إلا أنه فى ضوء استمرار حالة الضعف الروسى فإن الموقف يمكن أن يتغير ضد مصلحة موسكو . وقد تحدث الأمريكيون عن إقامة علاقة عسكرية دائمة مع الهند وتحويل جيشها نحو التسليح الأمريكى فى الوقت الذى قامت فيه التجارب النووية الهندية بإعادة مفهوم الحظر الأمريكى للحياة الأمر الذى كان له تأثيرا سلبيا علي التقارب بين البلدين . وفى هذه المرحلة الحرجة للهند على وجه التحديد قدمت موسكو عونا حقيقيا وملموسا لها ، وهو الأمر الذى أعطى دفعة قوية للعلاقات بين موسكو ودلهى . وتنوى الهند شراء وحدات دفاع جوى من طراز اس- ٣٠٠ ومقاتلات سو- MK ٣٠ ودبابات تو- ٧٢وثلاث فرقاطات وغواصة، وذلك فى إطار خطة تعاون عسكرى طويلة الأمد مع روسيا تستمر حتى عام ٢٠١٠ .

غير أن أمريكا تأمل على وجه التحديد فى أن لا يتحقق تحالف أوراسيا الوسطى والشرقية ، والتى تمثل العدو الرئيسى لها ، وتؤكد –بكل رضا –أن الصين لم تدعم

روسيا بشكل مباشر في مواجهة مشروع توسيع الناتو ؛ حيث إن الدعم الصريح لروسيا كان سيعني مواجهه مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما لا يريده الصينيون . إن بكين التي تسعى لانتهاج سياسة خارجية متوازنة في علاقاتها الدولية لا يمكنها أن تقوم بهذه الخطوة التي من شأنها أن تعقد علاقاتها مع أمريكا ، كما أنه ليس واضحا ما إذا تلقت الصين في مقابل ذلك من روسيا . وفي سياق ذلك فإن الظروف التالي ذكرها واضحة للجميع ؛ فالصين كانت تود لو تمكنت من الحصول على التكنولوجيا الأمريكية المتقدمة والضرورية لتحقيق القفزة الاقتصادية الهائلة المتوقعة والانضمام إلى قائمة الدول الرائدة في العالم ، كما أن روسيا تسعى للانضمام إلى نفس القائمة ، ولذلك فإنها تتفهم تماما التحفظ الصيني .

وباختصار شديد يمكن القول إن المحور الصيني يبدو الأهم في دائرة التناقضات الإقليمية بين روسيا وأمريكا ؛حيث يتمتع هذا المحور بأهمية عظمى وآفاق تاريخية . ويتوقف التعاون أو التنافس بين أمريكا وروسيا في القرن الحادي والعشرين على حل هذه القضية ؛ إذ يشهد هذا القرن – وبعد انهيار الشيوعية العالمية –عودة العالم إلى منابعه الحضارية .

وتأمل روسيا في تفهم الصين للعمل على مواجهة سياسة الأحادية القطبية. وفي الوقت نفسه فإن أمريكا لم تفقد الأمل في أن ترى في روسيا حليفا لها في مواجهاتها المستقبلية مع منطقة شرق آسيا، وكل من واشنطن وموسكو يرى المخاطر المحتملة . وفي المرحلة الحالية فإن كلتا الدولتين يأملان في تحاشي المواجهة حتى لو استمر كل منهما في اتباع سياسة مختلفة في علاقته بدولة الصين الآخذة في النمو .

فضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي

انطلاقا من وجهة نظر مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية فإن روسيا وحدها لن تستطيع في المستقبل المرئي أن تستعيد لقب القطب الاقتصادي والإستراتيجي المستقل، إلا أن فرص موسكو في استعادة بعض المواقع المهمة تلوح في الأفق إذا أخذنا في الاعتبار عنصر العلاقات الروسية الخاصة مع جمهوريات كومونولث الدول المستقلة .

والحلقة الثانيـة (بعد حلقة العلاقات الصينية الروسيـة الأمريكية) من الخلافات الإقليمية بين روسيا وأمريكا تمتد إلى فضاء الاتحاد السوفيتى السابق . وهذا النوع من المشاكل ظهر فقط فى التسعينيات مع انهيار الاتحاد السوفيتى ؛ حيث قامت الولايات المتحدة بإجراء تحول كبير فى سياساتها نتيجة للتحول التاريخى غير المسبوق والمفاجئ الذى حدث فى موسكو فى ديسمبر ١٩٩١ (تفكك الاتحاد السوفيتى إلى جمهوريات مستقلة) . وقبل ذلك وفى يوليو ١٩٩١ دعا الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الأب الأوكرانيين إلى عدم تقسيم الدوله وعدم إعطاء فرصة لقوى الانفصال للانتصار على الديموقراطية ، وأن لا يهدموا دولة عظمى جميعا من أجل مصالح جزئية ، وفيما بعد وفى عامى ١٩٩٢و١٩٩٣ قامت الإدارة الأمريكية بدافع الخوف من الترسانة النووية فى أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان بالعمل على تدعيم موقف روسيا فى استرداد هذا السلاح الإستراتيجى ، والذى تركته روسيا بشكل ساذج فى حوزة تلك الدول حديثة العهد بالاستقلال . لقد انتصرت غريزة حفظ الذات، وانتهجت كل من روسيا وأمريكا سياسة متوازية فى علاقاتها بدول الكومونولث، وكل منهما لا يأمل فى أن يصبح مصيره مرهونا بإرادة و رغبة قوى سياسية جديدة وغير ناضجة .

إلا أن هذا النهج سرعان ما انتهى وأصبحت الجمهوريات السوفيتية السابقة ساحة للتنافس والصراع بين روسيا وأمريكا . وهذا التحول لم يكن قدرا تاريخيا ، إلا أنه كان هناك اتجاهان غير مرغوب فيهما قد فرضا تأثيرهما بشكل كبير : أولهما : القوى القومية النامية فى الجمهوريات الجديدة ، والتى بدأت تبحث عن وصى وداعم خارجى فى مواجهة الهيمنة الروسية ، وثانيهما : ظهور قوى سياسية فى أمريكا تعارض فكرة إعادة توحيد دول الاتحاد السوفيتى السابق ، حيث تعتبر ذلك تهديدا لمكانة أمريكا الجيوبوليتيكية الفريدة كدولة عظمى وحيدة فى العالم .

لقد جرى تقسيم الحدود الروسية إلى أربعة قطاعات كبرى : أوكرانيا ، ودول البلطيق ، والقوقاز، وآسيا الوسطى . ومع بداية القرن الجديد كان قطاع القوقاز مثارا مباشرا للتوتر والصراعات.

ولا يقل أهمية عن هذا القطاع قطاعان آخران هما آسيا الوسطى وأوكرانيا ؛ حيث إنهما يعدان منطقتين كبريين تتسم كل منهما بالتوحد ، كما أنهما لا ينشغلان بأى صراعات داخلية . إن أى برود فى العلاقات مع هاتين المنطقتين من شأنه أن يغير المكانة الجويوبوليتيكية لروسيا إلى الأسوأ .وإذا تناولنا روسيا وأوكرانيا على وجه التحديد و هؤلاء يمكن وصفهما بأنهما دولتين صناعيتين سابقتين من الحجم المتوسط. ويمثلان معا تكتلا قويا ينمو وزنه بصورة سريعة فى منطقة وسط وشرق أوربا وكذلك فى أوراسيا الشمالية بشكل عام . وسوف يكون من المحتم على أوربا الغربية التوجه للولايات المتحدة ودعوتها للتعاون والدعم، وذلك لإحداث توازن مع تكتل بهذا الحجم يجذب نحوه دولا عديدة منها روسيا البيضاء وكازاخستان وكرجيستان ومولدوفيا وأرمينيا وطاجيكستان ، وفى المستقبل القريب جورجيا وبقية دول آسيا الوسطى ، ولهذا السبب فإن واشنطن تولى اهتماما خاصا بأوكرانيا من بين كل دول الكومونولث .

التعدى على السيادة

اعتبر إفجينى بريماكوف توسيع حلف الناتو والصعوبات التى تحول دون تحقيق تكامل بين دول الكومونولث أكبر معوقين على طريق تحسين العلاقات مع الغرب وأمريكا فى المقام الأول (يوليو ١٩٩٦) . وتحدث بريماكوف الذى تولى مستقبلا منصب رئيس وزراء روسيا عندئذ عن «قرابة الدم» بين دول الكومونولث ، والتى يعتبرها الأمريكان عدوانا على سيادة دول مستقلة . وكانت أولى زيارات بريماكوف إثر توليه منصب وزير الخارجية قد شملت أوكرانيا وكازاخستان وروسيا البيضاء و أوزبكستان . ويقول المتشائمون من الساسة الأمريكيين إن الحديث فى هذا المقام يدور حول أهداف خاصة مستقبلية وعن رموز إيمانية وليس عن إستراتيجية محددة لدولة روسيا الضعيفة . «إن روسيا لا تستطيع أن تسمح لنفسها باتباع خطط نفذت وصممت للاتحاد السوفيتى المنقرض ولا يمتلك العسكريون الروس قوات يملأون بها القواعد الروسية القائمة ولا توجد أموال لتمويل مشروع الوحدة الجمركية أو قوات الحدود الموحدة أو القواعد العسكرية أو منظومة الدفاع الجوى المشتركة أو العملة الموحدة .

أضف إلى هذا أن محاولة تدعيم العلاقات مع روسيا البيضاء وكازخستان وكيرجستان لا تمثل نموذجا تحتذى به بقية الدول المستقلة الأخرى مثل أوكرانيا و أوزبكستان حيث ستزيد من تباعدهم عن اتحاد الكومونولث [١٤] . غير أن المتشائمين بين الأمريكيين يتفقون مع حقيقة أن روسيا بقوتها الآخذه في الضعف قادرة رغم ذلك على التأثير بشدة على دول الكومونولث بشكل عام وعلى دول حديثة لم تستقر بعد مثل طاجكستان بشكل خاص . وفي هذا السياق فإن هناك قناعة في أمريكا بأن من غير الممكن مقارنة دول مثل طاجكستان بدول أكثر قوة وإمكانيات مثل أوكرانيا وأوزبكستان وأذربيجان ؛ فهذه الدول تمتلك الإدارة والمصادر الكافية للتطور المستقل كما يعتقد ويؤكد المتخصصون الأمريكان ، إلا أن تلك القوة لا تأتى من تلقاء نفسها ؛ فعلى سبيل المثال يؤكد السيد بجيزنسكى «أن قدرة أوكرانيا وكازخستان على الحياة ستكون هشة جدا إذا لم تقدم لهم الولايات المتحدة المساعدة الضرورية في مجال الوحدة الوطنية» [١٥] .

ومن خلال كل من الدراسات السياسة والمقالات والأبحاث التى قام بها الباحثون الأمريكيون ترتسم لوحة تبدو فيها الولايات المتحدة دون قدرة على التدخل النشط في الدول المحيطه بروسيا ، و من ثم فقد حددت أمريكا ثلاث دول بديلة كدول مفضلة بالنسبة لها ، وهى أوكرانيا (الدعم الأمريكى الأقصى) وكازاخستان (الاستثمارات القصوى) وأذربيجان (النشاط الأقصى للشركات الأمريكية) وبهذه الطريقة نفسها تكون قد وضعت حداً للنفوذ الروسى في تلك المنطقة التى تمثل ثلاثة محاور أساسية : محور البلقان (أوكرانيا) ومحور القوقاز (أذربيجان) ومحور آسيا الوسطى (كازاخستان) ، ويضع المتخصصون الأمريكيون هذا الهدف نصب أعينهم مبررين ذلك بأن أوراسيا ستكون أكثر رضا بجيران مزدهرين وبمحيط دولى أكثر استقرارا . إن الدول المجاورة النامية – بشكل سريع وناجح –سيساعدون المناطق الروسية القريبة، وسيحولون روسيا إلى «دولة قانعة» ، دولة حامية للوضع الراهن ، ونتيجة لذلك فإن انعدام الحالة المركزية في دول أوراسيا ستساعد الولايات المتحدة على حل القضية الإستراتيجية الأهم في العشر سنوات القادمة : تحاشى نهوض أى من دول أوراسيا (أو أى تحالف بين تلك الدول) على المستوى العالمى، وتحاشى ظهور منافس

ذو قدرات قارية واسعة من شأنه أن يقلل من قيمة النصر الأمريكى فى الحرب الباردة، وأن يهدد المصالح الأمريكية فيما وراء المحيط، وأن يحول أمريكا من جديد إلى دولة دفاعية .

بديل توسيع الناتو

لقد مر الوقت منذ كان الرئيس بوش يسعى لإقناع القيادة الأوكرانية بعدم قطع العلاقات الحيوية مع روسيا . إن الجمهوريات الخمس عشرة فى الاتحاد السوفيتى السابق ، والتى تم قبولها فى مجلس الأمن بوصفها دولا مستقلة لها كل الحقوق الدولية تتعامل فى الوقت الحاضر مع الغرب باعتبارها دولاً ذات سيادة مطلقة . وقد ظهر اتجاه قوى بين مؤيدى توسيع حلف الناتو لضم تلك الدول الحليفة السابقة للاتحاد السوفيتى فى أوربا الشرقية . ويشير مؤيدوا هذا الاتجاه إلى وسيلة مؤثرة لردع روسيا عن مجابهة هذا التيار، وتتمثل هذه الوسيلة فى الدفع بالسياسة الخارجية الأوكرانية نحو الاستقلالية . ويرى السيد م . ماندلباوم «أن بولندا فى نهاية الأمر لا تتعرض لتهديدات مباشرة من جانب روسيا . وإن أوكرانيا تعتبر الدولة الأهم بالنسبة للغرب والمعرضة لمخاطر مباشرة فى حالة تجدد العداوة الروسية . غير أن أحدا لا يستطيع أن يقترح على أوكرانيا الانضمام لحلف الناتو . فى حقيقة الأمر الناتو يتعامل مع أوكرانيا باعتبارها أنها دولة طرفية، فى حين أنها دولة تحتل موقعا رئيسيا» [١٠] .

وقد تشكلت الظروف بحيث بدت القوى المركزية فى أوكرانيا التى تكافح من أجل وحدة الجنس السلافى الشرقى بدت عاجزة أمام النزعة القومية المفرطة ، وأصبحت أوكرانيا تمثل الدوله الأوربية الأخيرة التى تمتلك حدود مع أوراسيا الروسية المتنافرة مع الغرب وظهرت لموسكو مشكلة جديده تتمثل فى ليس فقط خسارة وفقدان الحليف الأكبر ، بل وتشكيل كوردون عسكرى دولى فى محاولة لحصار روسيا ومطارتها فى اتجاه الأدغال العميقة وإلى العزلة القارية الصماء وإلى الفضاء البرى .

وطبقا لوجهة النظر المسيطرة فى الولايات المتحدة فإن الهدف الأهم لأمريكا فى دول الكومونولث يتمثل فى تحاشى أى تقارب روسى أوكرانى . وقد رسمت زيارة الرئيس الأمريكى كلينتون إلى كييف فى مايو ١٩٩٥ ملامح الفكرة الأمريكية ؛ فمن

خلال الحفاظ على العلاقة الودية مع حكومة موسكو الضعيفة يتم بذل كل القوى والجهود من أجل الإسراع بفرض السيادة الأوكرانية الكاملة إقليميا . وبشكل غير مباشر وطبقا للاتفاقية التى أبرمت مع روسيا وأوكرانيا ١٩٩٤ أعطت الولايات المتحدة ضمانات لاستقلالية وسيادة كييف . وهذا يبدو بشكل واضح فوق كل ما ذكر، وينعكس فى إجراء مناورات عسكرية مشتركة وفى الوثيقة الخاصة التى أبرمت بين الناتو وأوكرانيا فى١٩٩٧ ... الخ .

وتعد السفارة الأمريكية الأكبر حجما بين السفارات الأجنبية فى أوكرانيا لما أن كانت الهيئات الحكومية والصناديق الخاصة الأمريكية الواقعة فى أوكرانيا نشطت بشكل خاص فى الفترة الأخيرة . وتعد المعونة الأمريكية لأوكرانيا الأكبر حجما فى قائمة المعونات التي تقدمها أمريكا لدول الكومونولث ٧٠٠ مليون دولار فى ١٩٩٥) وإذا أضيفت المليار دولار التى قدمت لأوكرانيا فى شكل قروض لدعم الميزانية ، فإن أوكرانيا بذلك تكون أكبر متلقٍ للمعونة الأمريكية(١٧) . وتأتى بذلك فى مرتبة متقدمة عن روسيا . وللتذكير فإن الرقم الإجمال للمساعدات الأمريكية لدول الكومونولث بلغ فى ١٩٩٩ إلى ٨٤٧ مليون دولار (بزيادة قدرها ١٠ ٪عن عام ١٩٩٨) . ويبلغ نصيب روسيا منها ١٣٠ مليون دولار ، بالرغم من أنها تمثل نصف حجم سكان دول الكومونولث مجتمعة .

أمريكا لا تعترف بمفهوم دول الحوار

إن الروس يمكنهم التحدث عن صلات تاريخية واقتصادية وفسيولوجية وغيرها، لكن الأمريكان لا يمكنهم قبول أى تنظير لسيادة محدودة وضعيفة لدول الاتحاد السوفيتى السابق . إن اتباع روسيا سياسة من هذا القبيل من شأنه أن يهدد العلاقات الروسية الأمريكية ؛ حيث يمكن لأمريكا أن تفرض عليها ضغوط المديونية والحصار التكنولوجى والاغتراب الثقافى ، وأخيرا سباق تسلح على نفس المستوى الذى كان عليه فى السابق وإعادة الميزانيات العسكرية إلى سابق عهدها فى تلك الدول التى قامت بتقليصها (الولايات المتحدة ـ بريطانيا ـ ألمانيا) . إن الطبعة الجديدة من الحرب الباردة كتحول واضح للأحداث يمكن النظر إليه على أنه رد الفعل الواقعى على عودة ظهور قوة مركزية فى شرق أوربا .

ويمكن لأمريكا اتخاذ إجراءات أكثر خطورة من تلك الإجراءات «العادية» ؛حيث تستطيع دعم القوى القومية المناهضة للروس فى كل أجزاء الاتحاد السوفيتى السابق وأولها أوكرانيا، وهذا يعنى تقديم الدعم لمنطقتى لفوف وكييف ضد منطقتى خاركوف وسيمفيروبول . وليس هناك من شك فى أن السياسة الأمريكية الصارمة تجاه هذه القضية تعنى بالنسبة لروسيا بناء كوردون جديد وقائى ضد أى جهود دافعة لإعادة التعامل والتوحد فى تلك المنطقة . إن طرح من هذا القبيل لمستقبل دول الاتحاد السوفيتى السابق يمتلك عدة نقاط بالغة الضعف بالنسبة للغرب ؛ حيث إن أمريكا بعيدة جدا عن هذه المنطقة فى حين أن روسيا هى الأقرب كما أن الأمريكان تاريخيا بعيدون عن هذه المناطق فى حين أنها معروفة جدا بالنسبة للروس ؛حيث كانت هذه المناطق دائما تمثل الشريك التاريخى لروسيا، ونظرة واحدة لخريطة العالم يمكنها أن تؤكد ما نقوله ؛ فلدى روسيا وأوكرانيا أكثر من ١٥٠٠ طريق سيارات مفتوح فى حين أن هناك أربعة طرق فقط تقود الأوكرانيين إلى الغرب وحتى هذه الطرق القليلة تمتلئ بحرس الحدود ورسوم المرور المرتفعة . ولن يكون من الزائد عن القول أن نذكر بالحجم الضخم للتجارة المتبادلة وحقيقة أن هناك أكثر من ١٢ مليون روسى يقيم بأوكرانيا وسفر الأوكرانيين الدائم وبكثافة للعمل فى روسيا . وهكذا فإن الانشقاق الذى حدث بين الدولتين السلافيتين العظميين أضر- بشكل كبير بالمكانة – الجيوبوليتيكية لروسيا . إن ابتعاد أوكرانيا عن روسيا غير من خريطة توزيع القوى فى أوربا الشرقية، وأثر بدوره على ميزان القوى فى العالم- ميزان القوى بين روسيا وأمريكا . وهنا بالذات – فى أوكرانيا – تكمن قوة الصراع بين روسيا وأمريكا ؛ فإذا كانت واشنطن قد رأت مصالحها الحيوية فى بولندا فى فترة الحرب العالمية الثانية١٩٤٥ فإنها اكتشفت هذه المصالح فى مطلع القرن الواحد والعشرين فى أوكرانيا . وعلى ما يبدو فإن أمريكا لا يمكنها بذلك أن تتجنب اتجاه علاقاتها مع روسيا نحو التدهور والمواجهة.

جنوب الكومونولث

تنشط الولايات المتحدة الأمريكية على الحدود الجنوبية لروسيا ؛حيث تعمل إدارتها على بناء وتدعيم عوامل زيادة النفوذ وأوكرانيامريكى فى المنطقة . إن دول الحزام

الجنوبى لروسيا من كازخستان شرقا وحتى مولدوفيا غربا قد حصلت على مساعدات أمريكية (طبقا للفقرة ٩٠٧ من القانون الأمريكى للمعونات عام ١٩٩٢) . فقد تلقت كازاخستان وأوكرانيا دعما اقتصاديا خاصا لتوسيع مشروعات تربية الماشية، وكما تم تقديم دعم خاص إلى تلك الدول التى تعد دعامه العالم المحيط بروسيا مثل أوكرانيا وأوزبكستان وأذربيجان . إن الحدود القوقازية الجديدة لروسيا تعانى من الحروب ، وتعد مسألة تهدئة منطقة شمال القوقاز المشكلة الأساسية بالنسبة لروسيا .

إن منطقة ما وراء القوقاز المصابة بداء القومية العنيفة تحاول بكل قوة أن تحيد نفسها ، إلا أن عقدة التناقضات فى هذه المنطقة من شأنه أن يجذب لها قوى غير مرغوب فيها بالنسبة لكل من روسيا والولايات المتحدة (إيران - تركيا) كما أن غبار التاريخ لن يستقر سريعا؛ فحالة جورجيا وأرمينيا وأذربيجان ما زالت تؤثر -بشكل ديناميكى -على منطقة شمال القوقاز فى روسيا ، وهذه الحالة يمكنها تهديد طرق أنابيب نقل البترول التى تعتمد عليها الولايات المتحدة .

إن توغل إيران - العدو الأول لأمريكا -فى منطقة ما وراء القوقاز، وكذلك تركيا التى تقع تحت عباءة أمريكا وعودة مراقبين من الأمم المتحدة ومنظمة الأمن والتعاون الأوربى إلى المنطقة ، كل هذا من شأنه أن يضعف موقف روسيا التى تسعى لأن تجعل من هذه المنطقة درعا واقيا ضد العالم الإسلامى الثائر . إن روسيا تحرص -بشكل كبير -على أن تكون قوى الدفع لتحقيق الذات داخل الشعوب الصغيرة فى شمال القوقاز نابعة من الداخل وليس من الخارج بما فى ذلك الولايات المتحدة وحلفائها وعملائها فى المنطقة .

وقد حيدت الحرب أذربيجان وجردتها من تأثيرها ، وقد ساعدت روسيا فى هذه الحرب الطرف المضاد أرمينيا . وقد بلغ حجم المساعدات العسكرية المقدمة من روسيا إلى أرمينيا فى الفترة من ١٩٩٣ - ١٩٩٦حوالى مليار دولار، وتعتبر هذه المساعدات من وجهة نظر علماء السياسة الأمريكيين وسيلة ناجحة لإعاقة الجمهوريتين القوقازيتين الأخريين أذربيجان وجورجيا فى مساعيهما نحو الغرب ، وقد اعتبر

الباحث الأمريكى ب . جوبل هذه المساعدات موجهة لإبعاد الشركات الغربية صاحبة المصالح التجارية فى منطقة ما وراء القوقاز [١٨] . ويتحدث علماء السياسة الأمريكيون عن أن المساعدات العسكرية الضخمة من روسيا لأرمينيا موجهة لتوجيه ضربة قوية للجيش الأذرى عند الضرورة وإضاعة هيبة الرئيس علييف وتنصيب شخص جديد على رأس السلطة فى باكو يكون حريصا على المصالح الروسية وأكثر ارتباطا بها . وقد تمكنت روسيا من إدخال قواتها المسلحة إلى جمهورية جورجيا المجاورة وبقى على باكو أن تحدد مستقبل مشاريعها وعلاقاتها النفطية وغير النفطية مع أمريكا فى الوقت الذى تمكنت فيه روسيا من صياغة علاقات مع إيران المعادية بشدة لأمريكا ومع أرمينيا التى تقع تحت الوصاية الروسية وفى الوقت الذى تحتشد فيه القوات العسكرية على الحدود مع تركيا .

عامل البترول

من الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها قاموا بضخ استثمارات فى مجال اكتشافات البترول منذ عام ١٩٩١ فى جمهوريات كازاخستان وأذربيجان وتركمستان بقيمة لا تقل عن تلك الاستثمارات التى قامت بضخها فى جمهورية روسيا العملاقة ، وأصبح خط أنابيب نقل البترول مشكلة تثير جدلا واسعا بين الشركات الأمريكية والروسية (وبين روسيا وأمريكا بشكل عام) فالقضية تتعلق بقدرات مادية ضخمة وحجم ودرجة سيطرة روسيا على جمهوريات بحر القزوين .

وتقع المعارك الدورية بين الأرمن والأذريين بالقرب من تلك المناطق التى تنوى الشركات الأمريكية مد خطوط أنابيب بترول ضمن الحدود الجورجية . وتشهد أمريكا ازدياد نفوذ مؤيدى دعم العلاقات والاعتماد على أذربيجان باعتبارها الدولة المحتملة الأغنى (بالنفط) والأكبر من حيث السكان (٧,٥ مليون نسمة) فى منطقة ماوراء القوقاز وتمتلك الجمهورية احتياطا نفطيا ضخما يثير اهتمام كل من الولايات المتحدة وروسيا . ولذا فلا مفر من ظهور تباعد وإغتراب بين شركة «لوك أويلا» و «شيفرون» وبين الاستثمارات الأمريكية والروسية واعتماد كل منهما على شركاء مختلفين وتوقع مختلف للأرباح ورؤية مختلفة لمد خطوط أنابيب البترول، وكل هذا من شأنه أن

يجعل من باكو حلبة للمنافسة بين أمريكا وروسيا وبين نفوذ كلا البلدين ورؤية كل منهما لموضوع إحلال السلام فى منطقة وراء القوقاز(١٩) .

وفى محاولة لجذب باكو إليهم يقترح الأمريكيون أن يكون خط أنابيب البترول من منطقة أشيرون وحتى مدينة جيهان التركية هو الخط الرئيسى والأساسى لنقل نفط بحر القزوين إلى الغرب . وهنا وفى هذه النقطة بالذات تختلف بشكل حاد المصالح الاقتصادية الأمريكية والروسية فيما بينها ؛ فروسيا لم تكن لترغب فى أن تفقد سيطرتها على مناطق استخراج النفط هذه ، والتى تعتبر الثانية فى العالم بعد كنوز الخليج العربى . والحديث يدور عن احتياطى بترولى خاص بروسيا نفسها وعن أقاليمها الجنوبية التى تبعد كثيرا عن إقليم تومين ، ولذلك فإن موسكو تبذل قصارى جهدها، وتستخدم كل نفوذها لكى لا تفقد إمكانية الاشتراك والمساهمة فى عملية اكتشاف البترول . وهنا على وجه التحديد فإن احتمال ظهور التناقضات بين روسيا وأمريكا كبير جدا ؛ فهذه المنطقة تعتبر خط مصالح روسية لن تفرط فيها موسكو من أجل عيون صداقة خارجية وود تافه من دولة تسعى لبسط نفوذها على دول أوربا الشرقية الحليفة السابقة لروسيا ، وتتحدث أيضا –بشكل علنى –عن نوايا مشابهة إزاء دول البلطيق .

آسيا الوسطى

إن الموقف فى آسيا الوسطى يعمل على زيادة حدة التناقض فى العلاقات الأمريكية الروسية المتبادلة . إن تطور وارتقاء هذه المنطقة يمنح العلاقات الثنائية للدولتين العظميين جوانب إيجابية وأخرى سلبية ؛ فمن غير الإيجابى بالنسبة لكل من واشنطن وموسكو حقيقة إرساء المساجد العالية فى جمهوريات آسيا الوسطى لعقيدة جديدة ونمط صارم لمنظومة قيم جديدة وسلوك جديد (دائما على استعداد للتضحية) ؛ فالثقافة العلمانية السابقة والتى رسخها ووضع أساسها المثقفون الذين تلقوا دراساتهم وألقابهم العلمية فى روسيا يتم التضييق عليها من قبل التيار الإسلامى القوى الذى حقق إنتصارات فى إيران وباكستان والسودان وأفغانستان وعلى وشك تحقيق فى الجزائر ، ويحتل ويدعم مراكزه فى تركيا التى لم تقع يوما فى عباءة أمريكا مثلما هى الآن .

إن عنصر التضحية بالنفس والأصولية والتوجه الاجتماعى الجديد للإسلام ودعم العالم الإسلامى (مليار نسمة) بما فى ذلك الدول النفطية الغنية ،كل هذا يجعل من منطقة وسط آسيا –التى غيرها الإسلام فى حين يقودها قادة علمانيون – مركزا أكثر قسوة وصرامة وثقة بالنفس وعلى استعداد للبحث عن بديل لعلاقاته مع قبلته السابقة (موسكو) . وإيجاد هذا البديل سواء فى الجنوب والغرب وبخاصة الولايات المتحدة التى قامت ببناء مراكز ثقافية وتعليمية وغيرها لها فى الماتا وطشقند وبيشكيك .

إن الحدود الروسية مع كازخستان – والتى تفصل روسيا عن آسيا الوسطى – قد وضعت حدا فى حقيقة الأمر لقضايا مختلفة حتى وإن لم تكن قد وصلت إلى حد الخلافات (باستثناء طاجكستان) حيث المواجهة بين الأسس العلمانية والدينية تنبئ بصراع طويل الأمد . إن اغتراب وابتعاد آسيا الوسطى يهدد بتوجيه طعنة لمناطق روسيا (الصناعية) وكذلك تحويل الجمهوريات الإسلامية التابعة لروسيا الكبرى سابقا إلى بذرة غربية تهدد بتفجير نسيج الدولة الواحدة المتكاتفة (نذكر أن هناك عشرين مليون مسلم يعيشون فى روسيا نفسها) .

إن كازاخستان بوصفها قاعدة أمريكية وحصناً أمريكيًا محتملاً لها أيضا جوانب ضعف منها بالطبع . أن نصف سكانها من أصل روسى ، وفى حالة قيامها بعمل سيادى حاد فإنه يمكن فى هذه الحالة استخدام عامل القوات الروسية المحتشدة على الحدود الكازاخية، والذى سيكون له تأثير كبير، كما أن كازخستان محاصرة بجمهورتى طاجكستان وكيرجستان الصديقين الحميمين لروسيا ، وهذا أيضا عامل مؤثر .

لقد اعتبرت روسيا المناورات العسكرية التى أجريت فى سبتمبر ١٩٩٧ فى كازاخستان وأوزبكستان بمشاركة الولايات المتحدة عملا استفزازيا يهدف لدعم النفوذ الأمريكى فى منطقة ذات سياسة خاصة بالنسبة لروسيا . وفى سياق ذلك لا يجب أن ننسى وجود ٢٤ ألف جندى روسى فى طاجكستان و ١٥ألف فى توركمنستان وخمسة آلاف فى أوزبكستان و١٥ ألف فى جورجيا ، وأن روسيا لها حق امتلاك قواعد عسكرية فى أرمينيا لمدة 25 سنة . ويعبر ر. بايبس عن وجهة النظرالأمريكية تجاه

هذا التواجد قائلا «إن تعدى موسكو على سيادة الجمهوريات التابعة لها فى السابق من شأنه أن يهدد العلاقات مع أمريكا» (٢٠).

فمن ناحية تعترف أمريكا -مثلها مثل الدول الغربية الأخرى بشكل صامت-بحقوق روسيا في تلك المناطق . وانطلاقا من خبرتنا فى هذا المجال فإن قيام أى خلاف بين روسيا وأى من هذه الجمهوريات السوفيتية السابقة فإن رد الفعل الأوربى لن يتعدى التعبير عن الأسف . وفيما يتعلق بالولايات المتحدة فإن رد فعلها سيكون أكثر حده لاسيما إذا كانت هى أوكرانيا أو أى من جمهوريات بحر القزوين؛ فالأولى (أوكرانيا) لها وزن جيوبوليتيكى ثقيل فى حين أن جمهوريات القزوين مهمة من حيث امكانتها النفطية(٢١).

ويعترف الأمريكيون بالقدرات الهائلة فى روسيا فى منطقة آسيا الوسطى ، ويتفق الخبراء الأمريكيون الكبار حول الرأى القائل بأن ميراث التاريخ وظروف الجغرافيا ومنطق القوة يؤمن لروسيا تفوقا وسيطرة كبيرة على منطقة وسط آسيا ، ولن تتمكن أى دولة أو تحالف دول أو منظمة دولية ولوقت طويل من زعزعة هذه الحقيقة وسيكون لزاما على واشنطن فى كل الظروف أن تضع هذه الحقيقة فى اعتبارها، وليس لها أن تأمل فى أن يؤدى أى تغيير فى قيادة الكرملين إلى تغيير هذا الواقع .

إن أغلبية المتخصصين الأمريكيين يعتقدون أن أمريكا لا يمكنها مجابهة نفوذ روسيا القوى فى جمهوريات آسيا الوسطى لا سيما إذا كان هذا النفوذ موجه ومنسق، وبالإضافة إلى ذلك هل تستحق القضية أن تمضى الولايات المتحدة إلى أقصى حد إزاء هذا الموضوع ؟ وكما يعترف أكبر المتخصصين الأمريكيين فى هذه المنطقة د.مينون «فإن من الصعب توقع أن تضطلع الولايات المتحدة بتحمل مسئولية الأمن فى منطقة وسط آسيا؛ حيث إن هذه المنطقة لا تمس المصالح الحيوية للأمن القومى الأمريكى، وفى فترة سعى الدولة لتقليص الميزانية سيكون ثمن التورط فى هذه المنطقة غاليا ومرتفعا خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار التكاليف الباهظة التى دفعتها أمريكا نظير اشتراكها وتدخلها العسكرى فى مناطق أخرى من العالم . إن مواجهة أمريكا للنفوذ الروسى والتدخل الروسى فى شئون دول وسط آسيا يمكن أن تنحصر فقط

فى شكل كلمات وإشارات وتلميحات (تأجيل لقاءات والإبطاء فى تقديم اعتمادات وقروض) ، ولكن من المستبعد تماما أن تتحول هذه المواجهة والمقاومة إلى إجراءات عسكرية مضادة، (٢٢) . ومن الصحيح أن الولايات المتحدة على المدى القصير والمتوسط سيكون من الصعب عليها جدا أن تحقق نفوذاً مساوياً لنفوذ روسيا فى هذه المنطقة . أما على المدى الطويل فسيكون لديها فرصة لتحقيق ذلك . إن العمل الطويل والدءوب يمكن أن يمنح الولايات المتحدة نفوذاً قوياً فى المستقبل ؛ فعلى سبيل المثال يمكن للولايات المتحدة أن تستجيب لطلب كيرجستان بإعادة بناء صناعتها العسكرية، والتى ورثتها من الاتحاد السوفيتى السابق . إن المساعدة الاقتصادية الأمريكية يمكنها أن تؤثر على تغيير التوجه لدى قادة دول آسيا الوسطى ، ويعتقد المتخصصون الأمريكيون أن الولايات المتحدة يجب أن تدفع ثمن التوجهات الانفتاحية فى هذه الجمهوريات ، وفى نفس الوقت تعاقب الجمهوريات الجديدة على تحولها للقومية الشديده والاكتفاء الذاتى . وعن طريق المكافآت البطيئة و المتتابعة فى نفس الوقت تستطيع أمريكا دعم القوى ذات الميول الغربية والأممية فى هذه الدول وحتى الاستثمارات القليلة نسبيا والصناديق والمنح لها تأثير مهم على ضوء الحالة الاقتصادية السيئة فى هذه المنطقة .

إن هذه السياسة (والتى تحظى بتأييد قوى فى البيت الأبيض والبرلمان) لا تهددحتى الآن بصدام دراماتيكى بين روسيا وأمريكا فى منطقة وسط آسيا . لقد تجمعت عدة عوامل مهمه ؛ حيث ما زالت الشركات الغربية العملاقة غير مستعدة لضخ استثمارات ضخمة فى المنطقة ، كما يخشى الأمريكيون نمو الأصولية الإسلامية أكثر من خوفهم من نفوذ روسيا بألاضافة إلى أن دور الصين فى هذه المنطقة لا يتماشى والمصالح الأمريكية . وعلى ضوء ما قيل آنفا يمكن أن نخرج بنتيجه مؤداها أن آسيا الوسطى فى المستقبل المنظور ورغم النشاط الظاهر للشركات والصناديق الأمريكية لن تصبح ساحة التنافس الشديد بين واشنطن وموسكو . وبالطبع فإن التحولات الاقتصادية والسياسية فى روسيا والدول القريبة منها ، وعلى الجانب الآخر من المحيط سيكون لها تأثير كبير على مسار هذه المسألة .

وفيما يتعلق بدول البلطيق فقد أنهت مرحلة تحولها بداية من مرحلة المنح والوعود بأن تصبح جسرا لليبرالية الغربية وحتى اعتناق شكل كريه وغير مقبول على أعتاب القرن [٢١] من العمى القومى الذى وضع مليونى روسى فى وضع لم يكونوا ليتوقعوه، ألا وهو وضع (غير مواطن).

إن مدينتى تالين وريجا(عاصمتى إستونيا و ليتوانيا على التوالى) تسبب لنفسها مشكلات يمكنها أن تهدد وضع الدولة فى كل منهما ، وتواجه روسيا مشكله جديدة ألا وهى مساعدة هؤلاء المواطنين الروس، وهى المشكلة التى تزداد صعوبة تجاهلها من قبل الحكومة الروسية فى ظروف التحول والتطور الحكومى الحالى فيها .

إن دول البلطيق -على غرار كل من بولندا وأوكرانيا ومولدافيا – لن تصبح ممر مواصلات بل خندقًا من نوع خاص يفصل بين روسيا والغرب بزعامة الولايات المتحدة . إن التوغل المتنامى من جانب شعوب دول البلطيق فى المؤسسات الغربية والموالية للغرب يضاعف من فرص تحول هذه المنطقة إلى ساحة للخلافات بين روسيا وأمريكا .

ما وراء المثلث «الإستراتيجى» والكومونولث

إن أمريكا تعتبر ليبيا وكوبا وكوريا الشمالية وإيران والعراق أعداءها الرئيسيين ، إلا أن هذه الدول الخمس -على وجه التحديد -تمتلك علاقات قوية مع روسيا ، ويلاحظ تطابق المصالح بينها وبين تلك الدول بشكل دائم .

ويمكن تصور الخريطة الإقليمية على النحو التالى : روسيا تحسن علاقاتها مع الصين ، تدعم علاقاتها التاريخية والتقليدية مع الهند وإيران والعراق فى الوقت الذى تعول فيه الولايات المتحدة على دول يمكنها مواجهة هؤلاء مثل تركيا وباكستان والسعودية . تختلف كل من روسيا وأمريكا مع بعضها البعض فيما يخص القضايا الأوروبية ، وعلى سبيل المثال البوسنة حيث تدعم الولايات المتحده التحالف الكرواتى المسلم فى حين تدعم روسيا و بشكل تقليدى جمهورية الصرب . و في الشرق الأقصي فإن موسكو -و بغض النظر عن كل دهاليز السياسة – أقرب إلى بيونج يانج فى حين واشنطن أقرب إلى سول . وفى نصف الكرة الغربية تحاصر أمريكا كوبا،

وتخفف روسيا من تأثير هذا الحصار . تلك الملامح الرئيسية للمواجهة فى مناطق إقليمية متباعدة خارج حدود الكومونولث . و بالرغم من أن قوة روسيا تراجعت عن ذى قبل ألا أنها تملك القدرة على صياغة وتنفيذ سياسية تواجه بها الهيمنة الشاملة من قبل القطب الأوحد. وبالرغم من الضعف الحالى فإن روسيا يمكنها دعم كوريا الشمالية المثقلة بالمشكلات السياسية والاقتصادية ، وأن تقدم العون الدبلوماسى والعسكرى للهند بوصفها القوة الآسيوية الجنوبية ، وأن تعمل على إضعاف العزلة المفروضه على العراق وليبيا ، وأن تساعد فى إقامة مشروعات الطاقة النووية الإيرانية، وهو ما يعد أمراً مهمًا جداً . إن كل هذه الإمكانات و الأفعال المحددة من قبل روسيا تثير رد فعل سلبى من جانب الولايات المتحدة .

تجارة السلاح

يمكن القول إن أكثر نقاط الصدام بين روسيا مع الولايات المتحدة تتمثل فى احتفاظ الصناعة العسكرية الروسية بمكانتها العالمية وقدرتها التصديرية ؛ فمنذ عشر سنوات مضت كانت روسيا تحتل المرتبة الأولى فى سوق السلاح العالمى ؛ حيث مثلت حصتها ما يقارب٤٦ ٪ من حجم تجارة السلاح العالمية (٢٧ ٪ للولايات المتحدة) . ومع نهاية التسعينيات ارتفعت حصة الولايات المتحده إلى حوالى٤٤ ٪ حيث تصدر أمريكا بشكل ثابت بما قيمته ٨ – ١٠ مليارات دولار سنويا. وتمتلك الشركات الأمريكية حاليا عقود تصدير بما قيمته ٢١٩ مليار دولار مع ١٢٠ دولة فى حين انخفض نصيب روسيا إلى ما دون ٢٠ ٪ حيث فقدت روسيا أسواق كانت مضمونة فى الماضى ، وهى أسواق الدول التى خرجت من حلف وارسو وضحت روسيا بخسارة التعامل مع تلك الدول التى كانت تقف ضد الولايات المتحدة فى الماضى . تمكنت الولايات المتحدة من مزاحمة المنتجين الروس فى الدول، وساعدها على ذلك المناخ السياسى الذى حول المجريات الاقتصادية ضد مصلحة روسيا . وفى واقع الأمر فإن روسيا قد حرمت السوق الوحيد الذى كان يدعم النشاط والحيوية التكنولوجية للاقتصاد الروسى بشكل منقطع النظير، وإن كانت تلك الدول لا ترقى لمستوى الغرب فإنها تسبق دول العالم النامى الأساسية ، ونتيجة لذلك فإن

روسيا ، والتى كانت منذ زمن قريب ، تحتل المرتبة الأولى فى معدل تصدير الأسلحة لدول العالم الثالث تنازلت عن مكانتها هذه للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وهبط حجم صادرات الأسلحة الروسية من ٢٩,٩ مليار دولار عام ١٩٨٧ إلى ٢,٧ مليار دولارعام ١٩٩٢ . (٢٣)

وخلال الفترة من ١٩٩٢ - ١٩٩٤ باعت الولايات المتحدة لدول العالم النامى أسلحة بما قيمته ١٩,٥ مليار دولار فى حين بلغت مبيعات بريطانيا لنفس الدول ١٠,٣ مليار أما روسيا فبلغت ٥,٥ مليار دولار فقط . وبالرغم من هذا التراجع الشديد الذى أصاب مبيعات الأسلحة الروسية ، إلا أنها ورغم ذلك لقيت اعتراضاً شديداً من جانب الولايات المتحدة وكونها تبيع الأسلحة إلى دول غير مناسبة . إيران مثلا الذى يحتل المرتبة الثانية فى قائمة مستوردى الأسلحة الروسية تعامل من قبل أمريكا على أنها دولة ذات نظام تخريبى يدعم النشاط الإرهابى فى كل أنحاء العالم، كما أن الولايات المتحدة لا تحب أن ترى الهند (وهى الدولة التى تحتل المرتبة الثانية فى قائمة الدول المستوردة للسلاح الروسى) تفوق منافستها باكستان والتى تحظى بالاهتمام الأمريكى. أن منح الهند مقومات الدولة العظمى كالصواريخ مثلا يعتبر أمرا غير مرغوب فيه على الإطلاق فى أمريكا . إن بقايا النفوذ التصديرى الروسى فى جيوش الدول الحليفة السابقة لروسيا وتلك التى تطالب حاليا بعضوية الناتو (المجر وسلوفاكيا) ، والتى تشترى السلاح الروسى وقطع الغيار الرخيص نسبيا ، ينظر إلى هذا النفوذ من قبل واشنطن على أنه تدخل روسى فى شئون منطقة غير تابعة لها.

كما أن غضب واشنطن يتعاظم أكثر ضد شركاء الناتو التقليديين مثل تركيا التى اشترت سلاحاً روسياً فى الفترة من ١٩٩٢- ١٩٩٤ بما قيمته ١٢٠ مليون دولار، وكذلك اليونان التى اتخذت قراراً فى نهاية عام ١٩٩٨ بشراء وحدات صاروخية روسية من طراز اس ٣٠٠. ويمكن لنا أن نسمى ثمانية من الشركاء والعسكريين الرئيسيين لكل من أمريكا وروسيا؛ حيث تجرى منافسة شديدة بين كلتا المؤسستين العسكريتين فى كلتا الدولتين للسيطرة على هذه الأسواق .

ـ المستوردون الرئيسيون للسلاح الأمريكى والروسى فى الفترة من ١٩٩٢–١٩٩٤ .

روسيا الاتحادية		الولايات المتحدة	
الدولة	حصيلة الشراء من السلاح بالمليار بالدولار الأمريكى	الدولة	حصيلة الشراء من السلاح بالمليار بالدولار الأمريكى
الصين	١,٧	السعودية	٨,٦
إيران	١	مصر	٣,٨
الهند	,٩٢٥	إسرائيل	٢,٦
المجر	,٨٢٦	تركيا	٢,٥
انجولا	,٤٥	تايوان	٢,٤
كوبا	,٢	اليابان	١,٩
سلوفاكيا	,١٥	الكويت	١,٨
تركيا	,١٢	كوريا الجنوبية	١,٣

المصدر: ACDA, World Military Expenditure , 1995 . p . 153 -15

وفى خلال التسعينيات حصلت الولايات المتحدة على نصيب ألأسد فى سوق مبيعات الأسلحة ، حيث حققت ما نسبته ٤٣ ٪ من حصيلة التجارة العالمية للسلاح فى حين حققت أوربا الغربية نسبة٤١ ٪ . وهبط نصيب روسيا بشكل واضح فى عام ١٩٩٦ حيث حققت ماقيمته ٣,٩مليار دولار وفى عام ١٩٩٧– ٣,٥مليار دولار ؛ إلا أنه فيما بعد – وبعد أن تفهمت روسيا التأثير السلبى لهذه المثالية فى التعامل –بدأت من جديد فى زيادة حجم مبيعاتها من الأسلحة . ويعترف و . كيلير و ج . نولان الخبيران الأمريكان فى تجارة الأسلحة بأنه لا يمكن لا من وجهة النظر الأخلاقية أو السياسية معارضة دول روسيا والصين وفرنسا وحثها على تقليص مبيعات الأسلحة فى نفس الوقت الذى يقوم فيه مسئولون أمريكيون وشركات منتجة للأسلحة فى أمريكا بعمل كل ما من شأنه أن يساعدهم على احتكار سوق السلاح العالمى، (٢٤) .

وفى النصف الثانى من التسعينيات عادت روسيا بشكل جيد إلى أسواق السلاح العالمى . وفى خلال ذلك فإن ما يقرب من ٦٠ ٪ من صادرات روسيا كان من نصيب الصين ، وزاد حجم التعاقدات على شراء السلاح الروسى بما قيمته ١,٦ مليار دولار فى عام ١٩٩٨ ؛ حيث وصل إلى ٨ مليارات دولار ، وبذلك حققت روسيا مانسبته ١٠ ٪ من حجم تجارة السلاح العالمية .

وبالطبع فإن أكثر ما يقلق الولايات المتحدة هو تسليح الصين و غيرها من الدول بالأسلحة الروسية سنويا وهى دول لا تحظى بالقبول من أمريكا حيث تثير هذه الدول إنتاجها واتجارها بالسلاح مشاعر سلبية لدى زعيم العالم .

إن الظروف السيئة المحيطة بالاقتصاد الروسى ، والتى لا تسمح له بشكل جدى أن يأمل فى منافسة طويلة الأمد مع الولايات المتحدة هو الشيء الوحيد الذى يهدئ نسبيا القيادةالأمريكية .غير أن الدبلوماسية الأمريكية تجعل من كل صفقة روسية خرقا لقواعد اللعبة الحضارية وما شابه ذلك . وهنا تصل احتمالات التصعيد العنيف المتبادل إلى الحد الأقصى .

ويعد تطور الأحداث فى منطقة القارة الهندية واحداً من أهم عناصر الضغط السياسى والاقتصادى الأمريكى على روسيا . فقد وقعت الهيئات الهندية لأبحاث الفضاء مع منظمة «جلافكوسموس» الروسية اتفاقية فى ديسمبر من عام ١٩٩٣ تلتزم روسيا وفقا لها بتقديم تكنولوجيا عسكرية . كان من المفترض تسلم الهند جزءاً منها فى نهاية عام ١٩٩٧ واستخدامها فى ١٩٩٩ عند إطلاق القمر الصناعى على حمل الصواريخ ، كما أعلنت الولايات المتحدة عن عدم رضاها عن تقديم روسيا إلى الهند ٥٠ ٪ من احتياجاتها من التكنولوجيا العسكرية . إن التعاون بين روسيا والهند ، وبخاصة نقل تكنولوجيا الصواريخ الحديثة أثار ضغطاً شديداً من قبل الولايات المتحدة على روسيا . وكان قرار روسيا بالتراجع عن بيع تكنولوجيا الوحدات القابلة للتفكيك لشريكاتها الهند قراراً صعباً ؛ حيث انعكس تأثيره السلبى على العلاقات الهندية الروسية، وشكل سابقة لتخلى روسيا عن الالتزامات التى وقعت عليها تجاه شريكها التقليدى – الهند .

ويؤكد الأمريكيون أن الدعم الروسى للدول غير المرغوب فيها وغير المفيدة لأمريكا (ليبيا – العراق – كوبا – كوريا الشمالية) يمثل نوعاً من التحدى ، والذى يمكن اعتباره تعويضاً معنوياًعن انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١وعن خسارة مكانة الدولة العظمى ويمثل وسيلة جيدة للحصول على دخل بالعملة الصعبة.

وفى مجال تجارة الأسلحة هناك اصطدام فى المصالح ؛ فمن خلال صفقات الأسلحة تأمل روسيا فى أن تتمكن من بناء حاجز وستار فى منطقة القوقاز ضد الأصولية الإسلامية والنفوذ التركى .أما أمريكا فهى تهتم –بشكل أساسى –بنفط بحر القزوين ، وتتفاعل مع مطالب الأقليةالأرمنية وتبحث عن طرق توصلها إلى إيران كمركز للأصولية .

الطاقة النووية

عندما وقّعت وزارة الصناعة النووية مع إيران اتفاقا طويل الأمد يقضى بتأهيل العلماء الإيرانيين النوويين (على هامش بناء المفاعل النووى فى بيشاور) ،نظرت الولايات المتحدة بعين الشك إلى بناء روسيا لعلاقات صداقة ومودة مع دولة تعتبرها واشنطن أماً لكل الدول الشقية فى العالم،[٢٥] .

ويمكن القول –بشكل واضح – إن بيع روسيا مفاعلات نووية لإيران لا يعد خرقا لشروط اتفاقية عدم نشر الأسلحة النووية والموقعة عام ١٩٦٨ حيث إن إيران قامت بالتوقيع على هذه الاتفاقية ووافقت على شروطها ، والتى تسمح بالتفتيش على المواقع والمشروعات والمعامل النووية . إن روسيا تقوم ببيع المفاعلات لأن الغرب انتزع منها أسواق أوربا الشرقية ، والتى كانت تبيع لها محطات الطاقة النووية . وتعد الصفقة الإيرانية (والتى كانت قد شرعت فيها) هى الوسيلة لإنقاذ الصناعة النووية الروسية . اقترحت الحكومة الروسية فى سبتمبر١٩٩٧على أمريكا إجراءات مشتركة للسيطرة على انتشار السلاح النووى . وهنا يظهر بوضوح الرغبة الروسية فى عدم إثارة غضب الولايات المتحدة، ولكن بنفس الدرجة عدم رغبتها فى الانسحاب من سوق الطاقة النووية . إن الافتراض أن طهران تحاول شراء مفاعلات للحصول على

يورانيوم مخصب يمكن أن يكون له أساس ، إلا أن هذا الشك لم يتم إثباته بعد ، ومن التسرع حمل قطاع صناعي كامل في روسيا للانهيار بناء على بعض الشكوك .

إن روسيا لم تنس كيف قام الجانب الأمريكي بوقف بناء مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة النووية في كوريا الشمالية ؛ مما حرم روسيا من هذه الصفقة . وبعد أن اقتنعت روسيا بوجهة نظر أمريكا بخطورة بناء مشروع من هذا القبيل (يمكن أن يوفر يورانيوم مخصب وبلوتونيوم لدولة تسعى بشكل رسمي لإعادة النظر في خريطة شبه الجزيرة الكورية) فقد قامت روسيا باتخاذ الخطوة الصعبة وإجراء محادثات غاية في الصعوبة في بيونج يانج ، وخرقت روسيا وعودها السابقة، وأغلقت برنامج بناء المفاعلات النووية، وبغض النظر عن أن كوريا الشمالية ولنصف قرن كانت تخضع لنفوذ روسيا فإن روسيا تخلت عن مكانتها هذه لأمريكا . غير أن الولايات المتحدة استغلت بشكل جيد واستفادت من روح التعاون هذه التي تبديها روسيا تجاهها . واقترحت على القيادة الكورية الشمالية بناء مفاعلين بقيمة 4مليارات دولار(بطبيعة الحال بعد الحصول على وعد بعدم تنفيذ البرنامج النووي الكوري الشمالي) . وفي واقع الأمر فقد حدثت عملية اختطاف لأكبر مشروع كان يمكن أن تقوم به الصناعة النووية الروسية الأمر الذي وضع وزارة الصناعة النووية على حافة الانهيار، وبعد هذه المناورة الأمريكية توصلت روسيا إلى نتيجة محددة وهي ألا تعول كثير على روح التفاهم المتبادل فيما يتعلق بالصفقات الحقيقية ، وإن عليها التفكير فقط في مصالحها الخاصة واتخاذ كل السبل لتحقيق ذلك .

إن بيونج يانج غاضبة من التصرف الروسي ، والأمريكان راضون تمام الرضا بتحقيق هذه الصفقة مع كوريا الشمالية والصينيون سعداء (حيث إنهم أصبحوا الوصاة الوحيدين على كوريا الشمالية) وكل هذا من وجهة نظر موسكو لا يمكن تكراره .

وبشكل عام يجب القول إن التصور حول مدى لاستعداد الذي يجب أن تبديه الدبلوماسية الروسية لتفهم المصالح الأمريكية قد تغير في روسيا ، وذلك رغم أن الكل يتفهم أهمية احترام رغبات أمريكا القوية .

لقد ولت فترة (١٩٨٨ – ١٩٩٣) إلى الماضى عندما كان الأمل فى توحد روسيا من جديد مع الغرب يدفع روسيا لاحترام المصالح الإقليمية الأمريكية إلى أقصى حد. إن غياب التفاهم المتبادل والقسوة الشديدة من جانب أمريكا الشريك المضاد فى التعامل مع كافة القضايا الكبير منها والصغير (من قضية توسيع الناتو وحتى خطف العملاء التجاريين) كل هذا أفقد روسيا أحلامها وأوهامها ، وجعل منها قوة دولية أكثر مركزية تنظر إلى مصالحها الشخصية فقط . وإذا كانت أوربا الكبرى من فانهوفر وحتى فلاديفوستوك قد بدت سرابا فإن استعداد موسكو القوى لإظهار تفهمها تجاه شريكها الغربى الكبير فقد خاصية الآلية والمبادرة .

الخاتمة

لقد امتلكت روسيا –ولسنوات طويلة – التفوق على الغرب فى الأسلحة التقليدية بما يعادل ٦٠ ألف دبابة (بالإضافة الى ٤٤٠٠ دبابة جديدة يتم إنتاجها سنويا) أعطت دعامة ذات وزن للقوات البرية السوفتية ، إلا أن هذه الدعامة قد فقدت معناها فى الوقت الحالى . فقد دفعت روسيا ثمنا لتطبيع علاقاتها مع الغرب أن قلصت هذا العدد الى ٦٦٠٠ دبابة بالإضافة إلى انخفاض الإنتاج فى مجال الأسلحة التقليدية بشكل عام. وما تم توفيره وتخزينه من أسلحة لا يكفى لأكثر من خمس إلى عشر سنوات ، وعندئذ سيكون لزاما علي روسيا أن تبنيى من جديد قوة عسكرية من المفترض أن تكون مؤثرة ، إلا أن هذا الطرح غير مقبول فى موسكو .

يؤكد بيتر رودسن الباحث في مركز نيكسون لدعم السلام والحرية أن روسيا ستقوم فى المستقبل –وبشكل أكثر نشاطا بمعارضة أى مسعى للولايات المتحدة الأمريكية لأن تصبح القوة المهيمنة فى العالم ، ولذا فإن المواجهات بين الدولتين ستزداد حسب رأيه.

فبعد عدة سنوات (١٩٨٨-١٩٩٣) ظلت روسيا فيها تقول (نعم) للسياسات الأمريكية علي الدوام تبدلت الأمور ، وأصبحت تعارض الولايات المتحدة علي الساحة الدولية عن طريق بيعها للسلاح الروسى لدول (غير مناسبة من المنظور الأمريكى) وعن طريق المساعدات فى بناء مفاعلات نووية فى دول مثل إيران فى خرق للرؤية الأمريكية بفكرة منع انتشار الأسلحة النووية ، كما تقوم روسيا أيضاً بمواجهة أمريكا ومعارضة سياستها بتبنيها لموقف مستقل فى أزمات دولية مثل أزمة يوغوسلافيا . إن تأثير إجراءات من هذا القبيل يجعل من مصطلح «الشراكة الإستراتيجية» غير ذى معنى ، وهو المصطلح الذى كان يتكرر بصفة دائمة في موسكو، وكان الأمريكيون يرون فيه منطلقاً لضم روسيا للمعسكر الغربي إلا أن الواقع بدا بالنسبة للباحثين الإستراتيجيين الروس أكثر قسوة وحماقة من المتوقع أن روسيا لا تتحمل ذنب عدم استقرار النظام العالمى الجديد ، بيد أن التناقضات الداخلية فى روسيا أضافت شيئاً من عدم الاستقرار للصورة العامة .

ويصف السيد ت. بيكرنج السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية فى موسكو الموقف قائلا ،يمكن اعتبار انهيار الاتحاد السوفيتى من المنظور الجيوبوليتيكى نهاية لتوسع إقليمى مطرد امتد لنحو ثلاثمائة عام ـ إن روسيا الحديثة ارتدت إلى الشمال والشرق، وأصبحت تعانى من عزلة عن الغرب والشرق لم تعانِ منها حتى القرن السابع عشر، (٢٦) .

وبطبيعة الحال فإن هناك فرقاً واحداً وكبيراً ؛ فقد أنفقت مجهودات وطنية ضخمة استثنائية لبناء قوى ضبط نفس إستراتيجية تحول دون المساس بأى حدود تعتبرها روسيا تمس أمنها القومى لا يمكن المساس بها . إن الوضع الاقتصادى المأسوى، والذى يجتاح روسيا على مدى التسعينيات من القرن العشرين سيحدد إلى أى مدى يمكن لروسيا أن تستخدم كرد فعل عنصر القوة العسكرية وحتى الآن فإن التعاون العسكرى مع الولايات المتحدة الأمريكية دائما كان يمثل عبئا إضافيا بالنسبة إلى روسيا . فروسيا بتأييدها لأمريكا فى الخليج العربى فقدت عقودا بالمليارات كانت قد أبرمتها مع العراق ، كما أنها بانضمامها للولايات المتحدة فى عزلها لدول مثل العراق وليبيا فقدت عملاء كباراً متلهفين لشراء الأسلحة الروسية ، كما أن روسيا تخسر مليارات الروبلات بسبب الاشتراك فى الحصار الذى فرضه الغرب على جمهورية الصرب ؛ فهل تنوى الولايات المتحدة الأمريكية تعويض روسيا خسائرها ؟ لقد تلقت أمريكا من حلفائها تعويضات مالية ضخمة نظير حملتها على العراق عام ١٩٩١ فى حين أن روسيا لم تجنِ إلا الخسائر فى كل مكان .

إن جوهر السياسة الخارجية الروسية حاليا يتمثل فى مجموعه من التحركات والأفعال رداً على المشاكل التى ظهرت مؤخراً ، وليس لدى الحكومة سياسة واضحة ومحددة ومدعومة من الرأى العام فى مجال الأمن العالمى وتقليص ألاسلحة وتحويل العملة . أما بخصوص ما تم إبرامه من اتفاقات مع الولايات المتحدة فى السابق فقد فقدت هذه الاتفاقات جوهرها ومعناها ، فتلك الوثائق القديمة لا يمكن اعتبارها أساساً لبناء علاقات جديدة ؛ فواشنطن لا يمكنها تجاهل عدم خبرة السلطات الروسية فى جوانب مهمه من العلاقات الثنائية . ومن الواضح أن القياده الروسية تفتقد إلى التوحد

فى قضية المدى الأقصى لتقليص القوات المسلحة والتسليح ، كما أن ليس هناك خط سياسى واضح ودقيق (أو حتى اتفاق داخلى) بخصوص المشكلات الآتية : إمكانية اندلاع حرب كبرى ، استخدام السلاح النووى ، أهمية مناطق معينه إستراتيجيا وغير ذلك. ويقوى انطباع بان طرق تعامل القيادة الروسية مع المشكلات تتبلور فى كثير من الأحيان تحت تأثير مباشر من الولايات المتحدة ، وفى النهاية فإن النزاعات الإقليمية داخل حدود كومونولث الدول المستقلة أثبتت –بما لا يدع مجالاً للشك – أنها ظهرت بشكل مفاجئ وغير متوقع تماما بالنسبة للقيادة الروسية .

وليس هناك من شك فى أن أمريكا قلقة فى المقام الأول بسبب غياب السيطرة المدنية على الجيش فى روسيا ، كما تسود فى أمريكا مخاوف متزايدة بشأن تخزين الأسلحة النووية ومراقبتها فى مجتمع تعرض لهزات عنيفة مثل المجتمع الروسى . وسيكون أسوأ خبر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية إذا علمت بقيام إحدى الفصائل المتنازعة داخل حدود كومونولث الدول المستقلة بالسيطرة على السلاح النووى . ولتحاشى إمكانية حدوث خطر كهذا فإن أمريكا تقدم معونة اقتصادية متخصصة (١٩٦٠مليون دولار فى ١٩٩٨) وهى على استعداد أيضا أن تخفف بعض الشيء من مطالبها بشأن تسوية روسيا لبعض المسائل فى نطاق المناطق التى كانت تنتمى للاتحاد السوفيتى السابق . إن هذا يعتبر فرصة جيدة لتخفيف حدة الرفض الصارم من قبل الولايات المتحدة لدور جديد تلعبه روسيا كضامن أساسى للاستقرار فى دول الفضاء السوفيتى السابق . وعلى ذلك فإنه يمكن تقدير الصمت الأمريكى فى الرد على إعلان روسيا حول استعدادها لدفع ثمن إنشاء 25-30 قاعدة عسكرية فى نطاق دول كومونولث الدول المستقلة .

والتاريخ هنا يفرض سؤالا : هل ستستطيع روسيا أن تتجاوز بسرعة أزمتها النظامية وأن تنشأ منظومة من الإحداثيات الجيوبوليتيكية تحظى على اقتناع الرأى العام الروسى من ناحية وتكون مقبولة عالميا (وبشكل خاص من أمريكا) من ناحية ثانية ؟ وفى نهاية الأمر فإن التأثير الجيوبوليتيكى لروسيا لن يتحدد بمقدار وكمية الدبابات أو حتى الصواريخ ، بل سيتحدد بإمكانية نجاح روسيا فى أن تصبح من

الناحية الاقتصادية عملاقا جيوبوليتيكيا مستقرا فى آسيا الأوربية أو أنها ستتحول بعد فشلها الاقتصادى الذريع إلى بقعة نائية فى العالم .

وبشكل عام فإن الولايات المتحدة تأمل فى أن تؤدى العلاقات الجديدة التى نشأت بين روسيا وحلف الأطلسى والاتحاد الأوربى وكذلك تحويل «مجموعة السبع» إلى «مجموعة الثمانية» بضم روسيا وتدعيم أهمية منظمة الأمن والتعاون الأوربى وزيادة أهدافها ووظائفها (من المحتمل تأسيس مجلس أمن خاص يضم فى عضويته أمريكا وروسيا ودول أوربية محورية يعمل داخل إطار هذه المنظمة) يمكن أن يؤدى كل هذا– وفقا للرغبة الأمريكية – إلى السماح للأمريكان بتأسيس علاقات طويلة وبناءة مع روسيا. وباستخدام هذه الطريقه بالذات تأمل الإدارة الأمريكية فى تحويل هذا الضم البناء لروسيا للغرب إلى تعاون متبادل وملزم للطرفين .

وبجانب المساعدات الاقتصادية الأوربية المتزايدة لروسيا وزيادة استثماراتها بها وتحسين الوضع الداخلى الروسى فإن هذا سيؤدى إلى تهدئة موسكو وموافقتها على الانضمام للمنظومة الغربية حتى لو لم تلعب بها الأدوار الأولى. وفى أمريكا يعلمون تماما أن تقرير روسيا بنفسها لدورها فى آسيا الأوربية سيعتمد فى المقام الأول هى عليها نفسها؛ بمعنى أن الولايات المتحدة برغم كل قوتها وعظمتها لن يكون لها تأثير على موسكو بالضرر الذى تأمله وفى الاتجاه الذى تنشده . والجدير بالذكر أن روسيا تمتلك ثروات طائلة ؛ حيث يشير السيد بجيزينسكى واصفا هذا الوضع بالرغم من أن أوربا الغربية والصين نجحوا فى تدعيم نفوذهم الإقليمى فإن روسيا ستبقى المسئولة عن الفضاء الأوسع والمساحة الأكبر فى العالم تبدو بجوارها الولايات المتحده والصين وحتى أوربا الموسعه أقل حجما بكثير وهذا بالرغم من أن كل من الاتحاد الأوربى والصين قد تخطيا روسيا وفقا للمؤشرات الاقتصادية . وفى هذه الظروف فإن القيادة السياسية فى أمريكا ستصل إلى تفهم واضح لكون روسيا فى النهايه تستطيع بنفسها أن تحل مشاكل تحديث كيانها الداخلى . والخطر الأكبر الذى يتهددها يتمثل فى تحول الغرب للاستغلال الهادف والموجهة لدولة أوكرانيا بهدف محاصرة وتقييد المبادرة الروسية ، وذلك عن طريق خلق تناقضات داخلية فى كيان كومونولث الدول المستقلة

واحداث تصدع داخلى به ومواجهات بين روسيا وأوكرانيا أكثر جيرانها تشابها فى السمات العرقية والحضارية .

إن إطلاق روسيا مسمى «الدول الأكثر قربا» على دول الكومونولث ، والتى تم الاعتراف بها من جانب هيئة الأمم المتحدة ، وكذلك محاولات روسيا تأسيس مذهب خاص بها فى هذه المنطقة ، وأن تعبر بشكل دءوب عن سعيها لشغل دور الوسيط فى جميع المشكلات المندلعة بين جيرانها . كل هذا يثير غيظ الغرب . يؤكد بعض المتخصصين (بجيزنيسكى ود . بايس) أنه على روسيا أن لا تتحرك للتوصل إلى تفاهم مع الغرب ولو بمقدار بوصة واحدة : «فهذا فقط من شأنه أن يثير شهية هؤلاء القوميين الذين يفسرون تنازلات أمريكا كدليل على حالة القلق العام ورغبة العالم فى ضم روسيا إلى أحضان المجتمع الدولى والاستعداد لإظهار ضبط النفس والصبر الشديد رداً على أى سلوك روسى . لا يجب السماح لموسكو بزيادة ومضاعفة قواتها على الحدود الجنوبية خرقا لاتفاقية ١٩٩٠ حول الأسلحة التقليدية فى أوربا وبهدف إخافة جيرانها السابقين فى الاتحاد السوفيتى . (٢٧)

إن روسيا تحاول أن تظل دولة كبرى قوية ، وأن تتصرف من هذا المنطلق فى ظل الظروف المأساوية التى تعيشها ، وهذا الموقف واضح وبيِّن للجميع . ولن يشهد المستقبل أى تغيير فى هذا الموقف الروسى ، بل على العكس سيتجلى هذا الموقف بشكل أكثر حدة ووضوح ، وهذا يمثل التهديد الأكبر بفقدان السلام بين روسيا وأمريكا، والذى تم عقد اتفاقيته فى عام ١٩٩١ . وقد عبر مساعد وزير الخارجية ستروب تالبوت عن تلك المخاوف الرسمية قائلا «لأن روسيا تحدد أهدافا خاصة بها وتحاول الابتعاد عن الغرب اقتصاديا فإننا من الممكن أن نواجه احتداما فى التوتر بيننا وبين روسيا بسبب مشكلات دبلوماسية ومشكلة الأمن» (٢٨) . و لايتوقع المسئولون الأمريكيون رفيعو المستوى العودة إلى زمن المواجهة مع موسكو ، إلا أنهم اختصروا أهدافهم وأحلامهم فيما يتعلق بالتعامل مع موضوع الشراكة الروسية الأمريكية .

وتشير «مجلة نيوزويك» إلى أن «الخطأ الأكبر لأمريكا يتمثل فى عدم القدرة على تفهم كون أن المنظومة التى أدخلها إصلاحيو يلتسين لم تؤد إلا إلى زيادة معدل الفساد

الإدارى والفوضى ، كما أن إدارة كلينتون لم تنصت إلى التحذيرات التى تفيد بأن بعض أفراد فريق يلتسين أثروا بفضل عملية الإصلاح هذه، [٢٩] .

وتقف الولايات المتحدة الأمريكية أمام اختيار صعب (كما تشير صحيفة يو إس إيه تودى اليومية) ؛ أما «مواصلة تقديم المساعدة التى على الأغلب سيتم إهدارها سدى أو التراجع ، وتزيد بذلك الفجوة القائمة بيننا وبين الشعب الروسى الأمر الذى سيؤدى إلى تشجيع النزعة القومية والمواجهة الدولية، [٣٠] .

ويشير الباحث السياسى ش جارينت إلى أن آسيا الأوربية ستتعرض فى القرن القادم لدعوات ونداءات كثيره بضرورة القبول بتعاون غربى (وبالدرجة الأولى أمريكى) روسى الذى من شأنه أن يفيد هذه المنطقة أكثر مما لو غاب هذا التعاون . إن عدم الثقة المتبادل وعدم تنفيذ الوعود سيؤدى إلى إضعاف أسس التعاون ، ويقع جزء من الذنب على الغرب إلا أن روسيا أيضا يجب أن تتفهم الواقع الإستراتيجى للعالم المعاصر ، وأن تتصرف بما يتوافق وهذا الواقع،[٣١] .

إن حل مشكلة تجنب حرب باردة جديدة ومواجهة جديدة – وهى المشكلة الأهم حاليا – يعتمد بشكل أساسى على درجة تفهم كل من الولايات المتحده وروسيا لاهتمامات وقلق الطرف الآخر . إن موسكو وواشنطن يجب عليهما أن يحددا أسلوباً للتعايش فى وفاق معًا ولا يؤدى إلى استخدام القوة لحل المنازعات ، ولتحقيق هذا الهدف من الضرورى التحليل الواقعى لدوافع الطرف الآخر وتفهم أهدافه والأهم من ذلك الاستعداد لإيجاد حلول وسط عندما تتناقض الظروف الخارجية مع العلاقات المتكافئة بين البلدين .

مراجع الفصل الثالث

1-Brzezinski zb. A geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs. Sept.- Oct. .1997.P.50-51.

2-Menon R. The Strategic Convergence Between Russia and China // Survival. Summer 1997.P.104.

3-WashingtonTimes. June 15.1998.

4-US Department of State Dispatsh. November 22, 1993. P.797-799.

5-Mandelbaum M. Westernizing Russia and China // Foreign Affairs.may-june 1997.P80.

6-Blaker C. Russia and the West M. Mandelbaum (ed.) // The New Russian Foreign Policy . N-T..,1998 /P/.181.

7-Kurth J. The Adolescent Empire and the Imperial Idea // National Interest. Summer 1997.P.14.

8-Directory of Trade Statistics Yearbook. Washington: International Monetary Fund,1997.P.380-381.

9-Blacker C. Russia and the West / M. Mandelbaum (ed.)// The New Russian Foreign Policy .N.Y.,1998.p.190.

10- Ibid. P. 192.

11-Mandelbaum M. Westernizing Russia and China // foreign Affairs. May - June 1997.

12-Ibid. P.87.

13-Washington Times. June 15, 1998.

14-Garnett Sh. Russia's Illusory Ambitions // Foreign Affairs. Marsh-April 1997.P.67.

15-Brzezinski Zb. A Geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs. Sept.- Oct. 1997.P.52.

16-Mandelbaum M. Preserving the New Peace . The Case Against NATO Expansion // Foreign Affairs, May-June 1997.P.10.

17-Aslund A. Eurasia Letter: Ukraine's Turnaround // Foreign Policy. Fall, 1996.P.133.

18-National Interest. Summer 1997.P.45.

19-Ibid.P.43.

20-Pipes R. Is Russia Still an Enymy? // Foreign Affairs. Sept.- Oct.1997.P.73.

21-Ibid.p.37.

22-Menon R. In The Shadow of the Bear. Security in Post- Soviet Centeral Asia // international Security . Summer 1995.P.179.

23-Keller W., Nolan J. The Arms Trade: Business as Usual? // Foreign Policy.Winter 1997/1998.P.116.

24-Ibid.P.124.

25-Blacker C. Russia and the West / M. Mandelbaum (ed.) The New Russian Foreign Policy. N.Y.,1998.P.182.

26-A Geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs . Sept.- Oct. 1997.P.56.

27-Pipes R. Is Russia Still an Enemy? // Foreign Affairs. Sept.- Oct.1997.P.77-78.

28-Washington Post . December 2, 1998.

29-Newsweek. December 7, 1998.P.27.

30-USA Today. September 1, 1998.

31-Garnett Sh. Russian's Illusory Ambitions // Foreign Affairs. March- April 1997.P.76

الفصل الرابع

الحلفاء الأطلسيون

إن المحور الأطلسي يعد المحور الأساسي بالنسبة للولايات المتحدة ، وسيظل كذلك في القرن الواحد والعشرين . وأسباب ذلك واضحة ، وتتمثل في أن القدرة الاقتصادية والعسكرية الأكبر في العالم تتركز في منطقة شمال الأطلسي ، ويعيش في هذه المنطقة أناس ينتمون إلى حضارة موحدة وتراث تاريخي وثقافي عام ، كما أنها تمتلك قدرات علمية وتصنيعية هائلة ، ويسود اعتقاد راسخ في واشنطن بأن أمريكا هي دولة أوربية ، وتمثل المهمة الأساسية لواشنطن بعد انتهاء الحرب الباردة في ردع أي قوى انفصالية في أوربا والحد من إمكانيات القوى المستقلة ووضع حد للغموض الذي وقعت فيه أوربا ، وتجديد الآليات الفاعلة إبان الحرب الباردة وتحقيق التنسيق في السياسات بينها وبين أوربا ، وأصبحت المهمة القومية بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في إيقاف حدة التنافر في السياسات والبرامج بينها .

أهمية المنطقة

يبلغ تعداد العالم الغربي (حوالي ٨٠٠ مليون نسمة) تمثل ١٣ ٪ من حجم السكان العالمي ، وطبقا للتنبؤات فإن هذا العدد في التناقص ؛حيث سيصل إلى ١٠ ٪ في عام٢٠٢٠ (وبذلك يأتي في مرتبة متأخرة بعد كل الحضارات الصينية والهندية والإسلامية) إلا أن هذه الكتلة البشرية ستكون الأكثر علمًا وتسلحًا بالتكنولوجيا . ويخدم في صفوف جيوش الدول الغربية قرابة الثمانية ملايين جندي مجهزين بأحدث المعدات العسكرية ، وتمثل بذلك اقوى تكتل عسكري في العالم [1] . وعلى مدى عام تقريبا ظل نصيب الغرب يمثل ثلثي الناتج الصناعي العالمي وبلغ أقصى مدى عام ١٩٢٨ حيث بلغ٤٨,٢ ٪ ثم انخفض في عام ١٩٥٠ إلى ٤٦ ٪ وفي عام ١٩٩٤ إلى ٤٨,٨ ٪ وطبقًا للتنبؤات فإنه –ومع حلول عام ٢٠١٥ سيستمر الانخفاض ليصل إلى ٣٠ ٪ إلا أن الجودة النوعية لهذا النصيب ، والتي تعتمد على ما تم تحقيقه من ثورة علمية وتكنولوجية ستكون الأفضل في العالم .

وبين أكبر ٥٠٠ شركة عالمية فى عام ١٩٩٩ كان هناك 254 شركة أمريكية و١٧٣ شركة تنتمى لدول أوربا الغربية يمثلون سويا الأغلبية العظمى (وتظل اليابان زعيمة آسيا وتمتلك فقط ٤٦ شركة منها)(٢) . وستظل أمريكا وأوربا الغربية ولفترة طويلة فى القرن الواحد والعشرين قلب التكنولوجيا الحديثة والعلم والإنتاج ، وتعتمد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أوربا الغربية على قاعدتين أساسيتين :

* من خلال حلف الناتو والتواجد العسكرى الأمريكى فى أوربا الذى يمنحها ميزة السيطرة على أوربا ، ويقول السيد لين «إن فقط حلف الفاقد القوة مع أمريكا الدولة العظمى يمكنه تحاشى تراجع أوربا نحو النزاعات القومية وابتعادها عن مستوى التعاون الاقتصادى والسياسى الذى حققته حاليا» (٣) .

*من خلال نشاط فروع الشركات والاستثمارات والتجارة فى البضائع عالية التكنولوجيا ؛حيث تستطيع أمريكا التحكم فى نبض النمو الاقتصادى فى المنطقة . ويأمل الأمريكيون فى أن يحتاج الأوربيون دائما وأبدا إليهم بسبب المخاوف التى يعانون منها ؛حيث تخشى فرنسا التفوق الألمانى وتخشى ألمانيا إعادة بناء روسيا جيشها ، فى حين تخشى بريطانيا توحيد القارة دون مشاركتها ، ويخشى الاتحاد الأوربى مشاكل عدم الاستقرار فى منطقة البلقان وتخشى دول وسط وشرق أوربا أن تقع بين فكى روسيا وألمانيا . وفى أمريكا يسود إحساس كبير بالثقة ، والتى عبر عنها بشكل واضح المحلل المتحفظ إيرفين كريستول قائلا «لقد كتب على أوربا أن تصبح محمية أمريكية ذات سيادة وهمية» (٤) .

وبغض النظر عن القدرة الأمريكية الهائلة وإمكانيات الدولة العظمى الوحيدة فى العالم فإن الأمريكيين يغضون النظر عن حقيقة أنه بعد انتهاء ضغوط الحرب الباردة فقد العالم القديم إحساس التوحيد مع العالم الجديد ، وأصبح ينتهج سياسة لا تسير بشكل متوازٍ مع السياسة الأمريكية ، ومضى الوقت الذى كان يدرس فيه للطلاب الأمريكيين أساتذة أوربيون من المهاجرين .

ويذكر السيد زيهيرمان ، و الذى يعمل مستشارا فى الحكومة الأمريكية أنه منذ عشر سنوات عندما كان يكتب خطاباً لوزير الخارجية جيمس بيكر أشاروا إلى أنه أولى

مساحة كبيرة من الخطاب لأوربا فى الوقت الذى كانت فيه آسيا هى الساحة التى تشهد التطورات التاريخية المهمة أما أوربا فكانت مثل القبعة المتهالكة . هذا الضعف فى الاهتمام الأمريكى تجاه أوربا أدى إلى ظهور شعور معاداة كل ما هو أمريكى يتزايد مع الأيام وبالرغم من كل ما يحدث . وغداً سيكون تأثير أوربا الموحدة على العالم كبيرا جدا ، وسيكون من المحتم على الولايات المتحدة أن تنفق الكثير من أجل تأمين نفسها بالحصول على صداقتها .

إن إعادة بناء قوة مستقلة فى أوربا الغربية يجعل مشكلة الأمن التى ماتت إبان الحرب الباردة مشكلة ملحة وحادة . إن واشنطن كانت تريد رؤية أوربا الغربية واليابان أقوياء بالقدر الكافى الذى يمكنهم من الدعم فى الصراع ضد الاتحاد السوفيتى، ولكنهم لا يريدونهم أقوياء بالقدر الكافى لتحدى أمريكا نفسها وزعامتها العالمية . وما يقلق الولايات المتحدة على وجه الخصوص هو إعادة بناء القوة الألمانيه. إن الولايات المتحدة تأمل فى الحفاظ على تفوقها الجيوبولوطيقى على أوربا الغربية . (٥)

إلا أن– وطبقًا للنتيجة التى يصل إليها لين – دروس التاريخ العالمى علمتنا أن الضعفاء يتحدون دائما ضد القوة المهيمنة . إن سياسة القطب الأوحد – وهى السياسة ذاتها التى اتبعتها مادلين أولبرايت – تلقى مقاومة من قبل حلفاء أمريكا من دول شمال الأطلسى . ولدى العواصم الأوربية الرئيسية مثل برلين ولندن وباريس اعتراضات وادعاءات ضد زعيم الساحة السياسية العالمية الحديثة . وعلى امتداد قرن كامل فقدت هذه العواصم الثلاث مكانتها كمراكز عالمية فى سبيل إنشاء العملاق الأطلسى الشمالى ، وهو خطأ تاريخى لا يمكن أن يقبله أحد . ومن الواضح أن كلاً من العواصم الثلاث الكبرى تبحث عن الطريق لاسترجاع هيبتها ويسعون جادين لرفع الوزن الدولى للاتحاد الأوربى عن طريق توحيد الجهود وصياغة إستراتيجية خاصة بها .

إن فكرة أوربا الغربية الأقل تبعية لأمريكا تلقى يوما بعد يوم اعترافًا وتقديراً رغم كل الصعوبات التى تواجه عملية الاتحاد فى أوربا . إن صياغة تعريف واضح وأصلى

لأوربا الغربية، والذى يختلف عن الوجه السياسى الأمريكى سيتم عندما تستطيع الدول الكبرى الثلاث فى أوربا(ألمانيا - فرنسا - إنجلترا) أن تجد أساسا للتنسيق فيما بين برامجها وسياساتها وجهودها الدفاعية المشتركة .

إن الانتصار الذى حققه جيرهارد شرودر فى انتخابات سبتمبر ١٩٩٨ خلق المقدمات الضرورية لذلك وكخطوة ضرورية على هذا الاتجاه كان من الممكن أن يتم تشكيل ما يشبه إدارة أوربية ثلاثية . إن هذا من شأنه أن يقلل من مخاوف فرنسا من ألمانيا الكبرى ومخاوف برلين من روسيا الجديدة . إن قوة الدول الثلاث معًا تقارب مستوى المؤشرات الأمريكية ؛ ففى عام ١٩٩٨ بلغ حجم الناتج الإجمالى للاتحاد الأوربى ١٩,٨ ٪ من الناتج العالمى محتلا المركز الثانى بعد أمريكا التى حققت ٢٠,٤ ٪ (٦) .

إن السيطرة السياسية والعسكرية على هذه المنطقة تعنى أن نصف اقتصاد العالم تقريبا لن يستطيع معارضة الإرادة الأمريكية ، وقد كان توفير تلك السيطرة شيئًا صعبًا؛ حيث إن الاتحاد المنظم والمستقر لم يكن أبدا صفة مميزة للغرب ، كما أن الاتجاهات المعادية لأوربا فى الإستراتيجية الأمريكية العالمية ليست بجديدة . وكما يقول كل من وليام ويلس ويان جيلونكا فإن الولايات المتحدة بناها المهاجرون الذين ألقوا بمشاعر اليأس التى حملوها من العالم القديم من أجل الأمل فى العالم الجديد . وكان رجال الأعمال والسياسيون فى نهاية القرن ١٩ يؤمنون بأن أمريكا تمثل المستقبل المأمول والزاهر ، فى حين أن أوربا تمثل الماضى الضعيف . وخلال حربين عالميتين عبر الأمريكيون الأطلسيون لكى يحلوا النزاعات التى لم يستطع الأوربيون أنفسهم حلها . وبعد عام ١٩٤٥ فإن النصيحة الأمريكية لأوربا كانت تقول «افعلوا كما نفعل» ، وأسسوا الولايات المتحدة الأوربية التى ستصبح شريكا مخلصا لأمريكا فى إطار الاتحاد الغربى(٧) .

إلا أنه وبمجرد أن أخذ توتر فترة الحرب الباردة ، والذى وحّد مصالح أوربا وأمريكا فى الاختفاء بدأت تظهر خلافات فى مواقف كلا الطرفين وعدم تفاهم متبادل وتباعد فى المصالح، وظهرت ثلاثة اتجاهات قوية .

الاتجاهات الثلاثة

الاتجاه الأول : تحدد بشكل كبير في فترة التسعينيات التباين في معدلات النمو الاقتصادى ؛ ففى الولايات المتحدة الأمريكية حدثت طفرة اقتصادية ضخمة من عام ١٩٩٢ حيث استطاعت الدولة على امتداد الثمان سنوات الأخيرة أن تقفز قفزة هائلة إلى الأمام ؛ حيث استطاعت خلال فترة حكم الرئيس كلينتون الأولى أن تضيف إلى حجم الناتج الإجمالى القومى ما قيمته حجم الناتج القومى لألمانيا الموحدة بأكملها وفى فترة حكم كلينتون الثانية استطاعت زيادة قدراتها الاقتصادية بما قيمته الناتج القومى لليابان . استطاعت أمريكا أن تدعم موقعها فى الثورة العلمية التكنولوجية ، أما أوربا الغربية فقد تنازلت عن بعض مواقعها لأمريكا ؛ حيث تباطأت فى هذه الفترة معدلات النمو الاقتصادى فى أوربا . وقد سجل فى الولايات المتحدة أقل معدل بطالة على مدى ربع القرنا الأخيرة. أما أوربا الغربية فقد سجلت الأعوام الأخيرة بها أعلى معدل بطالة وتقترح لجنة الاتحاد الأوربى خطة لتوفير١٥مليون فرصة عمل جديدة بهدف التغلب على مشكلة البطالة ، والتى تمثل ١٢ ٪ من حجم الطاقة العاملة . وحتى يحدث ذلك فإن هذه المشكلة تكلف الاتحاد الأوربى ما يقرب من ٢٢٦ مليار دولار تذهب فى كفالة العاطلين عن العمل ، وهو الرقم الذى يعادل إجمالى الناتج القومى لدول مثل بلجيكا (أو نصف الناتج القومى الروسى) . وفى فبراير ١٩٩٨ سجلت البطالة فى ألمانيا معدلا أعلى مما كانت عليه عام ١٩٣٣ عندما قام هتلر بالاستيلاء على الحكم فى ألمانيا متهماً السلطات بعجزها عن حل مشكلة البطالة .

الاتجاه الثانى : التباين فى توجه المساعى التوحدية والتكاملية ؛ فعلى امتداد التسعينات قامت كل من المنطقتين (أمريكا) - (الغرب) بمساعٍ قوية لتشكيل تكتلات إقليمية فى مناطقها، الأمر الذى أدى إلى خلط توجه سياستهما الخارجية ؛ فقد أنشأت واشنطن رابطة التجارة الحرة لدولة أمريكا الشمالية (نافتا) فى حين قامت أوربا الغربية فى الفترة بين معاهدة ماستريخت١٩٩٢ واستخدم اليورو ١٩٩٩بدعم عملية التكامل والتوحد بين دول أوربا الغربية فى مسعى حثيث لتوحيد العملة .

وإذا كانت الولايات المتحدة رأت أن مستقبلها مرتبط بشكل كبير بكندا والمكسيك – جيرانها المباشرين فى أمريكا الشمالية فإن الاتحاد الأوربى قد دعم من توجهه الشمالى نحو دول الشمال الإسكندنافية (السويد– فنلندا) وبدأ بكل طاقته يتحول نحو أوروبا الشرقية . إن قرار واشنطن النهائى بربط مصيرها بمصير المكسيك الدولة النامية ديمغرافياً واقتصادياً (ووراء المكسيك هناك إمكانية لإقامة علاقات أقوى مع شيلى ودول أخرى من دول الجنوب) . قرار من هذا النوع يمكن أن يغير بشكل كبير الوجه الإثنوبولوتيكى للولايات المتحدة ويعضد بشكل أكبر من عنصر أمريكا اللاتينية فى الفسيفساء الأمريكية الشمالية . وفى نفس الوقت فإن الترابط بين أوربا الغربية وأوربا الشرقية الخريطة الإثنية لأوربا الغربية . وفى كلتا المنطقتين تضعف –بشكل متزايد – الخاصية التى توحد العنصر الألمانى الأنجلوساكسونى الذى يفقد أهميته فى كل من أمريكا الشمالية واتحاد دول أوربا الغربية . إن الوجه الأثنوبولوتيكى للولايات المتحدة وأوربا المتغير لا يعمل على التقريب بين المعسكرين (مثله مثل توجه مبادراتها السياسية والاقتصادية المباشرة) ومن الواضح أن أوربا الغربية الوليدة لا تتصور نفسها مجموعة من الدول المستقلة المطلقة أو اتحاد حكومات أسمى . إن قوة الاتحاد الأوربى ليست مركزية ؛حيث تتوزع بين العاصمة الاسمية للاتحاد الأوربى بروكسل وبين العواصم الأخرى . وهناك افتقاد ليس فقط للهدف العام والمشترك ، بل وللتفهم الواحد لحقيقةما إذا كان الاتحاد الأوربى سيتحول فى نهاية ثورته هذه فى ظل التباعد بين برلين وباريس ولندن فى رؤيتهم للمستقبل . خلفية مركزية الأفعال الأمريكية يعد هذا ضعفاً جيوبولوتيكياً مؤكداً ولا شك فيه .

إن الاختلافات بين أمريكا والمعسكر الأوربى الغربى واضحة ، وهى لا تتمثل فقط فى اختلافات فى الفترة والإمكانات ، بل وفى التاريخ وأسلوب الحياة والفسيولوجيا الوطنية . وهنا تجدرالإشارة إلى ما قالته مارجريت تاتشر ،إننا لم نكن أبدا على مر التاريخ محطمين ، ولم نكن مستعمرين ، أما هم (الفرنسيون والألمان) فكانوا إما منهزمين أو محررين ... إن أوربا ما زال عليها أن تنضج أكثر، (٨) .

الاتجاه الثالث : التوجه الجيوبولوتيكي المختلف ؛ فبعد انتهاء الحرب الباردة توجه الولايات المتحدة كل طاقتها نحو ،تحاشى أى تهديد لأمريكا ونحو الحفاظ على التفوق الأمريكي فى العالم ،فى حين أن أوربا الغربية ترى مصالحها داخل نطاق أوربا، وتحدد نفسها فى أهداف ووظائف دفاعية فى محيط البحر المتوسط ونهر الدانوب . إن هذا الاتجاه العالمى الأمريكى ، وهذا التمركز الإقليمى الأوربى يضع كلا المعسكرين الغربيين فى مواضع متباينة ومختلفة من حيث المبدأ .

ولا تقوم أى دولة من دول أوربا العظمى فى يومنا هذا بحمل راية أوربا أو راية الأطلسى والقيام بمبادرة بهدف قيادة هذا التجمع الإقليمى للأمام . حتى ألمانيا بقيادة شرودر لا تخاطر باتخاذ هذه الخطوة حتى لا تخيف الجيران الأوربيين ، وحتى بريطانيا بقيادة بلير تخشى أن تبدو كونها الدولة التابعة لأمريكا أكثر من اللازم فى حين أن فرنسا لا تشعر أن لديها القوة الضرورية لذلك أو التأييد اللازم من الدول الصغيرة. أما مشروع العملة الأوربية الموحدة ، وهو أكثر المشروعات الحقيقية المشتركة الدافعة للأمام فيعد مهمًا فى حد ذاته (وطبقا للنتائج المترتبة عليه) إلا أنه حتى تنفيذه لا يعطى أساسا للحديث عن (صوت واحد) ونظام أوربى جماعى وميلاد لأيديولوجيا أوربية رئيسية . إن أهم مدلولات هذا المشروع تتمثل فى تدعيم محور (باريس – برلين) وهذا التباين وتلك الاختلافات تتدعم وتتركز بما يجرى من مشاريع بناء عسكرية فى كلا المنطقتين (أمريكا – أوربا) . فقد قامت الولايات المتحدة بتقليص محدود جدا لمعدل بناء قواتها العسكرية (بالمقارنة لمعدلات العشر سنوات السابقة ، والتى شهدت نشاط مكثف فى هذا المجال) فى حين أن أوربا الغربية تخلفت بشكل كبير عن شريكها الولايات المتحدة فى مجال الأبحاث العسكرية والتحديث . إن الحصول على القوة يعنى بالنسبة للولايات المتحدة السيطرة العامة والشاملة على العالم فى حين أنها تعنى بالنسبة لأوربا الغربية فرض السيطرة فى حدود جبل طارق وبولندا والدول الإسكندنافية والبلقان . ويدعم هذا التباين الواضح الثورة الحقيقية فى المجال العسكرى . وفى حين تبدو عناصر تحقيق التفوق العسكرى غير ممكنة بالنسبة لأوربا فإنها تبدو بالنسبة لأمريكا عناصر ضرورية ومهمة. وتتمثل

هذه العناصر فى إنشاء منظومة تجسس من خلال الأقمار الصناعية وتحديث القوات المسلحة بأحدث الأجهزة الإلكترونية واستخدام أحدث أشكال التكنولوجيا الإلكترونية فى مجال الاستخبارات و إنشاء اثنتى عشرة مجموعة من حاملات الطائرات و جيل جديد من تكنولوجيا الطيران . وباختصار شديد كل ما يطلق عليه الأمريكيون 4C+SR (التجسس والاستخبارات بالإضافة إلى القيادة والسيطرة والتقييم واستخدام تكنولوجيا الكومبيوتر فى كل شيء) . ولقد وصلت الولايات المتحدة إلى القمة فى مجال معدلات التفوق العسكرى ، إلا أنهم لا يربطون بين نموهم العسكرى هذا واشتراكهم فى حلف الأطلنطى.

وهكذا فإن الإرادة غير الكافية لأوربا الغربية فى مجال تحقيق الثورة العلمية والصناعية تضع كلا من المعسكرين فى درجات مختلفة من التفوق العسكرى الإستراتيجى . وهكذا يمكن تلخيص الاتجاهات الثلاثة المشار إليها على النحو التالى : يرى كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوربى فى العالم نفسه بشكل مختلف عن الآخر ، كما أن لكل منهما وجهة نظر ورؤية مختلفة لكثير من الأحداث والمشكلات العالمية ، كما أن كل منهم يشكل مصالحه بشكل مختلف ، وبشكل عام لا يحدث تقارب بين كل منهما والآخر، بل على الآحرى يسير كل منهما فى اتجاه مختلف . إن تأثير المتجمع لهذه العمليات الثلاث واحد ؛ فكل هذه العوامل تساعد على ابتعاد أوربا الغربية أكثر عن أمريكا .

وهكذا يمكن صياغة الموقف العالمى الذى تكون مع بداية القرن الحادى والعشرين على النحو التالى : إن الناتو –رغم كل مايقال–يظل منظمة عسكرية عبر المحيطات تترأسها وتقودها الولايات المتحدة .أما الاتحاد الأوربى – الكتلة الاقتصادية الإقليمية–فتقوده ألمانيا الديموقراطية الاشتراكية الجديدة التى كفلت لنفسها تأييد الزعماء الاشتراكيون فى إنجلترا وفرنسا – بلير وجوسبان . ويقال عن الاتحاد الأوربى «إن أوربا تسير حيث تسير ألمانيا» ، ويشير الألمان أنفسهم أن الجغرافيا والتاريخ قد وضعتا ألمانيا فى مركز التطور الأوربى (وكانت هذه هى الجملة المفضلة لوزير الخارجية الألمانى السابق جيرهارد جينشر) . وقد اعترف الرئيس الأمريكى كلينتون

بشكل ما بهذه الحقيقة عندما تعامل مع ألمانيا كونها الشريك المضاد لأمريكا فى أوربا قبل أى شىء . ويمثل الناتج الإجمالى القومى الألمانى ٢,٢ تريليون دولار وهو بذلك يفوق بكثير الناتج الإجمالى القومى لفرنسا وبريطانيا (يبلغ فى كل منهما ١,٣ تريليون دولار) .

ويتحدث الألمان حاليا حول أن عملية (أوربة) ألمانيا قد انتهت ، وأن بلادهم أصبحت تتزعم أقوى الدول الأوربية ذات البنية القوية ؛ فهل ستحدث عملية «ألمنة» (تغليب الطابع الألمانى) لأوربا ؟ ليس من الممكن تأكيد أن مخاوف الضحايا السابقين لألمانيا وآمال الألمان فى التطور الحالى للظروف (عندما تسقط أوربا الشرقية والوسطى فى أحضان المانيا) ليس لها أى أساس .

ومهمة الولايات المتحدة فى هذا الموقف تتمثل فى الحفاظ على قواتها العسكرية المتمركزة فى ألمانيا ودعم حلف الأطلنطى وتقويته وتحاشى أن يكون للاتحاد الأوربى دور سياسى أو عسكرى . وإذا تمكنت الولايات المتحدة من تحقيق ذلك فإن القرن الواحد والعشرين سيشهد بقاء الاتحاد الأوربى منطقة تحت الوصاية الأمريكية وضمان لقوة ومناعة المواقع الأمريكية فى العالم .

ويظهر هنا سؤال مرتبط بما قيل سابقا ، لماذا تقوم الولايات المتحدة رغم كل هذا بدعم موضوع توسيع الاتحاد الأوربى؟ هناك رأى شائع يرى أن واشنطن بمساندتها لموضوع توسيع عضوية الاتحاد الأوربى تحاول بذلك الحد من محاولات تعميق التكامل والإبطاء من سرعتها ، وأن من المفيد أكثر لأمريكا وجود تجمع واسع غير متلاحم بشكل قوى لا يمتلك إستراتيجية عالمية شاملة واضحة .

إن الولايات المتحدة تخشى تحول العملة الأوربية الموحدة اليورو إلى عملة منافسة لها وزن مماثل للدولار الأمريكى فى منظومة الحسابات الدولية . إن الاتحاد الأوربى الأقل تكتلا لن يستطيع الوقوف ضد أمريكا فى الصراعات المتوقعة فى إطار منظمة التجارة العالمية وفى جولات المباحثات والمفاوضات الدورية حول خفض التعريفة الجمركية .

يتفهم الأوربيون- بشكل جيد -أنه بدون تقارب واضح بين المكونات العسكرية والبرامج السياسية بين دولهم فإن أوروبا ليس لديها أى فرصة ولو حتى ضئيلة فى مواجهة الهيمنة الأمريكية وحتى الإنجليز تفهموا ذلك جيدا ، ولذا فقد ضاعفوا بشكل جاد نصيبهم فى المشاركة فى مشاريع الإنتاج الحربى المشتركة بين دول أوربا الغربية . وفى اللقاء الذى جمع بين الرئيس الفرنسى جاك شيراك ورئيس وزراء بريطانيا جون ميجور فى نوفمبر ١٩٩٤تم الاتفاق على إنشاء تحالف جوى فرنسى إنجليزى موحد له أركان مشتركة وعلى تملك طائرات مدمرة وإجراء مناورات مشتركة ... وغير ذلك (وفى هذا الوقت بالتحديد وربما هى المرة الوحيدة فى التسعينيات حاولت الدبلوماسية الروسية التأثير على العلاقات المتبادلة بين الحلفاء الأطلسيين ، وقام وزير الخارجية الروسى كوزيريف أثناء زيارته الطويلة إلى باريس، والتى امتدت لأسبوع بتقديم ملخص للقادة الفرنسيين حول رؤيته لطرق تنظيم وبناء أوربا : الطريقة الأمريكية وتقوم على أساس تفهم المكانة الرئيسية لألمانيا والطريقة الأخرى والأكثر قبولا لدى أغلبية الأوربيين ، وتقوم على أساس البنيان الجماعى لكل من روسيا وبريطانيا وفرنسا ، ولم يكن الغرب الأوربى مستعدا لتغييرات حادة من هذا القبيل برغم رغبته الشديدة فى إثبات ذاته، ولذلك فإن مبادرة كوزيريف ذهبت أدراج الرياح) .

وفى هذا الوقت لم يهتم الرئيس الفرنسى جاك شيراك ، والذى وصل لتوه إلى السلطة بإجراء تحالف أو اتحاد مع روسيا الضعيفة ، بل سار فى طريق تحقيق التحالف على المحور الفرنسى – الألمانى ؛ حيث أشار علنا إلى أن التفاهم الفرنسى الألمانى المتبادل يعتبر «شرطا ضروريا» ولكنه ليس كافيا لبناء أوربا ، حيث لا يمكن أن يتم هذا البناء دون شراكة بريطانيا» .

وقد أولى رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور أهمية كبرى بتصريحات شيراك هذه ، وشبهها «بتيار الهواء المنعش» وتم اتخاذ قرار بإجراء تدريبات مشتركة للجنود

البحار ومناورات مشتركة للقوات البحرية . وقد أشار ميجور بشكل مشدد إلى أن بريطانيا تملك قطاعًا عريضًا من المشروعات المشتركة مع فرنسا أكثر من أى دولة أخرى[٩] .

ففى هذا الوقت بالذات اعترف جنرال فرنسى رفيع أنه خلال التسعينيات من القرن الماضى تعرض التحالف العسكرى الغربى لتغيرات حقيقية ، وأن الدفاع عن أوربا غير ممكن بدون بريطانيا في ظل الموقف الجيوبوليتيكى الجديد . واستمرارا لهذا النهج قامت ألمانيا بإنشاء فرقة عسكرية بالاشتراك مع هولندا .

وليس هناك من شك فى أن الانتصار الذى حققه شرودر فى انتخابات ١٩٩٨ جعل من الاتحاد الأوربى بناءً أكثر تجانساً . إن وصول الحزب الديمقراطيا الاشتراكى إلى السلطة في أعظم دولة في الاتحاد الأوربى يؤكد تسيد التوجه السياسى اليسارى فى الدول الثلاث الرئيسية في الاتحاد . ليونيد جوسبان فى فرنسا وبلير فى بريطانيا . ونذكر أيضا أنه وفى نفس الوقت الذى حقق فيه شرودر انتصاره وصل الديمقراطيون الاشتراكيون إلى السلطة أيضا فى السويد ، كما أنهم مسيطرون فى إسبانيا والنمسا وحتى فى بولندا والتشيك (الدول الشيوعية السابقة) . إن هذه الظاهرة السياسة تختلف بشكل كبير عن منظومة الرؤى الاجتماعية السائدة بشكل أو بآخر فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن الكونجرس الأمريكى الراضى تماما عن النمو الرأسمالى لاقتصاده الوطنى يعارض بهذا المعنى برلمانات ألمانيا وفرنسا وإنجلترا الأكثر وردية .

إن الدول الثلاث المشار إليها تبذل كل الطاقات والجهود لتأكيد الكيان الأوربى وإثبات الذات الأوربية حتى ولو غاب الانسجام والتناغم بينها أحيانا . و الفرنسيون يحاولون تأسيس ما يسمى «التماثل الدفاعى الأوربى» عن طريق تدعيم دور دول أوربا الغربية أعضاء حلف شمال الأطلسى وفى نفس الوقت إضعاف ثقل الولايات المتحدة فى الاتحاد . وبداية من ١٩٩٠ وعلى امتداد الأعوام التسعة التالية تقوم باريس بالدعاية لهذه الفكرة وتدعيمها وصياغتها بأشكال مختلفة . وتحاول

الدبلوماسية الفرنسية أن تقنع شركائها فى حلف الناتو أنه باختفاء التهديد السوفيتى انتهت المهمة الأمريكية فى أوربا ؛ وأن واشنطن سعيا منها فى السيطرة على أوربا الغربية لا ترغب فى الاعتراف بالواقع العالمى بعد انتهاء الحرب الباردة . إن الموقف الأمريكى يشبه بشكل أكبر فأكبر موقف الكنيسة بعد اكتشافات جاليليو ؛حيث إنها ما زالت تؤمن بأن الأرض مسطحة ، وفرنسا ليست الوحيدة التى تتخذ هذا الموقف . حيث يؤيدها بدرجة أو بأخرى كل من إيطاليا وإسبانيا وبلچيكا واليونان . وقد عولت باريس لوقت طويل على مواقف المستشار كول الذى كان يعد حليفا ومؤيدا لفكرة أورية ألمانيا على أساس التجربة الإيجابية الضخمة فى مواجهة الهيمنة الأمريكية . وكانت نتيجة ذلك أن أيدت ألمانيا بشكل أكبر وجهة النظر الفرنسية ،كما أنها (ألمانيا) تعتقد بشكل أكثر أن سعى الأمريكيين «لفرض النظام» لا يأخذ فى الاعتبار بالشكل الكامل المصالح الأوربية ، وقد أعطى وصول الاشتراكى الديمقراطى جيرهار شرودر للسلطة فى ألمانيا آمالاً جديدة لدى رئيس الوزراء الاشتراكى الفرنسى ليونيد چوسبان فى تحقيق التفاهم المتبادل والعميق مع الديمقراطيين الاشتراكيين فى ألمانيا . ولم يستطع الرئيس شيراك أو رئيس الوزراء چوسبان أن يقدروا قيمة الزيارة التى قام بها شرودر إلى باريس مباشرة بعد الانتخابات .

وتوجهت الأنظار نحو لندن ، وقد أعطى انتشار أفكار «الأورية» فى جزر بريطانيا دفعة قوية وقوة جديدة لهذا الاتجاه . وفى عام ١٩٩٥ قام واحد من أهم أعمدة المؤسسة البريطانية والوزير السابق للمالية وللشئون الخارجية اللورد (هوف) بتوجيه اللوم لرئيس الوزراء ميجور لنزعته التشاؤمية فيما يتعلق باتجاه «الأورية» ،والتى من شأنها أن تقود السياسة الخارجية البريطانية لحالة من «خداع النفس» ، ويمثل استبعاد بريطانيا من عملية حل القضايا الأوربية بالنسبة لها «مأساة قومية هائلة» (١٠) . وقد صرح السفير البريطانى فى واشنطن السيد روبان بدون أى مواربة قائلا «يعتبر الافتراض أن بريطانيا عليها أن تختار بين أوربا وأمريكا واحدا من الحماقات الكبرى للدبلوماسية البريطانية ما بعد الحرب ... إن بريطانيا فى سياستها بالاغتراب عن الاتحاد الأوربى ترتكب خطأ أكبر من ذلك الذى ارتكبته فى عملية السويس» (١١) .

إلا أن مؤيدى «الأوربة» فى أوربا قد أصبحوا أكثر ثقة بعد وصول الليبراليين إلى السلطة عام ١٩٩٧ فى بريطانيا؛ فقد أيد توني بلير صراحة تدعيم الاتحاد الأوربي وتوسيعه وتعديل نظام إجماع الأصوات واعتبار أغلبية الأصوات هو النظام الأفضل . وازدادت فى أوربا الغربية الثقة أكثر وأكثر فى بريطانيا «الأوربية الجديدة» . وكان من أهم الأحداث فى هذا الإطار تدعيم العلاقات البريطانية مع فرنسا ومع (وهذا هو الجديد) ألمانيا .

وينظر شرودر (الشديد الإعجاب ببلير) بشكل مخالف إلى خواص السياسة البريطانية ؛ فمن المهم جدا بالنسبة لألمانيا أن تؤيد لندن توسيع النشاط الألماني فى منطقة شرق أوربا ، كما أن الاستفتاء الذى أجرى فى بريطانيا عام ١٩٩٤ ، والذى يؤكد أن معظم الإنجليز يعتبرون ألمانيا الحليفا الأمثل لبريطانيا بين دول الاتحاد الأوربي يمثل أهمية كبيرة لألمانيا (١٢) .

لقد أثبتت الحروب التى جرت فى الخليج العربى و فى يوغوسلافيا بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن على الأوربيين أن يمروا بطريق طويل قبل أن يكون لهم دور فى عالم التكنولوجيا العسكرية الفائقة . إن تورط الناتو فى يوغوسلافيا أشار إلى ضرورة توسيع السيطرة العملية للدول الأوربية الأعضاء فى حلف الأطلسى . وهذا التوسيع يستند إلى المشاعر الجديدة بالكبرياء وعزة النفس لدى الدول الأوربية التى قامت للمرة الأولى (أول من قام بذلك هو فرنسا) بتوجيه اللوم لكونهم لا يملكون حق إبداء الرأى النهائى فى قيادة التحالف العسكرى ، ونذكر أنه –وخلال تلك الأعوام التى تلت انتهاء الحرب الباردة – لم تخفض فرنسا من نفقاتها العسكرية، وتم تعديل هذا التوجه فقط مع تولى الحكومة الاشتراكية ، وبالرغم من أن فرنسا مع بداية حكم الرئيس شيراك كانت قد «عادت» للاشتراك فى البنية العسكرية للناتو ، إلا أنها بعد هذه العودة أخذت تنتقد هيمنة الولايات المتحدة على الحلف وأوقفت عملية الاندماج العسكرى مع الحلف كما لو كانت تنتظر الدعم والتأييد من شركائها الأوربيين وخاصة من ألمانيا، واضعين فى اعتبارهم أن جيل جيرهارد شرودر هو أول جيل يفتقد الإحساس الفطرى بالاعتراف بالجميل للأمريكيين فى رفع الحصار عن برلين أو تقديم العون أثناء الحرب الباردة أو فى إعادة توحيد ألمانيا .

ويذكرنا الموقف الحالى بشكل كبير بالموقف الذى سبق الحرب العالمية الأولى : ألمانيا الزعيمة القوية وروسيا غير المستقرة ، والتى لم تتحدد بعد ملامحها السياسية والاجتماعية وعقدة التناقضات فى البلقان وعدم قدرة بريطانيا وفرنسا على اتخاذ موقف موحد . وفى أثناء ذلك يشير الرئيس التشيكى هافل - الذى يتغنى بأوربا - إلى نقطة الضعف فيها بقوله إن أوربا المعاصرة تفتقد إلى القدرة على التوحد فى انتقاء الأفكار والقدرة على التصور والعطاء . ولا يمكن اعتبار أوربا قادرة على استيعاب فكرة تحمل مسئولية نفسها(١٣) .

إن ما يضعف أوربا الغربية ليس فقط المشكلات الاقتصادية (المصحوبة بالمعدلات المرتفعة من البطالة) ولكن أيضا الإضعاف الشامل لدور الحكومات الوطنية وتقوية التيارات الداخلية وتقسيم المجتمع ، وكذلك التداخل والامتزاج السياسى والثقافى واللغوى . إن نهاية الحرب الباردة جددت المساعى الانفصالية فى كل البلاد الرئيسية (ألمانيا ، فرنسا ، إسبانيا ، إيطاليا ، المملكة المتحدة ، وغيرها) . إن الأمر يتعلق بإعادة إحياء الكيانات التى تنتمى للماضى «قبل الوطنى» مثل اتحاد هانزى ومنظمة دول البحر المتوسط وغيرها ... وهكذا تتوقف أى حركات عامة فى أوربا الغربية فى حين تقوى اتجاهات التقسيم والتقطيع ، والتى تضعف الجميع . إن التأقلم (الإقليمية) أصبحت العائق الرئيسى فى سبيل توحيد الجهود الأوربية الجماعية .

سياسة نحو تبعية أقل

إن انسلاخ أوربا بعيدا عن المحيط الأمريكى سيتجاوز على ما يبدو تلك المرحلة الانتقالية عندما سيتم عقد شراكة ثنائية بين أمريكا والاتحاد الأوربى الأكثر توحدا، وعندئذ سيحققا الأساس الأوربى والصلابة الضرورية . إن اتحاد دول أوربا الغربية، والذى يضم عشر دول ، والذى أسس عام ١٩٤٨ يطالب بلعب دور أساسى فى المنظومة العسكرية الانفصالية لدول أوربا الغربية .

فى عام ١٩٩٧ أيدت فرنسا بشكل مفاجئ تماما مبادرة ألمانيا تحويل اتحاد دول أوربا الغربية إلى جناح عسكرى للاتحاد الأوربى . وتتمثل المشاكل التقنية فى سبيل

تحقيق ذلك فى عدم تمتع أربع من دول الاتحاد الأوربى المحايدة بعضوية اتحاد دول أوربا الغربية ، وهذه الدول هى النمسا والسويد وفنلندا وأيرلندا . إن المناقشات الدائرة حول قيام اتحاد دول أوربا الغربية بتحمل أعباء جديدة وأدوار أكثر مسئولية تتم بشكل مكثف ؛ حيث تطرق الحديث الى عمليات الحفاظ على السلام التى يقوم بها اتحاد دول أوربا الغربية ومنح الاتحاد حق تعيين نائب القائد الأعلى لقوات الناتو فى أوربا مع منحه صلاحيات أوسع .

العامل الألمانى

إن المرحلة الراهنة ، والتى تشهد عملية إعادة هيكلة الشركات الأمريكية وتفعيلها واستخدام أحدث التكنولوجيا ، والتى تتم بشكل أسرع وأفضل منه فى دول أوربا الغربية ؛ لذا أصبحت هذه الدول تنظر إلى ألمانيا القوية والمؤثرة بوصفها الأمل الإقليمى . والآن وعندما أطلق الرئيس الفرنسى شيراك على الإنترنت اسم «الشبكة الانجلوسكسونية» [١٤] ، فإن الأوربيين أصبحوا يأملون فى تملك مركز تنمية تكنولوجية مستقل ، ونحن نرى بالفعل حاليا مساهمات مشتركة وجهود مشتركة بين «بريتش تيليكوم» و «دويتش تيليكوم» و «فرنس تيليكوم» وشبكة «الاتصالات الإسبانية» على سبيل المثال ، والتى أسست معا عالم اتصالات إلكترونية خاص بها (ولنذكر أن صناعة الاتصالات التليفونية ستحتل خلال عدة سنوات مكانة صناعة السيارات كصناعة رائدة فى العالم ؛ حيث سيجذب هذا القطاع مع حلول عام ٢٠٠٣ ما يقرب من ٢٦٧ مليار دولار ، حتى روسيا من خلال شركتها «ڤيمبل» بدأت هذا الطريق) . وهناك عمليات شبيهة تتم بين دول أوربا الغربية فى مجال التعاون الجوى ومجالات أخرى . ومن الجدير أن نشير إلى الأهمية العظمى لعودة القوة الألمانية . «إن الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة لم يتمكنا فى النهاية من تقويض القدرة الألمانية والتأثير عليها ؛ فها هى ألمانيا الآن تتقدم لتحتل المكانة الأولى . إن عالم المستقبل سيشهد ظهور ليس الكتلة الآسيوية ، ولكن أوربا العظمى ، والتى تقودها ألمانيا كقوى تحالف وتكتل اقتصادى فى العالم يجمع بين التكنولوجيا العالية لدول أوربا الغربية والأيدى العاملة المتخصصة والماهرة فى دول شرق أوربا الشيوعية سابقا» [١٥] ، ولن

يبقى للولايات المتحدة شيئا ، وسيكون لزاما عليها أن تقبل بواقع أوربا الجديدة التى تتزعمها منذ الآن ألمانيا . إن مقاومة ما لا مفر منه سيؤدى إلى تقليص عمر الزعامة الأمريكية فى العالم .

إن تجديد وإعادة إحياء مكانة ألمانيا كمحرك أساسى للتطور فى أوربا الغربية ينعكس بشكل أساسى على فرنسا ؛ فمكانتها الفريدة- والتى احتفظت بها حتى ذلك الحين بوصفها «الأولى بين أقرانها» -قد انتقلت إلى ألمانيا، ويعترف دبلوماسى بريطانى أنه إذا قمت بسؤال أى شخص فى أى من الدول الأوربية عن العلاقات الأكثر أهمية بالنسبة لهذه الدولة فسيكون الرد واحدا - مع ألمانيا بالرغم من أن الرد سيخرج دائما من تحت الضرس» [١٦]. إن ألمانيا تحاول كسب الوقت عن طريق سلوكها المتواضع وتقديم التنازلات فى الوقت الحالى . يشير السيد نيوهاوس -وهو على حق - أنه لأول مرة تبدو ألمانيا محاصرة من دول مجاورة وأسواق تجعل من ألمانيا وجهتها الأساسية . وتقع ألمانيا فى وسط مجموعة من الدول ذات الأهمية الكبرى . وتود العاصمة الألمانية توسيع نطاق هذا التكتل الدولى ناحية الشرق بغرض ضم دول وسط أوروبا إليه[١٧]، وكما يؤكد البعض فإن ألمانيا ترغب فى أن تنظر إلى الشرق وترى الغرب بمعنى أنه على حساب تدعيم مكانتها ومواقعها فى أوربا الشرقية تدعم مكانتها فى أوربا الغربية .

وكانت قيادة الاتحاد الديموقراطى المسيحى الألمانى ومازال المستشار كول على السلطة قد حذرت الفرنسيين أن القرار الوحيد الذى يمكنه تحاشى العودة إلى ما قبل الحرب غير المستقرة - هو انضمام جيران ألمانيا فى أوربا الوسطى وشرق أوربا إلى المنظومة الأوربية ما بعد الحرب ، ثم بناء شراكة بين هذه المنظومة و بين روسيا . ولا يجب السماح بتكرار المواقف التى صاحبت الفراغ السياسى فى أوربا الوسطى، والتى تنذر بعدم الاستقرار . وإذا لم يتمكن التكامل الأوربى من تقديم العون فإن لدى ألمانيا ستظهر الرغبة فى تشكيل أدوات خاصة لتوفير الأمن وتحقيق الاستقرار . [١٨]

وفى المرحلة التى صاحبت حكم كول وما قبلها كان الحديث يدور حول «ألمانيا الأوربية» . أما فترة حكم المستشار شرودر فقد شهدت شيوع قضية «أوربا الألمانية» .

وفى كل الأحوال فإنه من الظاهر محاولة جذب المركز الأوربى الغربى شرقا بعيدا عن محور باريس – لندن . وعلى الجانب العملى فإن معادلة «باريس – برلين» تفهم على أنها أساس لمركز أوربا الغربية خاصة إذا تعلق الأمر بعلاقة مع شريك آخر يقبع عبر المحيط الأطلنطى . إن أمريكا لا يمكنها تجاهل أن اهتمامات اللاعبين الرئيسيين مختلفة و بشكل واضح ؛ فألمانيا مهتمة بوسط وشرق أوربا فى حين فرنسا تهتم بمنطقة المغرب ، وخلافا للفرنسيين يعرب الألمان صراحة أن جزائرهم تقع فى شرق أوربا .

إن استقلالية ألمانيا فى موضوع يوغوسلافيا أخافت الأوربيين فى ١٩٩١عندما اعترفت ألمانيا بشكل مفاجئ باستقلال اثنتين من الجمهوريات الأمر الذى قضى على الاتحاد اليوغوسلافى ، ولكنه من ناحية ثانية وفر وضمن النفوذ الألمانى فى كورواتيا وسلوفينيا . وقد تصرفت العاصمة بون ولفترة محددة بشكل متحفظ ، وقام الفرنسيون مع الإنجليز بأخذ المبادرة فى يوغوسلافيا ثم سلموها بعد ذلك إلى الأمريكيين ؛ فهل . من نهاية لفترة التحفظ الألمانية هذه ؟

ومازال أغلبية مواطنى دول أوربا الغربية لا يفضلون مغادرة القوات الأمريكية للمنطقة ؛ ففى فترة يسود فيها الغموض المتزايد وعدم الاستقرارلاتملك أوربا (الغربية) بديلا كفؤا للوجود الأمريكى العسكرى فى المنطقة ، وكذلك الزعامة الأمريكية . إن الوجود الأمريكى المستمر فى ألمانيا يمنح دول أوربا الوسطى ضمانات قوية فى علاقاتها بألمانيا وروسيا (١٩) . و المحاولات التى تبذلها أوربا الغربية لحل المشكلة اليوغوسلافية تبدو عديمة الجدوى ؛ فقد اضطرت أمريكا لتعبئة قواتها المسلحة ودبلوماسيتها . وفى حالة يوغوسلافيا فإن الولايات المتحدة لا ترغب فى استعراض قوة التحالف حتى لا تبدو تهديدات الناتو كلمات فى الهواء وحتى لا يفقد التحالف مكانته كأكثر المنظمات الأوربية تأثيرا . وحتى الآن تبدو ألمانيا غير مهتمة بتقليص التواجد العسكرى الأمريكى فى أوربا ؛ حيث إن ذلك يعنى أن ألمانيا –الدولة الاقتصادية العظمى – عندئذ ستكون تابعة بشكل قوى للقوتين العظميين فى أوربا فرنسا – إنجلترا ؛ فألمانيا لا تزال محدودة فى نموها العسكرى . وأثناء المشكلة

اليوغوسلافية أيد المستشار الألماني شرودر بقوة، وأبدى تحالفه مع الأمريكيين . (فهل يمكن من خلال ذلك استنباط الرغبة الألمانية في أن تظهر نفسها بوصفها تملك مفاتيح حل المشكلة البلقانية ؟ يؤكد الأمريكيون أن هذه هي المرة الثالثة خلال مائة عام التي تنشط فيها ألمانيا على محور البلقان) . إن بون تفضل أن تكون تابعة للولايات المتحدة البعيدة على أن تكون تابعة لجيرانها الأوربيين . وهناك انتقادات موجهة لألمانيا تتعلق لتقييم ألمانيا لدور أمريكا في إعادة توحيد الألمانيين ؛ فهل نسي الألمان أنه في عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٠ كانت الإدارة الأمريكية تمثل الأساس الذي اعتمد عليه الألمان في عملية توحيد ألمانيا ، وهي العملية التي تقبلها الفرنسيون والإنجليز بكثير من الشك ؟ إن ذلك الذي قدمته أمريكا كان أكثر من تأييد ؛ فقد أظهر الرئيس بوش ومستشاروه مهارة فائقة وحرفية كبيرة ليس فقط أثناء دفاعهم عن قضية توحيد ألمانيا أمام الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ، ولكن أيضا بعملهم على ضم ألمانيا الموحدة إلى حلف الناتو بدون اتخاذ أي إجراءات إضافية [٢٠] وكان رد فعل فرنسا وإنجلترا حادا تجاه إعلان الرئيس بوش أن أمريكا وألمانيا سيكونا «شركاء في الزعامة»، وذلك في يونيو ١٩٨٩ وقبل ٤ شهور قبل سقوط حائط برلين . وقد شعرت أوربا الغربية بشكل قوي بخطورة ظهور علاقات أمريكية ألمانية خاصة فرنسا وإنجلترا تلعبان في ظلها دوراً ثانوياً .

إلا أنه ومنذ صيف ١٩٩١ أصبحت الحكومة الألمانية تتعامل مع الدعم الأمريكي بوصفه شيئاً مضموناً ، ونسيت بشكل سريع أن تقدم الشكر على ذلك ، وبدأت تتوجه وتميل إلى سياسة تحقيق الذات والتي تنتجها فرنسا . ومنذ ذلك الحين أصبحت الشراكة الفرنسية قليلة الأهمية نسبيا بالنسبة لأمريكا تأخذ دوراً مهماً وجديداً ، واضطر الأمريكان للاقتناع كيف كان من المريح بالنسبة لهم قيادة حلف الأطلسي في ظل التهديد السوفيتي وانقسام ألمانيا .

الشكوك في الإستراتيجية

إن غياب خطر عسكري إستراتيجي عام أدى إلى تآكل فكرة التحالف الأطلسي التي تقوم عليها أيديولوجية الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة . وتوارى إلى الصف

الثانى هؤلاء الذين كان مؤيدين لفكرة التحالف هذه ومعتنقين لها بنسبة ١٠٠٪ ومنهم هنرى كيسنجر وبجيزنسكى ، وحتى هم أنفسهم قد تغيروا وغيروا من مواقفهم هذه؛ فقد دعا بجيزنسكى ، منذ وقت غير بعيد إلى اتحاد أوربى أوسع وأكبر الأمر الذى يمكن أن يؤدى «إلى توسيع نطاق النفوذ الأمريكى وإضعاف عملية تكامل أوربا السياسى وهى العملية التى من شأنها تشكيل تحدى قوى للولايات المتحدة فى القضايا ذات الأهمية الجيوبوليتيكية» (٢١) . إن موارد الولايات المتحدة القوية محدودة ولايجب إهدارها فى أوربا الغنية نسبيا . وهناك أمريكيون واقعيون يقترحون على شعبهم النظر إلى المستقبل البعيد والأشمل وهؤلاء يجذبون الاهتمام الأكبر . إن السياسة الأمريكية فى أوربا تقع على مفترق الطرق ؛ فمن واشنطن يمكن رؤية المصاعب الاقتصادية والتكاملية عند حلفائها الغربيين .قال السيناتور جيسى هيلمس ببساطة إن الاتحاد الأوربى لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن ينقذ نفسه من شنطة ورق مبللة » . أما روبرت ألتمان وتشارلز كوبتشان فقد دعيا حكومة الولايات المتحدة لمساعدة أوربا فى وقف انهيارها (٢٢) . وهكذا فالقضية تتخذ بذلك شكل أكثر حدة كلما أخذ الأمريكيون ينظرون بشكل أكثر اهتماما على قواتهم فى المنطقة ؛حيث احتمال وقوع صراع واسع النطاق قد اقترب من نقطة الصفر .

إن الجدل بين المعارضين والمؤيدين للوجود العسكرى الأمريكى فى أوربا يأخذ شكلا خطيرا وأكثر توترا ؛ فمن ناحية لم يعد هناك خطورة كبيرة لروسيا التى تضررت بشكل كبير ومن الصعب تفسير تواجد القوات الأمريكية على أنه ضرورى لدحر أى خطر يأتى من خارج المنطقة . ويرى مؤيدو هذا التواجد أن أمريكا تنفق على قواتها فى أوربا حوالى ٢ مليار دولار فقط زيادة على ما يمكن أن تنفقه إذا استقرت هذه القوات فى أمريكا نفسها . إن أمريكا تنفق على الجانب الدفاعى حوالى ٤٪ من حجم إجمالى النلتج القومى الأمريكى فى حين تنفق كل من إنجلترا وفرنسا ٣,١٪ وألمانيا ١,٧٪، ولقد انتظر أغلب الشعب الأمريكى بعد انتهاء الحرب الباردة الحصول على العائد والفائدة حتى ولو كان ذلك فى شكل اقتصاد النفقات التى تنفق على الاحتفاظ بالقوات الأمريكية فى أوربا (تنفق الدول الأوربية الأعضاء فى

حلف الناتو على احتياجاتها العسكرية ما يمثل ٦٦ ٪ من الميزانية العسكرية الأمريكية)[٢٣] . إن سعى أوربا لتحقيق الذات وكذلك غياب النزعة الوحدية ، مع أمريكا والذى يظهر على فترات ، كل هذا أدى إلى إضعاف مواقف الداعيين لتحالف أطلسى فى أمريكا ، ومن ناحية أخرى الولايات المتحدة غير مستعدة لترك المنطقة الثانية الأقوى فى العالم بدون أى سيطرة ، وتسعى واشنطن لدفع الثمن من أجل أن يكون لها ذراع السيطرة فى هذه المنطقة الغنية اقتصاديا فى العالم (بعد أمريكا الشمالية) ، هذا المركز الاقتصادى القادر على تحقيق التفوق العسكرى المماثل . إن أغلبية الأمريكيين ما زالوا يرون أن الاحتفاظ بالتواجد العسكرى الأمريكى فى أوربا والاحتفاظ بالناتو كأهم اتحاد عسكرى وسياسى أمريكى هو الوسيلة الوحيدة للوقاية والدفاع عن النفس . فى ظروف ينعدم فيها أى تهديد وارد من الشرق تتضح بشكل أفضل من أى وقت وظيفة حلف الأطلسى كمنظمة تضمن الهيمنة العسكرية الأمريكية على الغرب .

إلا أن انتفاضة أوربا الغربية فى التسعينيات أثارت رد فعل انتقادى حاد من جانب قطاع عريض من المتخصصين الأمريكيين . إن المقاومة التى تبديها باريس – حاليا من داخل الناتو – والمدعومة علنا وسرا من جانب ألمانيا الموحدة تثير الاشمئزاز عند الأمريكيين ؛ فقد كان الأمريكيون يأملون فى الاعتراف بجميل القيادة الأمريكية التى دعمت لسنوات طويلة وبشكل مطلق عملية التواجد والتكامل فى أوربا الغربية . ويعد السيد المعتدل جون نيوهاوس والأكثر حدة فى أحكامه ديفيد كاليو من أكثرمنتقدى اتجاه «التأطلس» نفوذا وشهرة وأنشطهم فى الثلاثين عاما الأخيرة وأكثر اقتناعا بأن أوربا تتجه نحو الانسلاخ وخلق محيطها الخاص . ونشير هنا إلى أن أى منهما ليس راديكالى يسهل اقناعه أوصحفى ، مهتم ولكنهما علماء أيديولوجيون رواد مؤسسون حذروا من الظواهر التى تحدث فى أوربا القوة الصناعية والثقافية الوحيدة التى يمكن مقارنتها بالولايات المتحدة . إن الفكرة المحورية للسيد نيوهاوس (الذى يعمل مستشارا للمكتب الأوربى التابع للحكومة ولسنوات طويلة) تتمثل فى أن أوربا الغربية والتى لم يعد أمامها عدو مشترك أصبحت أقل اهتماما بموقع الشراكة مع

الولايات المتحدة الأمريكية وذهبت أدراج الرياح آمال هؤلاء الذين كانوا يعتقدون أن أوربا بعد التحرر من التهديد السوفيتى ستتجه لشراكة أعمق مع الولايات المتحدة عن طريق تقديم المساعدة والتأييد لها فى المناطق المضطربة من العالم . فقد حدث العكس تماما ، حيث ركز الأوربيون على مشاكلهم الإقليمية الخاصة . لقد خلق انسحاب روسيا من أوربا الشرقية فراغا سياسيا هائلا استطاعت ألمانيا قبل غيرها أن تملأه الأمر الذى يعد بالإضافة إلى قدرتها الاقتصادية أساسا للزعامة الألمانية فى أوربا الجديدة تلك الزعامة التى تتشابه فى قليل من الأشياء مع صفة شرطى العالم التى تتمتع بها الولايات المتحدة . وبألاضافة إلى أوربا الشرقية فإن أوربا الجديدة تهتم بمنطقة حوض البحر المتوسط ودولها المحدودة النمو وذات الكثافة السكانية العالية ، كما أنها مشغولة بمشاكل كثيرة بعيدة عن الأمريكيين ؛ فهل على القيادة الأمريكية أن تعرب بصراحة عن عدم رضاها عن هذا تقوقع هذا الشريك الأوربى؟ يعتقد جورج نيوهاوس أن من الأفضل الموافقة بصمت على هذا التقوقع الأوربى الغربى . لا يجب على واشنطن أن تعلن عن مخاوفها صراحة : إنها إذا قامت بذلك فإنها ستثير اتهامات لأمريكا بأنها تسعى للإبقاء على أوربا مقسمة (٢٤) .

ويعتقد د . كاليو أن الحالة المزاجية العامة فى واشنطن حاليا شبيهة بما كانت عليه فى بداية الستينيات ؛ حيث شعر الإحساس بالنمو السريع والتفوق على الجميع ، وتمنى الخير للحلفاء ، لكن لا يجب الوثوق فى طول استمرار واستقرار هذا النجاح التاريخى . فمنذ ٣٠ عاما كانت فيتنام واليوم يوغوسلافيا ستوقف هذا الأسلوب من الحسابات الخاطئة النابعة من الثقة الأمريكية الزائدة بالنفس واليوم تقوم يوغسلافيا بنفس الدور. وخلافا للسيد نيوهاوس فإن كاليو لديه رأيا أسمى حول احتمال الوحدة الأوربية الغربية وقدرة هذا الاتحاد ، حيث يرى أن هناك تشكلاً لتكتل عالمى جديد مركزه أوربا الغربية . هذا المركز لن يكتفى فقط بالابتعاد عن الولايات المتحدة بل سيصبح منافسا قويا لها . هذا التطور لامفر منه وحتمى من الناحية التاريخية وإنكاره مناف للفكر السليم والمنطق . «إن الرؤية التشاؤمية لقدرات أوربا من شأنها فقط أن تعقد الوضع وتضاعف المخاطر»(٣٥) .

ولا يتفق كاليو مع هؤلاء الذين يرون أن العظمة والتفوق الأوربى كان فى السابق فقط ، الذين يعتقدون أن أوربا المعاصرة ليست مستعدة لتقديم التضحيات أو قادرة على تحقيق النهوض الجيوبوليتيكى . إن عملية التكامل الأوربى الغربى بدت بطيئة، إلا أنه مع بداية القرن الحادى والعشرين فإن الآفاق التى تنتظر العملة الأوربية الموحدة هائلة نتيجة كون ألمانيا تتزعم هذه العملية ، و هى الدولة العظمى فى المنطقة و العائدة إلي البناء الأوربى بعد إعادة تنظيم و بناء شطرها الشرقى. إن منظومة العملة الموحدة تمثل أساسا قويا و صلبا لبناء الاتحاد الأوربى ،إن العملة الموحدة ستمنح ألمانيا وأوربا بشكل عام قدرة مالية جديدة، و هذا فى حد ذاته يعتبر ثورة جيوبوليتيكية من نوع خاص، .

ويرى كاليو أن التكامل الأوربى يعتبر أكثر تجربة ناجحة على صعيد العلاقات الدولية فى العصر الحديث . و من مصلحة الولايات المتحدة أن تنضم إلى هذا النجاح. ومن هذا المنطلق يجب عليها أن توافق من البداية على تدعيم مواقع الأوربيين فى حلف الأطلسى . «إذا أقدم الأمريكيون على حصار عملية «أوربة» الناتو، و التى أصبحت ضرورة من زمن بعيد فإن الأوربيين سينتظرون بتصميم الفرصة لتحقيق ذلك . و إذا ارتكبت أمريكا تصرفا أحمق مثل استعداء روسيا الجديدة فإن الأوربيين سيكونون فى منتهى السعادة بقيامهم بدور الوسيط[٢٦] .

إن التباعد الأوربى عن أمريكا يبدو أمراً طبيعياً وفى حالتنا هذه مرغوب فيه ؛ فمن غير المستحسن أن تخسر صديقا قويا ، ولكن فى نفس الوقت لا يجب تحويله إلى عبد منصاع ، والصديق القوى الأكثر استقلالية هو أهم بكثير من تابع ضعيف . وكما يرى السيد كاليو فإن أمريكا يجب أن تولى اهتماما خاصا بأن تصبح أوربا قوية وفعالة وذات رؤية استقلالية أكثر من أن تصبح عبارة عن مجموعة دول ضعيفة لا يمكن التعويل عليها فى الصراعات المستقبلية المحتمة وبشكل خاص تورط أمريكا فى الشأن الآسيوى والأزمات المحتومة فى العالم اللاغربى ، ولذا فكما يعتقد كاليو لا يجب أن تفرح أمريكا لضعف أوربا المؤقت ، بل يجب أن تساعدها فى أن تصبح شريكا قويا .

ويشير رئيس تحرير مجلة «نيوروبوبلك» مايكل ليند إلى أن الولايات المتحدة تشهد سيطرة فكرة عاطفية وغير منطقية تقول بأن السيادة فى حلف الناتو لأمريكا، وكل ماعدا ذلك يجب أن يخضع لتحقيق هذا الهدف . وبالرغم من ذلك فإن نظام التحالفات التى أسست فى فترة الحرب الباردة تعرض لأزمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ونهوض اليابان وألمانيا» (٢٧). يجب أن تقوم واشنطن بصياغة برنامج إجراءات من شأنها تحاشى التباعد بين شاطئ الأطلنطى . ولا يمكن أن نغفل أعيننا عن المشاكل والصعوبات ؛ فالسياسيون فقط من أمثال بيجنسكى يرون من السهل توحيد قطبى المال والصناعة العظميين فى العالم .

فأمريكا يمكنها الهيمنة لعشر أو عشرين سنة قادمة على العالم ، لكن لا يمكن لأحد أن يتنبأ بمصير هذه الهيمنة بعد ذلك . ورغم أن الإحصاءات تقول بهيمنة الولايات المتحدة منفردة إلا أن تلك الإحصاءات لايمكنها الثبات طويلا فى عالم سريع النمو . ولا يمكن لأمريكا اعتمادا على قدراتها الخاصة فقط أن تضمن استمرار هيمنتها . وعلى ذلك فلا بديل أمام الولايات المتحدة عن اقتسام الهيمنة مع أوربا الغربية؛ «حيث تبدو الولايات المتحدة غير قادرة اعتمادا على قدراتها الخاصة فقط فى الحفاظ على مكانتها كقوى عظمى وحيدة فى العالم . والمخرج الوحيد لهذه الأزمة هو أن يتم الاستبدال بحلف أمريكا لحلف الأطلنطى المهيمن بالفعل على منظومة الأمن والاقتصاد العالمية» (٢٨) .

وإذا كان مقدرا على العالم فى القرن الحادى والعشرين أن ينقسم إلى منطقة سلام ومنطقة نزاعات (٢٩)(وهو الأمر الذى يفترض تدخل المنطقة الأولى فى شئون المنطقة الثانية) فإن الولايات المتحدة يجب عليها أن تمنح حكما ذاتيا لحليفها الأوربى الكبير. ويعرب العديد من علماء السياسة الأمريكيين ومن بينهم تش . لين عن قلقهم من التصاعد السريع لقوة ألمانيا الذى يعيد رسم خريطة السياسة الخارجية فى حلف الأطلنطى ، وهو الأمر الذى يؤثر بالسلب على وضع أمريكا المحورى الحالى.

إن أوربا العظمى بزعامة ألمانيا ، وإن كانت لن تمثل تهديدا مباشرا على مصالح أمريكا وأمنها إلا أنها ستصبح منافسا للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وشرق آسيا .

ويتحدث كل من و . وليس و ش . كويتشان عن «حالة الرعب من تحول أوربا إلى منافس بهذا الشكل»[٣٠] ، كما أن تحالف بين أوربا والصين مثلا يمكن أن يصبح كابوسا مرعبا بالنسبة لأمريكا ؛ حيث سيجمع أكبر سوق عالمى متحد مع أكبر دول سكانيا فى العالم . ولقد تنبأ بذلك منذ زمن رؤساء أمريكا السابقين واشنطن .جيفرسون، وعلى هذا فإن المهمة الأساسية للولايات المتحدة المريكية يجب أن تنصب على تحاشى تحال على هذا النحو ، وإذا افترضنا الاحتمال الأسوأ بحتمية حدوث ذلك فيجب أن تقوم أمريكا بتحالفات مضادة مع اليابان وروسيا والهند . وحتي لا يحدث سيناريو بهذا الشكل شديد القسوة والتطرف يجب تعبئة القوة الموالية لأمريكا فى أوربا .

تحولات القرن الواحد والعشرين

هناك فكرة آخذة فى النضوج فى الأوساط السياسية الأمريكية حول وجوب قبول النهج الاستقلالى لأوربا الغربية الذى يعتبر تطوراً طبيعياً يخضع لأحكام التاريخ وقوانينه ، وهو أمر لا يجب التدخل فيه ، بل يجب الاتفاق على قيام حكم ثنائى فى العالم ، وهذا هو المخرج الوحيد لأمريكا فى القرن الحادى والعشرين . ويعتقد أغلب علماء السياسة الأمريكيين أن توقيع اتفاق شراكة تجارية بين دول حلف الأطلسى «سوبر نافطا» يجب أن يصبح الهدف الأساسى للسياسة الخارجية الأمريكية ؛ حيث إن منظمة كهذه ستسيطر على نصف حجم الناتج الإجمالى العالمى ونصف حجم التجارة العالمية . وهنا يمكن الاعتماد أمنيا على القوة العسكرية «الموجودة بالفعل والمتمثلة فى الجناح العسكرى لحلف الناتو» [٣١]، وهذا الأمل يدعمه احتياج الاتحاد الأوربى فى خططه التنموية الكبرى إلى العون الأمريكى .

إن أهم شىء تعول عليه أمريكا فى هذا الصدد يتمثل فى أن سفينة أوربا لا محالة يلزم عليها أن تلقى بالهلب فى بحارنا» [٣٢] ، هكذا يعتقد السيد د . جريس وبغض النظر عن درجة وحجم استقلالية هذا الكيان الجديد ، وتفرض الأحداث كلها على الأمريكيين أن يعقدوا آمالهم على برلين ، فالأمريكيون يعولون على شركائهم الألمان

وعلى رؤيتهم الثاقبة للواقع الذى يقول إن أمريكا إذا تركت أوربا فسيستولى الرعب الشديد من ألمانيا على أوربا كلها بحيث سيتكون ما يشبه تحالف أوربى سريع لكل القوى المعادية للألمان . هذا الرعب هو الشيء الوحيد ، والذى يجعل من وجود القوات الأمريكية فى أوربا شيئاً مقبولاً ، فإذا أصرت ألمانيا على موقفها وعلى مساعيها الاستقلالية ولإثبات ذاتها فإن أمريكا سيكون لزاما عليها أن تحول وجهتها نحو الحليف الأنجلوسكسونى آملة فى أن تستطيع بريطانيا تهدئة وإخماد الثورة السياسية الخطيرة للاتحاد الأوربى . وستجد لندن شركاء يخشو أنفسهم الزعامة الفرنسية الألمانية (هذا بالإضافة إلى محاولة ألمانيا الثالثةخلال قرن للهيمنة على أوربا) . وتؤكد التحليلات التى تتناول انقسام حلف الأطلسى أن الأمر لا يتعلق فقط بالسلوك الذى تنهجه أوربا الغربية، بل إن هناك تغييراً واضحاً فى رؤية ملايين الأمريكيين .

و يدعو السيد إيرفين كريستول ، والذى يعد واحدا من كبار المفكرين إلى تغيير الأولويات الجغرافية الأمريكية بقوله لقد انتهت الحرب الباردة و انتهت معها حقبة كاملة من التاريخ العالمي – ألا وهي الحقبة الأوربية. وما زالت الأمم الأوربية تملك قوة تكنولوجية و اقتصادية و حضارية هائلة ، إلا أن نفوذها السياسى الخارجى مازال قليل الأهمية. فأوربا لم تصبح مركز العالم كما كان في السابق ، أما الناتو فقد أصبح منظمة دون دور. بالإضافة إلى ذلك فإن المشاكل السياسية الخارجية لأمريكا تقع خارج حدود أوربا : المكسيك ،صعود الأصولية الإسلامية في الشمال الأفريقى والشرق الأوسط ،صعود الصين كدولة عظمى مهيمنة فى آسيا .(٣٣)

و بعد مائة عام من الحروب الأوربية وخمسين عامًا من الارتباط بأوربا فإن الولايات المتحدة تبدأ عصرًا جديداً يفتقد فيه المحور الأوربى أهميته السابقة. «فالولايات المتحدة تشعر بالتأثير السلبي للأزمة الاقتصادية فى المكسيك ، و هو أمر غير ذى تأثير علي أوربا .فى نفس الوقت فإن الأوربيين يشعرون بالتهديد القادم من الشمال الأفريقى مع تزايد صعود الأصولية الإسلامية ، و هو التهديد الذى لا يحظى بنفس الأهمية لدى الأمريكيين» .(٣٤)

ومن السابق لأوانه أن نخرج بنتائج نهائية، فكل من الأمريكيين والأوربيين لا يعرفون بالتحديد أين يختلفون و حجم و سرعة هذا الاختلاف .صحيح أن التهديد فى السابق كان واحدا ، و لكن هذا التهديد قد اختفى الآن . وكما يشير واحد من الباحثين السياسيين المرموقين فإن بدون قوة معادية و تهديد مشترك للطرفين فإن حبل الوصال بين أوربا و أمريكا لا يمكن ضمان عدم انقطاعه[٣٥]. إن الأسس الحضارية والإثنية والثقافية مختلفة بين أمريكا الشمالية وأوربا الغربية فى حين تتطابق المصالح الاقتصادية ، وكل منهما يمتلك تحالفا خاصا ومنفصلا (الاتحاد الأوربى و النافتا) .

مراجع الفصل الرابع

1-UN Population Division. Dept of Economic and Social Information and Policy Analysis. World Population Prospects. N.Y.,1997.

2-Economist. January 24,1999.P. 27.

3-Ibid. P. 17.

4-Ibid. P. 66.

5-Layne Ch. Rethinking American Grand Strategy. Hegemony or Balance of Power in the Twenty-First Century?// World Policy Journal. Summer 1998.P. 12.

6-The World in 1999. The Economist Publications. London, 1999.P.105.

7-Wallace W., Zielonka J. Misunderstanding Europe // Foreign Affairs. November-December 1998.P.65.

8- The New York. February 10, 1986.

9-Financial Times. June 12, 1995.

10-Financial Times. January 30, 1995.

11-Sir Robin Renwick . Fighting with Allies. N. Y., 1996. P. 394.

12-Reuters World Service. London. May 25,1994.

13-The New York Times Review of Books. Nov. 18 ,1993.P .3.

14-The New York Times . February11, 1997.

15-Ibid. P.4.

16-Newhouse J. Europe Adrift. N. Y., 1997. P.8.

17-Newhouse J.Op.cit.P.9.

18-Newhouse J. Europe Adrift. N.Y., 1997.p.8.

19-Reflections on European Policy.Policy Paper. CDU/CSU parliamentary group. Bundestag, Bonn. September 1,1994.

20-Newhouse J.Op.cit.P.156.

21-Foreign Affairs. Nov.-Dec. 1998.P.67.

22-Wallace W., Zielnka J. Op cit. P.66.

23-Foreign Affairs. Nov.-Dec.1998.P.72. .

24-Newhouse J. Europe Adrift. N.Y.,1997.P.114.

25-Calleo.D. An American Skeptic in Eurpe // Foreign Affairs. November-december 1997.P.147.

26-Ibid. P. 149.

27-Lind M. Pax Atlantica. The Case for Euramerica // The World Policy Journal. Spring 1996.P.1.

28-Lind M. Pax Atlantica .P.6

29-Singer M.,Wildavsky A. The Real World Order : Zones of Peace, Zones of Turmoil. Chatam (N.J.),1993.

30-Wallace W., Zielonka J. op. cit. P.66.

31- The World Policy Journal. Fall 1995.P.18.

32- Gress D. The Weak Heart of Postmodern Europe // Orbis. Winter 1997.p.60.

33- Rieff D. Whose Internationalism ? Whose Isolationism // World Policy Journal. Summer 1996.P.3.

34- Kristol I. Who now cares about NATO? // Wall Street Journal. February 6, 1995.

35- Newhouse J. op. cit. P. 308

الفصل الخامس

القدرة على مواجهة آسيا

إن القرن الحادى والعشرين تحديدا، هو القرن الذى ستتم فيه أكبر التحولات فى الإستراتيجية الأمريكية الدولية، وسوف تجرى هذه التحولات فى اتجاه آسيا. وفى هذا الاتجاه تحديدا ، أى نحو شواطئ المحيط الهادى سوف ينتقل مركز الاقتصاد العالمى بكل فعاليته . وهنا أيضا يمكن أن ينقلب استخفاف الإستراتيجيين الأمريكيين رأسا على عقب بسبب ظهور المنافس الجديد فى الأفق، هذا المنافس الذى يخوض الآن بدايات نضاله على المستوى الإقليمى، والذى سوف يدخل - بمنطق المواجهة - إلى النضال على المستوى العالمى، بداهة فإننا نعنى بهذا المنافس الصين .

تقوم الإستراتيجية الأمريكية تجاه آسيا على ركيزتين : الأولى - عسكرية، فواشنطن تحتفظ بمائة ألف عسكرى فى اليابان (فى جزيرة أوكيناوا) وفى كوريا الجنوبية، وفى مياه المحيط القريبة تنتشر قطع الأسطول السابع الأمريكى، وهذا الوجود العسكرى هناك هو الذى يضمن للولايات المتحدة الأمريكية قدراً مهماً من السيطرة على الدولتين الكبريين والهائلتين اقتصاديا - اليابان وكوريا الجنوبية. وبالإضافة إلى ذلك فالولايات المتحدة الأمريكية تعتبر بالفعل هى المستشار العسكرى لكل من تايوان وباكستان والعربية السعودية؛ إذ تمدهم بالأسلحة الحديثة ، وتهرع لمد يد العون لهم فى أوقات الشدة. وبطبيعة الحال فمن المستحيل أن تحل أى قضية مهمة فى هذه المنطقة المترامية الأطراف دون أن توضع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى الاعتبار. لنتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية خاضت مع نهاية القرن العشرين ثلاثة حروب كبرى هنا ضد كل من اليابان وكوريا وفيتنام .

والركيزة الثانية تتمثل فى السماح لدول مختارة فى المنطقة للدخول إلى السوق الأمريكية الغنية . وبالنسبة لآسيا فإن فتح هذا السوق أمام بضائعها الرخيصة ذات الجودة العالية أمر مهم بحق، وهو ما فعلته أمريكا بهدف واضح وصريح ، وهو حصولها على مساندة آسيا لها فى الحرب الباردة. ودون هذا السماح يصعب أن

نتصور تلك النهضة الاقتصادية لليابان خلال الفترة من ١٩٥٠إلى ١٩٩٠ ثم مولد «النمور الأربعة» (كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة)، ثم النهوض الخيالى لجمهورية الصين الشعبية بعد عام ١٩٧٨، وإيقاع النمو المتصاعد لدول الآسيان.لقد كان السماح بدخول السوق الأمريكية هو أضخم سند اقتصادى لواشنطن . إن التجديد السنوى للصين باعتبارها الدولة الأولى بالرعاية يعد تنازلا كبيرا تود الولايات المتحدة الأمريكية أن تحصل من ورائه على تعويض فى هذا المجال أو ذاك.

بإمكاننا أن نرسم صورة مبسطة لمهام الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين على النحو التالى: الاحتفاظ بتأثيرها على اليابان وكبح تقدم الصين وعدم السماح بتحولها إلى زعيم إقليمى فى هذا الجزء من العالم الواعد بأن يكون مركزا لتطور الاقتصاد العالمى .

نهضة آسيا

اكتشف العالم الكونفوشيوسى المنتمى لحضارة القارة الصينية، إلى جانب الجماعات الصينية التى تعيش فى البلاد المتاخمة للصين، وكذلك الثقافات ذات الجذور المشتركة فى كوريا وفيتنام ، خلافا للشيوعية والرأسمالية ، اكتشف فى هذا الوقت تحديدا قوة التقارب والتكتل فى منطقة شرق آسيا على أساس تعاليم الكونفوشيوسية التى تدعو إلى حب العمل واحترام السلطة وإجلال الكبار وفى النظرة الرواقية للحياة . بهذا القدر من الوضوح تتكشف أمامنا قوة الدفع الأساسية . ومن المدهش فى هذا السياق غياب الصراعات الداخلية (على الرغم من التفاوت الاجتماعى)، فالمنطقة كلها يراودها الأمل فى إمكانية التكامل، وهى تحقق سبيكة خيالية تجمع بين التكنولوجيا والفلسفة الرواقية التقليدية ، كما تحقق نموا ذاتيا، وتتخلص على نحو مثير من مركب النقص القديم، ففى عام ١٩٥٠كانت الصين تنتج ما يعادله ٣.٣ ٪من إجمالى الإنتاج العالمى، أما فى عام ١٩٩٢ فبلغت هذه النسبة ١٠ ٪، ومن الجلى أن هذا النمو سوف يستمر. ووفقا للتنبؤات فإن ما لا يقل عن ٢١ ٪

من سكان العالم سوف يعيشون فى عام٢٠٢٥ داخل حدود الحضارة الصينية. جدير بالذكر أن حصة جيوش هذه الحضارة الصينية كانت تشغل المرتبة الأولى فى العالم فى عام ١٩٩١من ناحية العدد: ٢٥,٧ ٪.

لقد أصبحت إمكانيات التحديث والتنمية على طريق النمو المكثف مع الاحتفاظ بالهوية أمرا واقعا ، ولاسيما بعد اختراع خط الإنتاج الذى قضى على أسباب تفوق الولايات المتحدة الأمريكية، والتى تتلخص فى الاستقلالية والتركيز والفردية والإبداع فى العمل وفى البحث عن حلول مبتكرة[١] .

لقد تبين أن الشباب الذى تربى على المبادئ الكونفوشيوسية مؤهل لاقتحام ظروف العمل الشاق . إن الفرصة التى وفرها فورد فى ديترويت التقطها شرق آسيا ، حضارة أخرى، عالم آخر.

نهضة اقتصادية مفاجئة:

من أجل أن تحقق نصرا فى الحرب الباردة، هيأت الولايات المتحدة الأمريكية بنفسها الفرصة لمنافسيها الأقوياء. وعلى التاريخ أن يصدر حكمه فيما إذا كان من الحكمة أن تقوم الولايات المتحدة بتقديم هذا الدعم الواسع لكل من اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة ثم من بعدهم جميعا جمهورية الصين الشعبية، التى خطت خطوتها الأولى للدخول المؤثر فى عالم الصناعة منذ عام ١٩٧٨ . لقد نجحت الصين فى الجمع بين التكنولوجيا المتقدمة والمثابرة الثابتة على الطريقة الرواقية وعلى حب العمل التقليدى وإطاعة القوانين وتضحية شعب تعرض كثيرا لمهانة التاريخ . لعل نابليون كان محقا عندما حذر الغرب من الصين .

إن حضارات مثل حضارات أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية والحضارة الهندوسية لم تظهر عداءً مباشراً للحضارة الغربية ، على الرغم من أنها مرت جميعا بمرحلة محددة من إثبات الذات ، ولكننا إذا ما تحدثنا عن شرق آسيا فسنجد أن الصين واليابان والعالم الإسلامى ، الذى يتحرك فى هذا السياق على نحو متواز معه ، أخذوا يشغلون جميعا منذ نهاية التسعينيات موقفا أكثر صرامة تجاه الغرب . وفى الولايات المتحدة

الأمريكية اكتسبت وجهة النظر القائلة بأن أخطر معارك المستقبل ستأتى بالأحرى نتيجة المواجهة بين الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامى وإثبات الذات الصينى قد اكتسبت شعبية واسعة(٢).

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى سبعة وأربعين عاما لكى تضاعف من إجمالى إنتاجها القومى للفرد، بينما حققت اليابان هذا الأمر خلال ثلاثة وثلاثين عاما فقط ، وحققته إندونيسيا خلال سبعة عشر عاما ، وكوريا الجنوبية خلال عشرة أعوام، ثم تأتى جمهورية الصين الشعبية لتحقق فى الثمانينيات والتسعينيات معدل نمو اقتصادى بلغ متوسطه ٨ ٪ سنويا. لقد أتاح النمو الاقتصادى الجبار للآسيويين أن يحققوا على مدى بضعة عقود ما تتطلب من الغرب بضعة قرون. لقد تجاوز متوسط معدل الزيادة فى إجمالى الناتج القومى فى الدول الآسيوية٦ ٪ سنويا ، بينما تراوحت النسبة فى الغرب ما بين ٢,٥ ٪ إلى ٢,٧ ٪. وبحلول عام٢٠٢٠ سوف تنتج آسيا ما يزيد على ٤٠ ٪ من إجمالى الناتج القومى العالمى فى آسيا. فى مطلع القرن الحادى والعشرين سوف تصبح ١٦ مدينة من مجموع ٢٥ من أكبر مدن العالم موجودة فى آسيا . وفى آسيا تحديدا تم فى الأعوام من ١٩٩٤ إلى١٩٩٦ بناء ستة مفاعلات ذرية (من سبعة بنيت آنذاك فى العالم بأسره) . وعلى مدى العشرين عاما القادمة سوف تكون هناك خمسة من ستة من أكبر الأنظمة الاقتصادية فى العالم فى آسيا . ووفقا لتنبؤات إدارة المخابرات المركزية للولايات المتحدة الأمريكية فسوف تقف الصين عام ٢٠٢٠ على رأس القائمة العالمية بمجمل ناتج قومى يبلغ ٢٠ تريليون دولار تليها الولايات المتحدة ١٣,٥ تريليون ثم اليابان ٥ تريليون والهند ٤,٨ تريليون وإندونيسيا ٤,٢ تريليون وكوريا الجنوبية ٣,٤ تريليون ثم تايلاند ٢,٤ تريليون دولار.

وبالنسبة لتاريخ الغرب، الذى اعتاد أن يتبوأ مركز الزعامة على مدى خمسة قرون، سيكون الأمر بالنسبة لحدث العصر، فإذا كانت نيميسيدا هى آلهة الانتقام عند الغرب فهى تحمل الآن اسم شرق آسيا، فهذه المنطقة تمتلك أكبر فرصة للتقدم مع مطلع القرن الحادى والعشرين.

والآن يأتى الحديث عن العجز التجارى فى التبادل السلعى بين الولايات المتحدة الأمريكية وجميع بلدان آسيا؛ ففى عام ١٩٩٤ بلغ العجز الأمريكى فى التجارة مع اليابان ٦٥,٧ مليار دولار ، ومع الصين ٢٩,٥ مليار ، ومع تايوان ٩,٦ مليار ، ومع ماليزيا ٧مليارات ومع تايلاند ٥,٤ مليار دولار . وفى عام ١٩٩٦ اقترب العجز التجارى الأمريكى مع جمهورية الصين الشعبية إلى ما قيمته ٤٠ مليار دولار . واستنادا إلى تنبؤات البنك الدولى للتعمير والتنمية فسوف تبلغ صادرات الصين الكبرى (الصين وهونج كونج وتايوان) فى عام ٢٠٠٢ ما قيمته ٦٣٠ مليار دولار، وهو ما يزيد عن صادرات اليابان (٥٢١مليار دولار) . لقد أصبحت التجارة مع الصين بالنسبة للغرب، وللولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص عاملا له مغزى إستراتيجى .

التأكيد الذاتى الفكرى :

إلى جانب النهضة الاقتصادية التى حققتها آسيا ، فإنها -وللمرة الأولى فى تاريخ العالم الحديث -تأتى لتؤكد قوتها الثقافية ، لا باعتبارها ثقافة تمتلك نفس الحق فى الاحترام فحسب ، وإنما باعتبارها ثقافة تمتلك فى كثير من جوانبها قيما أرفع بكثير مما لدى الثقافة الغربية . وفى رأى رئيس وزراء سنغافورة العجوز لى كوان يو ، فإن القيم الاجتماعية وتجربة سكان شرق آسيا من اليابانيين والكوريين والتايوانيين وفى هونج كونج وسنغافورة ، تمثل بالنسبة لهم ميزة كبرى فى عملية سباقهم مع الغرب؛ فالعمل والأسرة والنظام وهيبة السلطة وخضوع النوازع الشخصية لمبدأ الجماعة ثم الإيمان بالنظام الهرمى وأهمية الإجماع فى الرأى والسعى لتجنب المواجهة والاهتمام الأبدى بإنقاذ الفرد ، وهيمنة الدولة على المجتمع (والمجتمع على الفرد) ، أى أفضلية الاستبداد العادل للسلطة على الديموقراطية الغربية - هى فى رأى سكان شرق آسيا ألف باء النجاح الذى تحقق فى نهاية التسعينيات ، وهى أساس النجاح فى المستقبل . لقد ظهرت عقيدة التفوق الآسيوى التى تدعو اليابان نفسها لنبذ أساليب الحياة الأمريكية وتجربة النزوع لما هو غربى باعتبارها تجربة فاسدة . وقد طرحت هذه العقيدة برنامج النهضة الروحية ، ورفعت مبدأ عودة آسيا لآسيويتها باعتبارهما

فكرتين مناهضتين للفردية الغربية والتعليم المنحط وعدم توقير الكبار واحترام السلطة.

وفضلا عن ذلك فإن آسيا راحت تتوجه بالعودة إلى «المجتمعات غير الغربية» لنبذ الدوجمات القديمة، وبات النموذج الأنجلو سكسونى للتقدم ، والذى كان فيما مضى هو النموذج الذى يلقى كل الترحيب باعتباره الطريق الأفضل للتحديث وبناء نظام سياسى فعال أمرا مرفوضا، كما اهتز الإيمان بالحرية والمساواة والديمقراطية التى يلوح بها الغرب؛ فضلا عن بثه لبذور الشك فى الحكومة والدعوة إلى مواجهة السلطات. وفى آسيا الوسطى ينظرون نظرة نقدية إلى هذا التحفظ «غير الملموس» وإلى نفوذ النظام السياسى الغربى ، وهنا يواجه مبدأ المنافسة الحادة وتقديس حقوق الإنسان والنزوع الواضح تجاه نسيان الماضى وتجاهل المستقبل من أجل الحصول على ثمار التقدم فى المستقبل بمشاعر الشك . إن العالم النامى الهائل الممتد من آسيا الوسطى وحتى المكسيك ليس ملزما بقبول الدوجمات الفردية الفريدة، وإنما عليه أن يحاكى التجربة الآسيوية الحقيقية. إن القيم الآسيوية قيم كونية ، أما القيم الأوربية فلا تصلح إلا للأوربيين (٤) .

زعيم المنطقة

لقد أصبح واضحا الآن من هو زعيم آسيا؛ فبعد قرون من السبات تهب الصين لتقف على قدميها ، ولتحتل -استنادا إلى بيانات البنك الدولى للتعمير والتنمية الصادرة عام ١٩٩٦- المرتبة الرابعة دوليا من ناحية التقدم الاقتصادى إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا. وفى عام ١٩٩٦ بلغت احتياطيات الصين من العملات الحرة ما قيمته ٩١مليار دولار ، وهو مؤشر لايدانيها فيه فى العالم سوى اليابان وتايوان . وفيما يلى نستعرض الميزان التجارى للصين : تبلغ قيمة واردات الصين من الولايات المتحدة الأمريكية ١٧,٧ مليار دولار ، بينما تصل صادرتها إلى الولايات المتحدة ٤٥,٥ مليار دولار. وجدير بالذكر أن واردات أمريكا من الصين تلغى ٨٦٠ ألفا من الأيدى العاملة فيها . فى عام ١٩٩٧ عادت هونج كونج الشريك التجارى الثالث عشر – من ناحية الحجم – للولايات المتحدة الأمريكية (يبلغ مقدار

التبادل التجارى بينهما ٢٤ مليار دولار)إلى الكيان الصينى . وتمتلك هونج كونج قاعدة علمية وتكنولوجية عملاقة واحتياطيات فى العملات الحرة تبلغ ٦٠ مليارا من الدولارات .

فى كتابيهما «الصراع القادم مع الصين» يصف كل من ر. برنشتاين و ر. مانرو المتخصصين فى الشئون الصينية النهضة الصينية باعتبارها «التحدى الأصعب» ؛ لأن الصين – خلافا للاتحاد السوفيتى – ليست دولة عسكرية جبارة تقوم على اقتصاد ضعيف ، وإنما هى اقتصاد قوى يبنى قوة عسكرية مؤثرة. ويرجع الفضل فى ذلك إلى النمو الثابت للتأثير الصينى على كافة أنحاء آسيا وعلى العالم ككل . إن الدور العالمى الذى تتوقعه الصين لنفسها مرتبط بنهضة منافسى الولايات المتحدة الأمريكية ونهضة خصومها» (٥) .

لقد ساهمت حركة المهاجرين الصينيين العريضة والمؤثرة فى دوران الحياة الاقتصادية والثقافية للمنطقة حول المحور الصينى .

فى التسعينيات فى القرن العشرين كان الصينيون يشكلون ١٠ ٪ من تعداد سكان تايلاند ، ويتحكمون فى نصف إجمالى الناتج القومى فيها؛ وفى ماليزيا شكل الصينيون ثلث السكان ، وهؤلاء كانوا يمتلكون كل اقتصاد البلاد، وفى إندونيسيا تتحكم الجالية الصينية التى لا يتجاوز عددها ٣ ٪ من تعداد السكان فى ٧٠ ٪من الاقتصاد. وفى الفلبين لايزيد تعداد الصينيين عن ١ ٪ من مجمل السكان، ولكنهم يملكون فى أيديهم ما لا يقل عن ٣٥ ٪ من الإنتاج الصناعى للبلاد . وهكذا يتضح بجلاء أن الصين أصبحت المحور الرئيسى لجماعة قوية متماسكة تتميز بالحيوية والإبداع ، وترى فى نفسها من جديد الإمبراطورية الوسطى.

يقول ر. هولوران : «لقد أحيت الصين عقلية الدولة الوسطى ؛ حيث كان الآسيويون الآخرون يبدون باعتبارهم كائنات منحطة ، بينما يبدو ممثلو الغرب باعتبارهم همجًا» (٦) . أما ك. ليبيرتاك من جامعة ميتشجان فيفترض أن زعماء الصين قد اتجهوا ناحية النزعة القومية حتى يدعموا النظام السياسى (٧) . وقد شرع

المحللون الغربيون فى مقارنة النهضة فى الصين بالنظام العالمى المختل إبان ألمانيا القيصرية على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين (١٨٧١–١٩١٨).

وحول نهضة الصين باعتبارها طفرة إستراتيجية عالمية يقول عالما الجيوبولوليتيكا إلينج وأولسين: «تعتبر الصين نفسها نموذجا طبيعيا للدولة المهيمنة فى شرق آسيا ، وهو أمر لايتحدث به الصينيون ، وإنما يسيرون على نهجه خطوة خطوة وراء الأخرى. وخلافا لليابان، ذات التأثير الاقتصادى فى المرتبة الأولى، تسعى الصين–كلما ازدادت قوة –لأن تحقق إلى جانب التأثير الاقتصادى تأثيرا سياسيا» (٨).

وعندما يخرج البرتغاليون فى عام ١٩٩١ من ماكاو – آخر مستعمرة للغرب فى الصين – سيصبح العالم على الأرجح مختلفا ، وسوف يظهر فى منطقة شمال الأطلنطى منافسا مليئا بالثقة . وسيصبح الصينيون أندادا للأمريكيين والأوربيين فى المجالس العليا ، التى بيدها اتخاذ قرارات الحرب والسلام» (٩). وسوف يتم هذا لا بفضل إحياء الذاكرة المفقودة فقط ؛ فمن البديهى أن الصين تتحرك باتجاه الأصول»: إعادة بناء صور الصين العظيم ، طبع الكتب ذات التوجه الأكثر وطنية ، ونقد شرور الرأسمالية ، وتجديد الكونفوشيوسية .

وعلى النحو التالى يقيم لى كوان يو رئيس وزراء سنغافورة النهضة الصينية: «إن حجم التغير الذى أحدثته الصين فى ميزان القوى فى العالم، وصل إلى حد أن هذا العالم بحاجة إلى من٣٠ إلى ٤٠ عاما ليستعيد التوازن الذى فقده . سوف يظهر على الساحة العالمية ليس مجرد لاعب آخر جديد ، وإنما سيظهر عليها أعظم لاعب فى تاريخ البشرية» (١٠) .

الوجه المناقض للغرب

والآن ها هو العملاق العالمى الجديد يمد بصره تجاه الغرب ودون أدنى قدر من العطف. لقد تكونت لدى قادة الصين ومثقفيه فكرة مفادها أنه وبعد حسن نيات الغرب التى تجلت فى السبعينيات والثمانينيات ، راحت مشاعر العالم فى التسعينيات تقسو تجاه الصين وخبت الرغبة فى تقديم يد العون من أجل تنميتها . وبات على

الصين الآن أن تعتمد على ذاتها، وهى قادرة أن تدافع عن مصالحها بعد مائتى عام من الإذلال .

كان دان سياوبين مثالا للتحفظ الصينى ، ثم جاء من بعده أنصار مفهوم تأكيد الذات ليأخذوا فرصتهم . لايبدو فى الأفق السياسى الصينى مع أفول التسعينيات شخصيات ذات توجه مؤيد للغرب ، ومن ثم فقد أعلن أنصار القسوة عن أنفسهم دون مواربة . لقد أدت بعض التصرفات التى أقدمت عليها الولايات المتحدة الأمريكية مثل تنشيط البث عبر إذاعة آسيا الحرة إلى إثارة مشاعر الغضب لدى القيادة الصينية، وأصبحت مواقف الولايات المتحدة والصين تتسم بالتضاد . وقد ورد فى احدى الوثائق الصينية السرية عام ١٩٩٢مانصه : منذ أن تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدولة العظمى الوحيدة، وهى تناضل بشراسة من أجل تحقق مزيدا من الهيمنة وسيادة سياسة القوة التى تتبعها ، يجرى كل ذلك فى ظروف دخولها فى مرحلة السقوط النسبى وتراجع قدرتها . ومنذ عام ١٩٩٢وكافة الوثائق السرية الحزبية للحزب الشيوعى الصينى تعرف الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها العدو الحقيقى للصين . وقد أعلن السيد تشاو زيان رئيس جمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٩٥أن القوى العدوانية للغرب لم تتخل يوما واحدا عن مخططاتها لتغريب وتقسيم بلادنا . وفى خطاب ألقاه السيد زيان زيتشين وزير خارجية الصين فى عام ١٩٩٥ فى الاجتماع السنوى لقادة منظمة أسيان ، ذكر الوزير الصينى: أن الوقت قد حان لتتوقف الولايات المتحدة الأمريكية عن النظر إلى نفسها باعتبارها «منقذ الشرق» . إننا لا نعترف بتطاول الولايات المتحدة على أداء دور الضامن للسلام والاستقرار فى آسيا. ويرى القادة الصينيون أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول تقسيم الصين إلى مناطق وإخضاعها سياسيا وإعاقتها إستراتيجياً وتقليص دورها اقتصادياً (١١) .

يدين الجنرال زان فانيان رئيس أركان حرب الجيش الشعبى الصينى تدخل أصحاب التوجه الأمريكى فى الهيمنة فى الشئون الداخلية للصين ودعمهم الصريح للعناصر العدوانية داخل البلاد . ويكشف خو إينتاو عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسى للحزب الشيوعى الصينى العدو الأمريكى بقوله : إن الحزب الشيوعى

الصينى هو العدو الرئيسى اليوم تبعا لإستراتيجية الهيمنة العالمية التى تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية، ومبادئ هذه الإستراتيجية هى التدخل فى شئون الصين والإطاحة بالحكومة الصينية والقضاء على التنمية فى الصين . ويعلن دين جواند چين رفيقه فى المكتب السياسى ،أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحويل الصين إلى دولة تابعة، (١٢) .

وفي أحد البحوث التحليلية الذى يحمل عنوان هل يمكن أن يكسب الجيش الصينى الحرب القادمة ؟ نقرأ أن: ،منطقة المحيط الهادى الآسيوية سوف تكتسب تدريجيا بعد عام ٢٠٠٠ الأهمية الأولى بالنسبة لأمريكا.... فمن ستكون بيده مقادير المبادرة فى هذه الفترة الانتقالية هو الذى ستكون له القدرة على اتخاذ القرار فى المستقبل ... لقد ظل صراع المصالح الإستراتيجية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية لفترة محدودة قائما فى الظل على أنه ومع انهيار الاتحاد السوفيتى خرج هذا الصراع على سطح الأحداث ، وسوف تظل الصين والولايات المتحدة الأمريكية فى حالة مواجهة دائمة، وقد ركز كل منهما انتباهه نحو مصالحه الاقتصادية والسياسية فى منطقة المحيط الهادى الآسيوية . فى عام ١٩٩٣ قامت مجموعة من كبار ضباط جيش التحرير الشعبى الصينى بتوجيه خطاب إلى دين زياو بين يطلبون فيه وقف سياسة ،الصبر وضبط النفس والحلول الوسطى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، .

وفى نفس العام أصدر المؤتمر القومى العام لممثلى القوات المسلحة والحزب فى جمهورية الصين الشعبية وثيقة محورها الحكم التالى: لقد أصبحت الصين منذ هذه اللحظة الهدف الرئيسى للهيمنة الأمريكية ولسياسة القوة ... ويجرى تحقيق هذه الإستراتيجية بواسطة فرض المقاطعة على الصين بهدف إجبارها على تغيير أيديولوجيتها واستسلامها للغرب عن طريق التسرب إلى الأنساق العليا للسلطة فى الصين بتقديم المساعدات المالية للقوى العدوانية داخل الأراضى الصينية وخارجها ، تلك القوى التى تتحين اللحظة المناسبة لتأليب القلاقل عن طريق فبركة نظريات وبذر الشقاق بين الصين وهذه الدول مثل الهند وإندونيسيا وماليزيا عن طريق توجيه كل من اليابان وكوريا الجنوبية بغرض جذبهما إلى إستراتيجية الصراع الأمريكى ضد

الصين، وقد قوبل القرار الذى اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية فى عام١٩٩٦ بدعم علاقاتها العسكرية مع كل من اليابان وأستراليا «بضبط النفس» من جانب الصين .

وفى النقاشات التى دارت فى بكين ، دوت الحجج القائلة بأن الولايات المتحدة الأمريكية هى «دولة فقدت تأثيرها ، وراحت تسعى للحيلولة فى صعود تلك الدول العظمى الجديدة مثل الصين .... فالولايات المتحدة ببساطة لا تستطيع التخلى – وفقا لعقليتها – عن الموقع الذى تفرض منه مبادئها وسياستها التى لا تبالى بمشكلات الصين الداخلية»(١٣). ولماذا يجب أن تملى هذه الدولة الواقعة على الجانب الآخر للمحيط العظيم إرادتها على دولة ظلت تفرض هيمنتها على منطقتها على امتداد بضعة آلاف من السنين ؟ إن كتاب «الصين تستطيع أن تقول لا» ، والذى أصبح فى عام ١٩٩٦ واحدا من أكثر الكتب مبيعا يدعو لمكافحة الإمبريالية الثقافية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وإلى مقاطعة البضائع الأمريكية، كما يطالب بدفع تعويضات مقابل الاختراعات الصينية مثل البارود والورق وفرض قيود جمركية على السلع الأمريكية ومحاولة إقامة علاقة تحالف مع روسيا تقوم على المواجهة المشتركة لأمريكا.

لقد وجد الاتجاه نحو تأكيد الذات استجابة لدى الدول المجاورة ؛ فقد أعلن مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا إبان زيارته للهند فى ديسمبر عام ١٩٩٦ أن «دول جنوب شرقى آسيا ليست بحاجة للدعم العسكرى الأمريكى ... إننا لا نستطيع أن نظل خاضعين أكثر من ذلك لأمزجة دول العالم الأكثر تقدما اقتصاديا ولنياتها الطيبة ، وعلينا أن نحل مشكلاتنا المرتبطة بتنمية الاقتصاد القومى ، كما أن على الدول الآسيوية أن توحد جهودها فى النضال من أجل أهدافها المشتركة ، والتى من أهمها أن تحتل مكانة متميزة فى السوق العالمى» . وفى جنوب شرقى آسيا تستطيع الصين أن تعتمد على جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية القريبة منها سياسيا وثقافيا ، وقد أصبحت سنغافورة أكثر تعاطفا فى هذا الصدد ، وراحت ماليزيا تنساق على نحو واضح مع التوجه الصينى ، أما تايلاند فأظهرت استعدادها للولاء تجاه القوة الصاعدة فى آسيا .

التوجه نحو البناء العسكرى

غيرت الصين إستراتيجيتها العسكرية ، فأعادت توجيه قواتها المسلحة من الشمال إلى الجنوب ، وفى سياق ذلك قامت بتطوير قوتها البحرية ورفعت من كفاءة عمليات تموين طائراتها أثناء التحليق ، وراحت تضع الخطط لإمداد قواتها البحرية بحاملة طائرات وشراء القاذفات الحديثة . وفى عام١٩٨٧ طرحت الصين مسألة حقها فى جزيرة سبراطل مجددة قضية ملكيتها لهذه الجزيرة عبر آلاف السنين ، وفى عام ١٩٨٨ احتلت القوات الصينية جزيرة خاينان ثم حولتها إلى منطقة اقتصادية مميزة ، بعد أن أقامت عليها قاعدة عسكرية بحرية ، وفى عام١٩٩٢ أصدرت جمهورية الصين الشعبية قانونا بشأن ما أسمته البحر الداخلى (والذى كان معروفا باسم بحر الصين الجنوبى – أوتكين) والمنطقة المتاخمة له ، والتى أصبحت تشكل قاعدة شرعية لمواصلة التقدم . وبعد انضمامها فى عام ١٩٩٦ لمعاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالقانون البحرى، وسعت بكين المنطقة الاقتصادية فى بحر الصين الجنوبى سبع مرات أى ما يعادل ٢,٥ مليون كيلو متر مربع . وقد بدت المناورات التى أجرتها الصين خلال عامى ١٩٩٥ و ١٩٩٦ بمثابة إنذار لتايوان بألا تسمح للولايات المتحدة الأمريكية التدخل فى الشئون الداخلية للصين ، وفى يناير ١٩٩٥كرر زيان زيمين مقولة دين سياوبين : دولة واحدة ونظامين يدعون لتقوية كل أشكال العلاقات مع هذه الجزيرة الصناعية الجبارة . وفى سياق الانتخابات التى جرت فى تايوان تم إعادة انتخاب ممثل حزب جوميندان المناهض لإعلان تايوان دولة مستقلة وذلك إرضاء لبكين .

لقد أصبحت الصين مستعدة لمواجهة كافة تطورات الأحداث المنتظرة فى المستقبل سواء الايجابى منها أو السلبى ؛ فالإيجابى يمكن أن يتمثل فى رفض الولايات المتحدة الأمريكية (واليابان) دعم تايوان فى سعيها نحو الاستقلال ، وهو ما يسهل عملية التقارب بين بكين وتايبيه ، وفى هذه الحالة فإن النظام الإستراتيجى الجديد شرقى آسيا لن يكون مرتبطا بقوة الولايات المتحدة الأمريكية ولا بوجودها العسكرى فى آسيا . أما السلبى فيتمثل فى إعلان تايوان استقلالها عن القارة الصينية .

وفى هذه الحالة فإن جمهورية الصين الشعبية على استعداد أن تزيد جهودها العسكرية، وأن تواجه الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة أكثر صراحة فى منطقة شرق آسيا.

العامل العسكرى

لقد جرى تخفيض النفقات العسكرية فى دول العالم فى الفترة من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧ من ١٣٠٠ مليار دولار إلى ٨٤٠ مليار دولار . على أن هذا التوجه العالمى آخذ فى السير فى الاتجاه المضاد فى شرق آسيا – أكثر مناطق العالم قاطبة ديناميكية من ناحية النمو . وإذا كان حلف شمال الأطلنطى قد خفض نفقاته العسكرية فى الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥ بمقدار ١٠٪ (من ٥٤٠ إلى ٤٨٥ مليار دولار)، فقد رفعت منطقة شرق آسيا نفقاتها العسكرية فى نفس هذه الفترة بمقدار ٥٠٪ (من ٩٥ إلى ١٣٥ مليار دولار) . ففى اليابان ارتفعت النفقات العسكرية من ٣٢,٤ إلى ٤٥,٨ مليار دولار، وفى كوريا الجنوبية من ٧,٩ إلى ١١,٥ مليار دولار ، وفى تايلاند من ٢,٣ إلى ٣,٨ مليار دولار ، وفى ماليزيا من ١,٣ إلى ٢,١ مليار دولار . وبدءا من عام ١٩٩١ ظلت الصين ترفع من نفقاتها العسكرية بنسبة ١٧٪ سنويا لتصل بها إلى ٤٠ مليار دولار تبعا لسعر الصرف الرسمى (أى ما يعادل ٩٠ مليار دولار تبعا لقوة الشراء) .

خلقت القوات المسلحة الصينية نوعا من الإمبراطورية الاقتصادية تمثلت فى ظهور مجالات صناعية خاصة تنتج معدات عسكرية ؛ فالشركات الخاضعة للجيش باتت تصدر المعدات الضرورية ، وخاصة المستخدمة فى مجال إنتاج الأدوات الكهربية المتطورة. وفى نهاية التسعينيات نجحت الصين فى تصميم ستة أطرزة لطائرات حربية . ومن المنتظر (طبقا لبرنامج تسليح القوات الجوية حتى عام ٢٠٠٦ أن تدخل الخدمة ١٥٠ قاذفة من طراز سوخوى ٢٧ مصنوعة فى الصين بتصريح روسى ، إلى جانب الطائرات المهاجمة إف – بى– ٧ من الإنتاج الصينى ، كما ستظهر قريبا القاذفة الصينية إف – سى – ١ تتلوها القاذفة المعدلة إف – ١٠ . وبحلول عام ٢٠١٥ سينتهى العمل فى القاذفة إكس إكس چى . ومما زاد من مقدرة القوات المسلحة الصينية شراء غواصات وصواريخ أرض – جو وعدد كبير من الدبابات من روسيا . وبحلول القرن الحادى والعشرين سيصبح لدى القوات المسلحة

الصينية ما يقرب من ستة آلاف ومائتين دبابة وثلاثين صاروخا باليستيا عابرا للقارات تعمل بالوقود الجاف (مزودة برؤوس موجهة ذاتيا) .

حلفاء الصين : مع مطلع القرن الحادى والعشرين سيكون العالم الإسلامى هو الحليف الأول لهذا الخليط الآسيوى الجديد ، الذى تتزعمه الصين . لقد أصبح أساس تأكيد الذات عند أصحاب النزعة القومية الإسلامية هو ما تم إنجازه بالفعل فى النصف الأخير من القرن العشرين من اعتراف كامل بفكرة التطور المادى للغرب وفى نفس الوقت رفض القيم الاجتماعية والمسلمات الغربية والتوصيات الخاصة بالنظام الاجتماعي له ، وقد عبر ممثل السلطة السعودية عن هذا بقوله : إن السلع الأجنبية من شأنها أن تضعفنا حقيقة ، لكن النظم الاجتماعية والسياسية غير الملموسة والتى يتم تصديرها إلينا من الخارج يمكن أن تقتلنا ....

إن الإسلام بالنسبة لنا ليس مجرد دين ، وإنما هو أسلوب حياة . إننا فى العربية السعودية نسعى للتحديث لا للتغريب (١٤) .

إن النهضة الإسلامية التى بدأت منذ فترة غير بعيدة ، فى السبعينيات تحديدا ، قد خلقت طبقة وسطى جديدة . وأصبح المطلب الدينى الجديد هو راية هذه النهضة: العمل ، النظام ، الانضباط ؛ فهذا العالم الإسلامي الذى يموج بالبشر يشغل مساحة هائلة تمتد من المغرب إلى كازاخستان ، ومن إندونيسيا إلى القوقاز . ومع بداية القرن الحادى والعشرين ستصبح أى من الدول التى تعتنق الإسلام (سياسيا وثقافيا) أكثر توجها إليه ، كما سيصبح شبابها ومثقفوها أكثر راديكالية . وهنا يصل علم الاجتماع الغربى إلى استنتاج مفاده: أن الإسلام يقدم هوية ملائمة للجماهير التى فقدت جذورها(١٥) . إن الملايين الذين كانوا بالأمس من الفلاحين ، قد ضاعفوا من سكان المدن الكبرى فى العالم الإسلامى ثلاثة أضعاف ، وأصبحوا يمثلون الآن قوته الضاربة. لقد أصبح الإسلام هو البديل الوظيفى للمعارضة الديموقراطية ومواجهة تسلط المجتمعات المسيحية ، وبدا باعتباره ثمرة للحراك الاجتماعى .

يشير صامويل هنتنجتون إلى الطبيعة الرافضة للثقافة الإسلامية وللمجتمع الإسلامى تجاه المفاهيم الليبرالية الغربية (١٦) .ويعرف ب . لويس المتخصص الغربى

البارز فى الشئون الإسلامية ما يحدث باعتباره صدام للحضارات يمكن أن يمثل رد فعل تاريخي غير عقلاني تجاه منافس قديم ، تجاه تراثنا اليهودى المسيحى وتجاه حاضرنا العلمانى والتوسع العالمى لهاتين الظاهرتين (١٧) . و من المتوقع أن يصل تعداد المسلمين فى عام ٢٠٢٠ إلى ٣٠٪من تعداد سكان العالم ، وفى الوقت الحالى يعيش١٣ مليون مسلم فى أوربا الغربية ، كما أن ثلثى المهاجرين إليها ينتمون إلى العالم العربى .

إن الحكومات الغربية تنظر إلى هذه الهجرة كما لو كانت نوعا من الإنزال العسكرى . وفى عام ١٩٩٥ وصف الأمين العام لحلف الناتو الأصولية الإسلامية بأنها تمثل خطرا لا يقل عن الخطر الشيوعى ، وبنهاية التسعينيات أغلقت أوربا الغربية أبوابها فعليا أمام المهاجرين من غير الدول الأوربية ، وأصبحت الهجرة هى المشكلة السياسية الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بلدان أوربا الغربية .

لقد أظهر المسلمون والصينيون – الحلفاء الجيوبوليتيكيون – ميلا – كان متوقعا تماما – نحو التعاون ؛ فقد تقدمت الصين لتصبح الترسانة الرئيسية للعالم الإسلامى . ففى الفترة من عام ١٩٨٠ وحتي عام ١٩٩١باعت الصين للعراق ١٣٠٠ دبابة وإلى باكستان ١١٠٠ وإلى إيران ٥٤٠ دبابة ، وكان العراق قد تسلم من بكين ٦٥٠عربة مدرعة ، بينما تسلمت إيران ٣٠٠ عربة . وقد بلغ عدد منصات الصواريخ وأنظمة المدفعية التى تم بيعها إلى كل من إيران وباكستان والعراق ١٢٠٠، ٥٠، ٧٢٠ على التوالى . وكما تسلمت باكستان٢١٢ قاذفة وإيران ١٤٠ ، أما الصواريخ أرض – جو فتسلمت الأولى٢٢٢ والثانية ٧٨٨ صاروخا. (١٨) ، وقد ساعدت الصين باكستان فى وضع أساس برنامجها النووى كما قدمت مساعدة مماثلة إلى إيران . وقد بنت الصين سراً للجزائر مفاعلاً ذرياً قادراً على إنتاج البلوتونيوم ، وتلقت ليبيا تكنولوجيا نووية وتلقت العراق كميات كبيرة من الأسلحة . لقد أصبح هناك تحالف غير مكتوب بين الصين وباكستان وإيران يمثل العداء للغرب فى أساسه . يصل ج . فوللر إلى استنتاج مفاده أن التحالف بين الكونفوشيوسية والإسلام قد تجسد ليس لأن النبى محمد وكونفوشيوس قد اتحدا فى مواجهة الغرب ، وإنما لأن الثقافتين (الإسلامية

والكونفوشيوسية) تقدمان وسائل التعبير عن الشعور بالامتهان والذنب اللذين يقع جزء منهما على الغرب ، هذا الغرب ذاته الذى أخذت هيمنته السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية فى الضعف يوما بعد الآخر .

التفسير الأمريكى

أثارت التحولات الجيوبوليتيكية الهائلة فى آسيا قلقا عميقا لدى قباطنة سفينة الحكومة الأمريكية . وفى أوساط المحللين الأمريكيين تشكلت مفاهيم ثلاثة: التشدد، الحل الوسط، اللين.

١- يؤكد ك . ليبرتال ممثل الاتجاه المتشدد دون مراوغة أن الصين القوية هى التحدى الأكبر أمام الولايات المتحدة الأمريكية والنظام العالمى الآخر[٢٠] . أما ر. برنشتاين ور. مانرو اللذان مثلا الصحافة الأمريكية فى الصين زمنا طويلا فيصلان إلى استنتاج مفاده أن الصين سوف تتحول بسرعة إلى الدولة الثانية فى العالم من ناحية القوة ، وهى لن تصبح بأى حال شريكا إستراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية، وإنما ستصبح خصما لها لسنوات طويلة [٢١] .

ويحذر المنظر العسكرى كولين جراى من أن الدولة الصينية العظمى الصاعدة سوف يكون لها حتما تأثير إما إيجابى وإما سلبى على النظام العالمى، وذلك بفضل حجمها وطبيعة أراضيها وسكانها وتقاليدها الاجتماعية وموقعها [٢٢] .

إن ممثلى اتجاه التشدد يشعرون بالقلق من جراء غياب أى رؤية مستقبلية لدى واشنطن فى علاقتها مع عملاق الشرق . «إن إدارة كلينتون لم تستطع أن تولى الاهتمام المطلوب لإدراك ميلاد الصين كقوة عظمى» [٢٣]. وهناك من المتخصصين من أمثال ج . ناى من يفترض أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقود منطقة آسيا المحيط الهادى[٢٤]، وأن تدخل فى مواجهة مع الصين فى المناطق النزاعية (بالنسبة للصين) مثل التبت وبحر الصين الجنوبى . ويؤكد ممثلو هذا الاتجاه على «أن التبت لم تكن فى يوم من الأيام من مقاطعات الصين ، كما أنها لم تكن من دافعى الجزية أو إقليما خاضعا للإمبراطورية الصينية ... إن وضع التبت اليوم مثل كوريا عندما كانت مستعمرة يابانية فى عام ١٩١٠»[٢٥] .

ويتخذ ممثلو التوجه المتشدد موقفا أكثر صراحة فى العداء للصين بالنسبة لأرخبيل سبراطل وجزر باراسيل ؛ فالولايات المتحدة ينبغى أن يكون لها وجود فيهما، وأن تعتمد فى ذلك على القوة المناهضة للصين ، كما ينبغى أن يكون لها وجود عسكرى دائم فى بحر الصين الجنوبى (وكذلك فى مضيق تايوان) . كما أن من الضرورى تقوية الأسطول السابع بشكل كبير ، حتى يؤمن حرية الملاحة عبر بحر الصين الجنوبى وفى كل الطرق البحرية فى جنوب شرق آسيا ... [٢٦]. وهناك متخصصون آخرون، مثل أ. فوجيل ، يرون أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تضع الأسطول السابع بشكل دائم بين تايوان وجمهورية الصين الشعبية مع تقديم الدعم العسكرى المفتوح لتايوان .

أما ممثلو المدرسة الواقعية فى السياسة فيرون أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن توسع من نطاق تحالفها مع اليابان ، وأن تطور علاقاتها العسكرية مع الأمم الآسيوية الأخرى ، وأن تزيد من وجودها العسكرى فى آسيا مع زيادة إمكانيات نقل قواتها المسلحة إليها ، هذا إذا ما أرادت وقف الهيمنة الصينية فى شرق آسيا .

وفى الوقت نفسه يتمسك الكثيرون من المشرعين الأمريكيين بالاتجاه المتشدد تجاه الصين ، فنجد أن الكونجرس قد طالب باعتماد سفير لدى حكومة الدلاى لاما الموجودة بالمنفى، كما طالب بالاعتراف باستقلال التبت . وتتلخص الفكرة الرئيسية لهذه السياسة التى يؤمن بها إستراتيجيو واشنطن فى أن إقليم التبت هو إقليم ذو أهمية كبرى ولا ينبغى تركه ليتطور وفقا لإرادة موجات المحيط الهادى ، كما أن من الضرورى أن تبقى القوات الأمريكية فى أوكيناوا وكوريا الجنوبية ، وأن يتم الاتفاق على علاقات عسكرية مباشرة مع سنغافورة ، وأن على الأسطول الأمريكى أن يطوف بدورياته فى كل الطرق البحرية الرئيسية . ويمكن أن تجرى فى آسيا محاولة تكرار خبرة مؤتمر الأمن والتعاون الذى عقد فى أوربا ، على أن يتم ذلك بحرص بالغ ودون دفع بلدان المنطقة للدخول فى عملية جديدة بالنسبة لهم . إن على وزير خارجية أمريكا أن يسارع بزيارة آسيا ذات الأهمية الحيوية ، بدلا من قيامه بزيارة الشرق الأوسط . على هذا النحو تجلت عقيدة أنصار هذا النهج .

٢- أما أنصار الحل الوسط (مثل ب . كيندى على سبيل المثال) فينادون بألا يتم تحويل الموقف إلى موقف درامى ، فآسيا سوف تحتاج إلى عدة سنوات حتى تصل إلى مركز الزعامة العالمية . وعبر ب . كريوجر عالم الاقتصاد فى جامعة ستانفورد عن موقفه بقدر كبير من الشك ، فهو يرى أن استقراء الاتجاهات الموجودة حاليا للنمو الاقتصادى فى آسيا حتى عام ٢٠١٠ سوف تبدو فى غاية السخف تماما مثل حالة الخوف الذى كان قائما فى الستينيات تجاه التفوق الصناعى السوفيتى ، أما الشكوك القائمة تجاه قدرة الصين فى إحراز قفزة واقعية وتجاوزها للتخلف الذى دام قرونا طويلة فيعبر عنها ن . تاكر بقوله : إن التناقضات الداخلية فى الصين ما تزال تمثل عائقا أمام تحولها إلى دولة عظمى [٢٧] .

ويخشى ممثلو الحل الوسط تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى الخصومة السياسية والعسكرية بين جمهورية الصين الشعبية وتايوان . وهؤلاء يشعرون بالقلق من أن تقوم السلطات فى تايوان بقبول الدعم من تايباى باعتباره ضمانا للدعم الإستراتيجى العسكرى للولايات المتحدة فى حالة قيام الصين بمحاولة صريحة لدمج الجزيرتين فى دولة واحدة . وفى رأى هؤلاء السياسيين أن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغى ألا تنسحب من البحار الجنوبية ، وأن عليها ألا تفى بالتزامات يمكن أن تورطها فى معركة لن تحقق فيها انتصارا ، أو تصل فيها إلى حل بناء . وهذه المجموعة من الخبراء تميل إلى الظن بأن الصين سوف تدخل فى مواجهة مع اليابان خصمها القديم وجارتها المباشرة وليس مع الولايات المتحدة الأمريكية . أما اليابان الخائفة فتسعى لدعم أمريكا فى آسيا ، وهذه القوة الموحدة المكونة من هاتين الدولتين فهى التى ستحسم القضية على النحو المطلوب .

إن على واشنطن أن تدع جانبا أوهامها المتعلقة برغبتها فى إدارة الصين، فالعقوبات التى تفرضها الولايات المتحدة من شأنها أن تؤدى إلى مواجهة بين الجنس الصينى والولايات المتحدة ، بدلا من أن تخلق معارضة داخلية للنظام الشيوعى . إن بعضا فقط من مطالب الولايات المتحدة الأمريكية يمكن اعتباره مطالب واقعية وهى: زيادة حقوق التبت والانحياز لسياسة عدم انتشار الأسلحة النووية . وعلى أمريكا أن

تتذكر أن الصينيين ليسوا بحاجة إلى طوفان شبيه بذلك الطوفان الذى اجتاح أوربا الشرقية (عام ١٩٨٩) ؛ فالصين يمكنها أن ترحب بالاستثمارات الأمريكية ، إلا أنهم يتمسكون بشدة بسياسة الاعتماد على الذات .

يرى مايسنر أن الصين سوف تواجه أوقاتا عصيبة إبان عملية إعادة البناء الداخلى، عندما تقف الطبقة الوسطى الصاعدة ضد الوضع السياسى الراهن . وهذا الأمر من شأنه أن يضعف من قدرة السياسة الخارجية لدولة عظمى[٢٨] . وسوف تتراجع الاستثمارات الاقتصادية فى الصين حتما بمرور الوقت ، كما سيتقلص إيقاع نمو البلاد . على أنه حتى خبراء الغرب المعتدلين لا يرون المستقبل خاليا من السحب. يؤكد ش . كارلايل : أن من الصعب أن نتصور أن الصين واليابان يرغبان فى إقامة منطقة تجارة حرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول المطلة على المحيط الهادى ، كما أن من الصعب أن نتصور أن مواطنى أمريكا والكونجرس ومن يماثلها فى الدول المتقدمة سوف يعملون على توقيع اتفاقات من شأنها أن تفتح حدودها أمام استيراد المنسوجات والملابس والأجهزة الكهربية وغيرها من المنتجات الصناعية[٢٩] . وهذا يعنى أن هذه الدرجة أو تلك من درجات الاغتراب أمر حتمى من الناحية العملية . وفى هذا السياق يرى ياشين خوان من جامعة ميتشجان أن الجيل القادم من السياسيين الصينيين لن يكون بإمكانه أن يحقق قيادة حازمة بعد ذهاب دين سياوبين ، وسوف يسعى القادة العسكريون المحليون لاقتناص السلطة من الحكومة المركزية ليقوموا بإدارة الأقاليم ، أما إضعاف الشيوعية فسوف يتوقف على قدرة بكين على قيادة البلاد .

٣-مفهوم الاعتدال ، ويستند إلى المقدمة التى تفترض أنه بانتهاء الحرب الباردة لم يعد هناك فى آسيا ما يثير الخوف . ويرى أنصار هذا المفهوم أن الوضع فى شبه الجزيرة الكورية يتمتع بالاستقرار ، وفى نفس الوقت سوف تدخل روسيا واليابان والصين فى صدام كل مع الآخر . وهنا يطرح أ . رافينول من جامعة جورجتاون افتراضا مفاده أن الصين سوف تتوجه ناحية احتياجاتها الداخلية ، أما روسيا فسوف تظل زمنا طويلا عاجزة عن تهديد جيرانها ، بينما ينتظر الهند والهند الصينية ودول

الآسيان العديد من المصاعب التى ستبتلع مصادرها . وفى الوقت ذاته سوف تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دور المجلس التحكيمى أو رمانة الميزان الموجودة على أهبة الاستعداد لتحريك قواتها على وجه السرعة فى حالة الضرورة ، ولكن دون أن تسبب الاضطراب فى المنطقة دون جدوى .

ومن وجهة نظر ممثلى التوجه المعتدل أن ١٣ ٪من السكان ، الذين أنهوا دراساتهم الجامعية يقفون أحيانا ضد الشيوعية ، على أن السواد الأعظم من السكان (طبقا للاستفتاءات التى قام بها الأمريكيون أنفسهم) يؤيدون حكومتهم بشكل أكثر فعالية من تأييد الإيطاليين أو المكسيكيين لحكوماتهم على سبيل المثال . إن انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ليس من شأنه أن يفرض حتمية انهيار مماثل فى الصين ، فكل دولة لها خصائصها فى هذا الشأن ، فالنظام فى بكين قادر على التكيف مع الطفرات الاجتماعية الاقتصادية الجديدة ؛ وفضلا عن ذلك فإن سقوط الشيوعية فى أوربا الشرقية قد دعم بدرجة ما النظام الشيوعى فى الصين ؛ إذ رأى الموظفون الكبار مصيرهم فى إعدام شاوشيسكو وزوجته رميا بالرصاص ومن ثم زادوا من يقظتهم آملين أن يتجنبوا الفوضى السياسية والاجتماعية بشتى الوسائل . واليوم فإن العنصرين القومى والاجتماعى فى الشيوعية الصينية قد اندمجا معا فى عنصر واحد. (٣٠)؛ فالصين – من الناحية القومية – وحيث يعيش ٩٣ ٪ من الصينيين الأصليين – هى دولة من عرق واحد تقريبا .

إن المشهد السياسى فى نهاية القرن العشرين فى جمهورية الصين الشعبية لا يشبه على الإطلاق المشهد فى عشرينيات القرن نفسه ، عندما كانت السيادة لجنرالات الأقاليم ؛ ففى بكين لم تعد هناك عائلة حاكمة من منشوريا ، ولم تعد الصين تتعرض للإهانة من جيرانها ، وأصبحت تقاليد سلطة الدولة المركزية الصارمة قوية على نحو لم تعهده من قبل . وفى الوقت نفسه فقد بدأ ٧٢ ٪ من السكان ، من الفلاحين الذين يعيشون فى المناطق الريفية فى انتخاب رؤسائهم ، وهى حقيقة بالغة الأهمية بالنسبة لمستقبل الصين . إن التنبؤ بإمكان وقوع انشقاق أو ظهور نزعة انفصالية هى – حتى الآن – مبالغات واضحة تماما ، وفى الثمانينيات كان على بكين أن تطلب من إقليم

جوان تشو (أكبر الأقاليم الصناعية) زيادة الضرائب إلى ٧٢٪، وقد خضع الإقليم لذلك الطلب . إن هذا الإقليم الذى يصدر ثلث منتجاته إلى السوق المحلى يعد عنصرا قويا ضد النزعة الانفصالية . أضف إلى ذلك أن الهجرة الداخلية أيضا سوف تدعم من الوحدة القومية . وفى النهاية فإن المعركة القائمة فى الصين بين التكامل ولامركزية الإدارة هى التى ستحدد نجاح أو هزيمة التحديث الصينى ، على أن هناك أسباباً لافتراض أن السلطة لمركزية فى البلاد ستظل صامدة .

إن أنصار هذا التوجه يخشون «هزيمة» الولايات المتحدة الأمريكية فى دعمها لتايوان، وأن تتسبب قوة اللوبى التايوانى ، وقوة العلاقات الاقتصادية مع هذه الجزيرة؛ فضلا عن المصالح الإستراتيجية التى يمكن فهمها على نحو خاطئ ، إلى جر الولايات المتحدة إلى نزاع مع الصين – القوة العالمية الصاعدة . وقد عبر عن هذه المخاوف على نحو واضح هنرى كيسينجر وزير خارجية أمريكا السبق فى خطاب له ألقاه فى شهر مارس ١٩٩٥ أمام اللجنة القومية للشئون الأمريكية الصينية جاء فيه : «على الذين يبدون استعدادهم من كلا الحزبين السياسيين الأمريكيين لدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الطريق المؤدى إلى الاصطدام بأقوى دولة وأكبرها تعدادا فى آسيا ، أن يمعنوا التفكير فى النتائج المترتبة على ذلك ... فعلى امتداد ما يزيد عن نصف قرن حاولت تايوان أن تبتعد بالولايات المتحدة عن الحل السلمى لتشركها فعليا فى الحرب الأهلية الصينية» .

وقد شارك فى الجمعية الأمريكية الصينية التى أنشأها هنرى كيسينجر عدد من وزراء الخارجية السابقين منهم وليم روجرز وسايروس فانس وألكسندر هيج ، ومن مستشارى الرئيس للأمن القومى ز. بيچينسكى و ر. ماكفرلاين وب . سكاوكروفت. وقد ظهر اللوبى المؤيد للصين على نحو فعال فى عام ١٩٩٤ مدافعا عن حق الصين فى أن تتمتع بوضع الدولة الأولى بالرعاية فى مجال التجارة ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا اللوبى المحلى الأكثر تأثيرا تقريبا فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، وفى المقابل أنشأت فى الصين الجمعية العمالية المركزية التى يرأسها زيان زيمين بهدف التعاون مع هذا اللوبى . وفى مجال الصناعة أصبحت مسألة دعم العلاقات مع الصين جزءا من إستراتيجية عدد من الشركات الأمريكية العملاقة مثل

«بوينج» ، و«موتورولا» و «ألايدساينل» و «يوناتيد إيرلاينز» و «أرتوز أندرسون» و«دير آند كومباني» ، وجميعها ترتبط بعضها ببعض تنظيميا من خلال مجلس رجال العمال الأمريكي الصيني .

وفي داخل الولايات المتحدة الأمريكية يزداد نشاط المؤسسات التي تسعى إلى التقارب مع الصين الشعبية ، مثل اللجنة القومية للعلاقات الأمريكية الصينية ومقرها نيويورك . وقد أعلن مديرها م . لامبتول في نوفمبر عام ١٩٩٤ أن السياسة الخارجية القائمة على مقاطعة الصين هي سياسة محكوم عليها بالفشل ، وأن المنافسين الرئيسيين للولايات المتحدة سوف يتوقفون عن اتباعها إذا ما نتج عنها إشعال للمشاعر القومية سواء داخل الصين أو في التبت .

ويحذر ك . ليبيرتال في اللجوء للحلول الصارمة قائلا : «إن الصين سوف تعمل في الأغلب في نهاية الأمر بطريقة بناءة ، كما أنها ستصبح آمنة ، ميالة إلى الإصلاحات والاستقرار ، منفتحة على العالم الخارجي قادرة على التغلب على مشكلاتها بصورة فعالة» . (٣١) إن الصين تملؤها الثقة في قدراتها لن تكون بحاجة إلى آلة عسكرية جبارة ، كما أن الصين لن تتورط في مغامرات خارج حدودها خشية وقوع انقسامات داخلها .

إن أنصار الاعتدال يفترضون أن كبح الصين كان من الممكن أن يكون خطأ كبيرا ؛ فهذا الكبح من شأنه أن يضفي قوة على الدوائر ذات النزعة القومية والعسكرية الموجودة في الساحة السياسية الصينية . ومن ثم فإن التعاون مع الصين سوف يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بالاحتفاظ بوجود عسكري مؤثر في آسيا لمدة طويلة في المستقبل ، كما أنه سيعمل على وقف مساعي كوريا الشمالية في امتلاك السلاح النووي ؛ فضلا عن أنه سيفتح أمام التجارة الأمريكية إمكانية المشاركة في النمو الاقتصادي الهائل للصين . إن أصحاب هذا التوجه يرون أن التجارة العالمية وعدم انتشار الأسلحة النووية وحماية البنية والقيام بعمليات مثل إرسال قوات عسكرية إلى مناطق مثل كوسوفو والعراق هي أمور تتوقف ، بشكل أو بآخر ، على مدى علاقات الصداقة مع الصين .

ينبغى علينا ألا نقع فريسة للخوف ؛ فنظام التموين فى الجيش الصينى مُتخلف ، وهناك نقص فى قدرة النيران لديه ، والقوات الجوية الصينية برغم أن أعدادها كبيرة ، فإنها تمتلك معدات قديمة ، والقوات البحرية غير كافية للقيام بعمليات فى المحيط الواسع .

ويرى عدد من علماء الاقتصاد الأمريكيين أن قدرات التجديد المحدودة لدى الصين ، ونظرا لرخص القوة العاملة فى الدول المجاورة ونقص تدفق رأس المال الأجنبى فإن معجزة شرق آسيا سوف ينتهى بها الأمر إلى فشل محقق . لا ينبغي الاكتفاء بالخضوع العفوى ، وإنما ينبغى التفكير وعلى نحو إبداعى ، ومع التفكير سوف تتفجر المشكلات . وسوف ينعكس ذلك فى البنية التحتية السيئة ، وفى الفساد ، وفى غياب الكوادر وأسواق رؤوس الأموال الضعيفة ، وفى ارتفاع نفقات الإنتاج .

لقد حدث نمو فى فترة دين سياوبين على حساب الاستغلال المبالغ فيه للموارد الزراعية ، وواجهت الصين أزمة بسبب النمو السريع للسكان مع انخفاض قوة الاقتصاد الزراعى . و باتت مساحات الأرض القابلة للاستصلاح محدودة ، الثروات الطبيعية لا قاع لها ، لقد حان أوان دفع حساب السياسة الطائشة فى مجال النمو السكانى والاستخدام غير الرشيد للمياه والأرض والمصادر الطبيعية . وفى العشرين عاما القادمة سوف يصل مقدار السكان فى الصين إلى ما لا يقل عن ٣٠٠ وربما إلى ٤٠٠ مليون نسمة ، وفى خلال هذه الفترة سوف تفقد الصين ١٠ ٪ من الأراضى الزراعية تماما ، كما سوف تتعرض الكتلة الأساسية لهذه الأراضى إلى التآكل . وعلى الرغم من مرور١٥ عاما على النهوض الاقتصادى فإن ٥٠مليون من الصينيين لا يملكون ماء صالحا للشرب ، بينما يظل ٨٠ مليون من السكان تحت خط الفقر .

سوف ينعكس هذا التوتر فى الجهاز الإدارى، وفى الجدل بين العاصمة والأقاليم، بين الصفوة والجماهير وبين المناطق المختلفة ، تتجلى ظاهرة الثأر بين الصفوة العسكرية والصفوة المثقفة من جراء النمو الاقتصادى السريع لبعض المناطق . إن التحديث السريع يتطلب وقف النزعة العسكرية ؛ حيث نجد أن الجيش الشعبى الصينى يصطدم أكثر فأكثر بمعضلة : الدفاع عن المجتمع أم الدفاع عن الحزب ضد

المعارضة، ناهيك عن أن هجرة ١٠٠ مليون صينى تركوا قراهم ليسكنوا المدن سوف يكون لها نتائج هائلة ، مثل هذه التنبؤات حول النموذج الصينى مع بداية القرن الحادى والعشرين تؤيد موقف أنصار الاعتدال .

وهناك أيضا عناصر أخرى ؛ فالتصدير الصينى ، والذى يبلغ ١٠٠ مليار دولار، لا يمكن أن يظل متناميا بشكل دائم ، كما أن رجال الأعمال الصينيين ، الذين يفتقدون الثقة فى استقرار النظام ، بدأوا يفضلون تصدير رؤوس الأموال إلى بلدان أكثر استقرارا؛ فعلى سبيل المثال أخرج رجال الأعمال الصينيون فى عام ١٩٩٤ ٣٠مليار دولار إلى خارج البلاد . (٣٢) وفى ضوء ذلك لا يمكن أن نستثنى تكرار ما حدث عام ١٩١١عندما انهارت الملكية التى استمرت لسنوات طويلة . وفى هذا الصدد يؤكد أنصار الاعتدال أن الصين تنتظرها طفرات من هذا النوع ، ومن ثم فإن على الغرب ألا يخشي التهديد الصينى .

وقد صنف ر. روس من جامعة هارفارد جمهورية الصين الشعبية باعتبارها قوة محافظة . يقول روس : لايوجد ما يسمى بالخطر الصينى ، لا لأن الصين نصير راض عن الوضع الراهن ، وإنما لأنها دولة ضعيفة للغاية ، ليس بمقدورها تحدى توازن القوى فى آسيا ، وسوف تظل على ضعفها هذا طوال العشرين عاما الأولى من القرن الحادى والعشرين .... كما أنها ستسعى فى المستقبل القريب للإبقاء على الوضع الراهن ، تماما كما ستسعى الولايات المتحدة الأمريكية أيضا لتحقيق الهدف ذاته، (٣٣) . إن الفوائد المترتبة على المشاركة فى التقسيم الدولى للعمل سوف تبعد الصين عن المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بتايوان ، لأن بكين تدرك جيدا أن تحفظها يمكن أن يدفع الدول الصناعية للمشاركة فى تطوير الاقتصاد الصينى . وعلى الصين أن تنضم إلى آليات رقابية مثل اتفاقية فاسنر ، مجموعة تقديم المواد النووية والرقابة على التكنولوجيا النووية ، المجموعة الأسترالية للتكنولوجيا الكيمائية والحيوية ثم منظمة التجارة العالمية .

وقد عين بيل كلينتون فى إدارته وفى وزارة المالية أساسا مختصين فى شئون الصين . وعندما رأى المراقبون فى هذا العمل قدرا كبيرا من عدم الاحترام لليابان ،

قام نائب وزير المالية الأمريكى د . أولمن بتفسير دواعى هذه التعيينات من منطلق أن الإدارة الأمريكية تفترض أن الصين سوف تتاح لها مع بداية القرن القادم كل الفرص لتحل محل اليابان باعتبارها الشريك الاقتصادى الرئيسى فى آسيا .

الاختيار

ترى أى الاتجاهات الثلاثة سوف ينطلق إلى الأمام ليصبح هو الاتجاه المحدد لسياسة واشنطن الخارجية فى القرن الحادى والعشرين : المتشدد أم المعتدل أم الساعى إلى التعاون مع آسيا الجديدة ؟ هذا ما سينبؤنا به المستقبل .

لقد عبرت الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل عن سخطها تجاه الإجراءات القمعية التى اتخذت فى ميدان تيانانمين (السلام السماوى) وأيدت النضال من أجل الحقوق المدنية فى الصين . وقد أشار ج . فولسى مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن الحكومة الصينية وقعت تحت تأثير هؤلاء الذين لديهم الرغبة فى وقوع صدام مع الولايات المتحدة الأمريكية . وقد أرسل الرئيس كلينتون فى عام ١٩٩٦ وأثناء الحملة التى سبقت الانتخابات حاملتين للطائرات إلى شواطئ جزيرة تايوان (التى تشغل المكانة التاسعة من حيث أهميتها كشريك تجارى للولايات المتحدة) وهو ما يعد أعظم مظاهرة للقوة موجهة ضد الصين منذ الحرب العالمية الثانية . وقد وعد كلينتون بألا يخفض من حجم القوات المسلحة الأمريكية فى آسيا ، وأولى اهتماما كبيرا بالتحذيرات المتعلقة بالتأكيد الذاتى للصين فى المستقبل ، ولم يخل قواعده فى أوكيناوا وفى مضيق تايوان وجنوبه (الاتجاه المتشدد) وفى الوقت نفسه ظلت الصين تحظى بميزة الدولة الأولى بالرعاية فى التجارة (الحل الوسط) وكذلك راحت الحكومة الأمريكية تقدم المساعدة للشركات الأمريكية التى توسع من نطاق أعمالها فى آسيا (الاتجاه المعتدل) .

فى المجال الاقتصادى بذلت إدارة كلينتون جهودا كبيرة لدعم منتدى التعاون الآسيوى . وفى المجال العسكرى قدمت واشنطن المساعدة لهيئة المنتدى الإقليمى لجنوب آسيا . وفى الوقت نفسه جرى توسيع الاتصالات الثنائية مع الدولتين الكبريين فى المنطقة باتجاه الحوار حول الأمن .

وقد أعرب لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة الأسبق عن شكوكه تجاه جدية الولايات المتحدة في استخدام القوات المسلحة الأمريكية مستقبلا في آسيا بقوله: ليس هناك من يثق في أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، التي منيت بالفشل في تحقيق أي نجاح في عمليتها في الصومال بسبب الكمائن التي نصبها السكان المحليون ومشهد واحد تلفزيوني يعرض لنا قتيل أمريكي يتم سحب جثته في شوارع مقديشيو ، يمكن أن يجعلك تفكر بجدية في إمكانية توجيه ضربة إلى المحطات النووية لكوريا الشمالية مثل تلك الضربة التي وجهها الإسرائيليون إلى العراق.

جدير بالذكر أيضا أن كون الولايات المتحدة لم يعد بمقدورها ترك الأبواب مفتوحة أمام كل المصدرين الآسيويين الناجحين أصبح يشكل أيضا عنصر ردع على الأقل فإن تشكيل النافتا يتطلب – كحد أدنى – زيادة تدفق الإنتاج المكسيكي على حساب نظيره الآسيوي. أما السوق العالمي فهو الذي سوف يحدد مصير العلاقات بين الغرب وشرق آسيا .

كتب سابورو أوكيتا الوزير الياباني الأسبق يقول : إن الجيش الذي يرتدي زيا موحدا لا يمثل الشكل الوحيد للجيش : إن التكنولوجيا العلمية وروح القتال المتأججة تحت الملابس المدنية هما جيشانا السريان في المستقبل . (٣٥) وعلى هذا النحو سوف تدور المعارك مع مطلع القرن الحادي والعشرين .

لقد تعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن ترد على هذا التحدي وهي على مشارف القرن الحادي والعشرين بأن تدعم اليابان ، باحثة في الوقت نفسه عن طريق لها نحو الصين . وهاتان الدولتان تحديدا قد وقعتا خلال عام ١٩٩٦وحده كومة من الوثائق : مذكرة بشأن الأمن المشترك ، اتفاق بشأن إمداد اليابان بالمعلومات في مجال الصواريخ ، إعلان بشأن الأمن المشترك ، اتفاق بشأن إمداد اليابان بالمعلومات المتعلقة بأقمار التجسس الاصطناعية ، تقدير مشترك للتهديدات الإستراتيجية لليابان ، تقرير بشأن إنشاء مجلس خاص بالتكنولوجيا الرفيعة في المجال العسكري .

مكانة روسيا

ينطوى هذا الوضع – بالنسبة لروسيا – على مخاطر قوية وعلى إمكانات جديدة أيضا . وأيا ما كان شكل تطور الأحداث فإن روسيا ، بفضل وضعها الجغرافى والخصائص الثقافية وتركيبتها الأثنية ، فإنها يمكن أن تتورط – حتى ضد رغبتها – فى المواجهات القوية القائمة ، وعندئذ سوف تعمل الأطراف المتصارعة على جذب روسيا كل إلى جانبه .

وفى خضم تطور الأحداث على نحو غير ملائم للغرب ، والتكون النشط للمركز الصينى المستقل مع ظهور النهج الانفصالى بشكل واضح ، يمكن أن نتوقع أن يسعى الغرب مستقبلا إلى الحصول على تعضيد من جانب روسيا ، ومن الجائز أن يجعل منها نقطة حراسة متقدمة للرقابة والتأثير سواء فى حوض المحيط الهادى ، أو فى شمال شرق أوراسيا . إن ميل القيادة الروسية إلى تقاليد الديمقراطية الغربية والارتباط الحالى – جزئيا – بالمساعدات الاقتصادية للغرب ، وسعى روسيا للانضمام إلى المنظمات الدولية ، وخوفها من نمو العوامل الأخرى يمكن أن تشكل أساسا لتقارب جيوبوليتيكى جديد بين مواقف روسيا والغرب .

على أنه من المستحيل أن نتجاهل أن التطور الداخلى فى روسيا وعدم الارتياح تجاه الغرب الذى يوسع من ترسانته العسكرية ، ثم الإمكانات المحدودة للنمو الداخلى وقصور الدعم الخارجى ، أمور من شأنها أن تؤدى لأن تتجه الصين وشركاؤها بشكل متزايد نحو الاعتماد على روسيا باعتبارها شريكا قويا . ينبغى أن نلاحظ هنا أن حجم التجارة الخارجية لكل من روسيا والصين فى السنوات الأخيرة قد تزايد على نحو ملحوظ وهو آخذ فى النمو ، وبشكل مكثف تماما (خلافا للركود فى الاتجاه الغربى) يجرى التبادل التجارى مع الدول المجاورة للدولتين . نستطيع القول –وعلى نحو موضوعى– إنه إذا ما أظهر الغرب تشددا قصير النظر محاولا تقوية تأثيره على حلفاء روسيا السابقين وسد الطرق أمام حل واقعى وسط فيما يتعلق بمسألة توسيع حلف شمال الأطلنطى على حساب دول أوربا الشرقية ، فإن القوى التى كانت شديدة التأييد للغرب فيما مضى سوف تقف بالدرجة الأولى إلى جانب أنصار التوازن فى أوراسيا .

لا توجد فى الأفق حلول سهلة ؛ ففى مرحلة محددة قد يصبح بإمكان روسيا الحصول على بعض الفائدة من جراء مساعدتها للشرق أو الغرب . إن الطرف الجذاب هنا للتحالف مع روسيا معروف تماما ، فتحسين علاقات الصين مع روسيا يمكن أن يمثل سندا عند وقوع مواجهات مع الولايات المتحدة الأمريكية . أما صداقة اليابان لروسيا فسوف تساعد فى كبح زمام الصين ، وقد ترغب كوريا الجنوبية فى كسب رضاء موسكو من أجل كبح زمام كوريا الشمالية ، وهذه الظروف جميعها سوف تزيد – بدرجة معينة – من إمكانيات روسيا .

وفى الوقت نفسه فإننا لو نظرنا إلى الأمر نظرة واقعية ، لأمكننا أن نفترض أن روسيا الاتحادية يمكن أن تقع بين المطرقة والسندان فى حالة انسياقها غير المخطط نحو هذا الاتجاه أو ذاك . ما تزال الإمكانات الأساسية متاحة ، على أنه فى حالة استمرار الاتجاهات التى برزت على الساحة فسوف يتوقف الزمن عن أن يكون حليفا لروسيا ، وسوف تصبح حتمية الاختيار أكثر إلحاحا ، وهذا الاختيار بين الغرب الساعى للحفاظ على الوضع الراهن والشرق المتغير الماضى فى تغيير بنية القوى العالمية سوف يؤثر ليس فقط على البنية الجيوبوليتيكية للقوى فى هذا العالم الآخذ فى التشكيل ، وإنما على هوية روسيا فى المستقبل .

مراجع الفصل الخامس

1-Naisbitt J. Megatrends Asia . N.Y.,1995. P. 7.

2-Huntington S. The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order . N . Y . , 1996 . P . 183 .

3-World Bank , global economic Prospects and the Developing Countries 1993 . Washington , 1993 . P . 66-67

4-Ecnomist . March 9 , 1996 . P . 33

5-Bernste ., Munro e R. The Coming Conflict with China . N . Y., 1997. P .19.

6-Halloran R. the Rising East // Foreign Policy . Spring 1996.P.17.

7-Lieberthal K. Governing China : From Revolution through Reform.N.Y.,1995.P.6.

8-Elling R., Olsen E. A New Pacific Profile // Foreign Policy. Winter 1992-1993. P.122.

9-Halloran R. The Rising East // Foreign Policy . Spring 1996 .P.3.

10-Foreign Affairs . Nov. Dec. 1993 .P.74.

11-New York Times . April 21, 1992 .P.A10; New York Times. August 1, 1995 .p.A2.

12-Bernstein R., Munro R. The Coming Conflict with China .N.Y.,1997.P.23-24.

13-Liberthal K. A New China Strategy // Foreign Affairs . Nov,- Dec. 1995. P .41.

14-New York Times. July 10 , 1994. P.20.

15-Gellner E. Up From Imperialism // New Republic. May 22,1989.P.35.

16-Huntington S.Op cit .P.114.

17-Atlantic Monthly . September 1990. P.60.

18-Eikenberry K. Explaining and Influencing Chinese Arms transfers // McNair Papers. February 1995 . Ne 36. Washington : National Defense University , Institute for National Stratagic Studies .P .12.

19-National Interest . Fall 1994. P. 95.

20-Lieberthal K. A New China Strategy // Foreign Affairs. Nov-dec. 1995.P .36.

21-Odom W. Russia's Several Seats. P. 809-810.

22-Colin S.Grey .How Geography Still Shapes Security // Orbis. Spring 1996. P. 26.

23-The Bulletin of Atomic Scientists. Jan-Feb. 1997. P.18-19.

24-Nye J. The Case for Deep Engagement // Foreign Affairs. July- Agust 1995. P.102.

25-Johnson Ch. The Chinese Way // The Bulletin of Atomic Scientists. January-February 1997. P. 22.

26-Ibid. p. 23.

27-Tucker N. China and America: 1941-1991//Foreign Affairs. Winter 1991-92. P .92.

28-Meisner M. the Deng Xiaoping Era. An Inquiry into the fate of Chinese Socialism , 1978-1994. N.Y., 1996.

29-Carlisle Ch. Is the World Ready for Free Trade? // Foreign Affairs. Nov.- Dec. 1996.P.121.

30-Yasheng. Why china will not Collapse // Foreign Policy. Summer 1995.P.50.

31-Liebrthal K. A New China strategy.p.36.

32-Goldstone J. The Coming Chinese. Collapse // Foreign Affairs. Summer 1995.p.36.

33-Ross R. Beijing as a Conservative Power // Foreign Affairs.March - April 1997.P 34.

34-Ibidem.

35-Foreign Affairs .july- August 1995.P.112

الفصل السادس

القلعة الأمريكية

ثمة وجهة نظر واسعة الانتشار فى دوائر السياسة الأمريكية المعنية بدراسة إستراتيجية البلاد فى القرن الحادى والعشرين ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية – بعد أن تسنى لها عولمة سياستها بعد الحرب العالمية الثانية – فقدت الرؤية الصحيحة للأهمية البالغة بالنسبة لقواتها الدفاعية ، وكذلك بالنسبة لدعمها للنظام العالمى للمصالح الاقتصادية والأيديولوجية لمنطقة شمال أمريكا المتاخمة لها مباشرة» (١) . وقد ظهر على الساحة اتجاه مؤثر يدافع عن الرأى القائل بأن هناك شركاء على قدر بالغ الأهمية – من ناحية المصالح الجيوبوليتيكية – يتم تجاهلهم دون وجه حق، وهؤلاء هم جيرانها المباشرين.

التقاليد

وبالرغم من ذلك يمكن القول إن البحث عن أكثر الحلفاء المقربين فى نصف الكرة الشمالى له تقاليد راسخة فى الدبلوماسية الأمريكية ؛ «فمذهب مونرو» (*) (١٨٢٣) ومعاهدة ريو دى چانيرو (١٩٤٧) «والاتحاد من أجل التقدم» (١٩٦١) تمثل جميعها مراحل متعددة للتفكير الإستراتيجى فى هذا الاتجاه . ففى القرن التاسع عشر كان مذهب مونرو يعد رمزا للتوجه السائد فى نصف الكرة الغربى . على أن الولايات المتحدة راحت تضم إليها بعد الحرب مع إسبانيا أملاكا جديدة فى أمريكا اللاتينية (بويرتوريكو) ومناطق نفوذ جديدة أخرى فى هذه المنطقة (كوبا على سبيل المثال) ؛ فضلا عن أول مستعمرة لها خارج حدود نصف قارتها موجودة فى الفلبين الواقعة بعيدا فى آسيا . لقد جرى توقيع معاهدة ريودى چانيرو فى تلك الفترة القصيرة، عندما لم تكن الولايات المتحدة مستعدة بعد للتدخل العسكرى الكامل فى أوربا،

---

* مذهب مونرو : مبدأ فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية أعلنه الرئيس مونرو فى رسالة إلى الكونجرس (٢ ديسمبر ١٨٢٣) وقوامه أن الولايات المتحدة تعارض أى تدخل أوربى فى شئون نصف الكرة الغربى . (المترجم)

وكانت ما تزال آنذاك تواصل سعيها لمواجهة الاتحاد السوفيتي بهدف دعم خطواتها الخلفية. في ذلك الوقت جاء برنامج الرئيس كنيدى «الاتحاد من أجل التقدم» في جوهره بمثابة رد ذو مغزى على خروج كوبا من مجال النفوذ الأمريكي.

من المؤكد أن كندا تعد الشريك الأول للولايات المتحدة الأمريكية في القارة من حيث الأهمية. وينبغي القول - إذا ما استقرأنا صفحات التاريخ - إن إدراك الولايات المتحدة «للأهمية الحيوية» لعلاقتها بكندا يرجع لعام ١٩٤٠؛ ففي أعقاب الهزيمة التي منيت بها فرنسا في أوربا وخروج الجيش الألماني باتجاه المحيط الأطلنطي، التقى الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت وماكنزي كنج رئيس وزراء كندا بالقرب من نيويورك، حيث وقعا اتفاقا يقضي بالتعاون بين البلدين في الدفاع عن أمريكا الشمالية. تلا ذلك انضمام الدولتين إلى حلف الناتو ثم توقيعهما مرة أخرى على اتفاق ثنائي يقضي بالدفاع عن أجواء أمريكا الشمالية.

على أن هذا التوجه الهادف للتقارب بين البلدين قد أخذ في التراجع فيما بعد. ولم تعد دول نصف الكرة الغربي تشغل مكانها على قائمة أولويات السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وسرعان ما أحيت الحربان العالميتان التوجهات عبر المحيطين الأطلسي والهادى لوضع خطط الائتلاف. ويجئ زمن الحرب الباردة ليعيد إهتمام الولايات المتحدة بالإتحاد السوفيتي وليضع التوجهات الأمريكية الخاصة بأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية في المرتبة الثانية، الأمر الذى كان من نتيجته أن احتل جيران الولايات المتحدة مكانة ثانوية بين حلفائها. ويتفق غالبية الباحثين على أن تقدير أهمية الجيران المباشرين في السياسة الخارجية الأمريكية قد بلغ أدنى مستوى له إبان سنوات الحرب في فيتنام.

أصبح تركيز الاهتمام على علاقات أمريكا مع جيرانها المباشرين في الشمال والجنوب من المسائل التي ينظر إليها باعتبارها أمرا باليا من مخلفات الماضي؛ فضلا عن اعتبارها نوعا من أنواع الأشكال الموسعة لمفهوم القلعة الأمريكية الذى أصابه القدم وحكم عليه بالرفض، فالتحالف القارى لأمريكا الشمالية يبدو الآن أمرا غير مقبول وغير مناسب لحجم المطالب العالمية للسياسة الخارجية الأمريكية في النصف

الأخير من القرن العشرين. وهكذا فإن تراجع اهتمام أمريكا بجيرانها فى نصف الكرة الغربى جاء نتيجة انغماس واشنطن فى مشكلاتها فيما وراء المحيط ، وفى نفس الوقت أكد ثقة أوتاوا ومعها عشرون دولة أمريكية لاتينية فى غياب خيار التوجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية. فبعد عدوانها على فيتنام حددت الولايات المتحدة فى مذهب جوام (١٩٦٩) مجال اهتماماتها الحيوية؛ إذ فضلت أن تترك أمريكا اللاتينية على هامش حلفائها من ناحية الأولوية، واعتبار أمريكا اللاتينية ضمن دول العالم الثالث الأقل أهمية بالنسبة لها من حيث دخولها عصر الثورة الصناعية.

أيضا جاء تراجع اهتمام الولايات المتحدة السياسى والإستراتيجى بجيرانها الحميمين نتيجة للتقدم السريع الذى أحرزته أوربا الغربية واليابان من الستينيات وحتي التسعينيات، هذا التقدم الذى كان له أثره فى إضعاف العلاقات الاقتصادية للولايات المتحدة مع جيرانها. وبالإضافة إلى ذلك أدت عولمة الاقتصاد الأمريكى للتقليل من أهمية أسواق أمريكا اللاتينية بل وحتى كندا نفسها. وكان من نتيجة ذلك أن تراجع نص٢٧ ٪، للولايات المتحدة الأمريكية من إجمالى استيراد دول أمريكا الشمالية فى الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٩٤ من ٣٨٪ إلى٢٧ ٪، وفى النصف الثانى من التسعينيات بلغت نسبة صادرات الولايات المتحدة إلى دول أمريكا اللاتينية١٣ ٪ فقط من إجمالى صادراتها (بدلا من ١٧ ٪عام ١٩٨٠) . إن هذا الإهمال، الذى ميز هذه الفترة يعبر عنه بصورة رمزية دالة غياب إدارة خاصة بشئون أمريكا الشمالية فى وزارة الخارجية الأمريكية، وكذلك ضم إدارة شئون كندا إلى إدارة الشئون الأوربية وهو ما يخالف قواعد الجغرافيا.

العودة

فى العقد الأخير من القرن العشرين طرأ على الوضع بعض التغيير. تعقدت علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها الرئيسيين فى أوربا وآسيا. وعلى صعيد آخر طرح اتساع العلاقات الاقتصادية مع كندا والولايات المتحدة وفرض رقابة على تدفق المهاجرين عبر الحدود الجنوبية وكذلك الاضطرابات المتزايدة فى بلدان القارة الأمريكية ، والتى تعتبرها واشنطن دائما بوابتها الخلفية ، طرح من جديد

مشكلة أهمية العلاقات المتبادلة مع جيرانها غير المباشرين، ومرة أخرى تبدو أمريكا اللاتينية منطقة جذب لرجال الأعمال الأمريكيين باعتبارها أكبر سوق سريع النمو فى العالم[٢] .

ينبغى أن نشير هنا على نحو خاص إلى عمليات الاكتشاف والتنقيب عن مصادر البترول الهائلة التى تمت فى كل من كندا والمكسيك ، والتى تمثل أهمية فائقة فى ظل ارتفاع أسعار هذا الخام عشرين ضعفا. ناهيك عن أن أنواعا أخرى من المواد الخام ذات الأهمية الإستراتيجية كالغاز واليورانيوم قد أثارت شهية الأمريكيين أيضا. وقد أدت كل هذه العوامل على الفور إلى زيادة أهمية أقرب جيران الولايات المتحدة سواء فى الشمال للأحداث أو فى الجنوب. وكان للتقدم الاقتصادى السريع نسبيا ، والذى أحرزته كل من كندا والمكسيك أثره فى التغير الملموس للأحداث . أضف إلى ذلك ظهور سوق تجارية فى قارة أمريكا الشمالية على حدود الولايات المتحدة، وهى سوق أضحت أكثر اتساعا عما كانت عليه من قبل ما لبثت أن جذبت رؤوس أموال ضخمة وفتحت المجال أمام الصادرات الأمريكية.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بعد عام ١٩٧٠ فى توسيع نطاق مشاركتها فى التقسيم العالمى للعمل . وفى خضم عصر النمو الكبير للتجارة الأمريكية لم تفقد كندا مكانتها. باعتبارها الشريك الأول للولايات المتحدة الأمريكية من حيث حجم التبادل التجارى وإنما دعمت هذه المكانة ، أما المكسيك فتأتى فى المرتبة الثالثة (بعد كندا واليابان) . وهكذا أصبحت تجارة الولايات المتحدة مع كندا والمكسيك تنمو فى إيقاع متصاعد. وفى الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٧ ارتفع حجم التجارة بين الولايات المتحدة والمكسيك بنسبة ٤٠٪ ، وهو ما يعنى أن عشرات الآلاف من الأمريكيين حصلوا على فرص للعمل. وفى الوقت نفسه فقد تضاعفت الاستثمارات المباشرة للشركات الأمريكية فى كل من كندا والمكسيك .

ويدعونا خبراء الجيوبوليتيكا لأن نفكر فى «القلعة الأمريكية» باعتبارها إجراءً وقائيًا رفيعًا فى حالة تفاقم العلاقات مع أوربا الغربية وشرقى آسيا. وقد ارتفعت أصوات كثيرة تنادى بعدم تضييع هذه الفرصة التاريخية وهى توحيد مصادر الدول

الثلاث وإنشاء آلية ضخمة يكون لها تأثيرها على الساحة الدولية. وقد توصل خبراء السياسة الأمريكيون إلى استنتاج مهم بالنسبة للقرن الحادى والعشرين مفاده أن قارة أمريكا الشمالية بأسرها يمكن أن تتحول إلى بوتقة عملاقة ، وعلى هذا النحو سوف يحدث نوع من التفاعل الحيوى على المستوى القارى فى الاقتصاد وفى التعامل اللغوى وفى غيرهما من المجالات. توجد كافة الأسس التى تؤكد أن التكامل المكثف لقارة أمريكا الشمالية سوف يتم فى القرن الحادى والعشرين . وفى الجدول التالى سوف نجد بعض المؤشرات الخاصة بالاقتصاد الكندى والمكسيكى والأمريكى لعام ١٩٩٧ .

المؤشر	كندا	المكسيك	الولايات المتحدة الأمريكية
إجمالى الناتج القومى (بالمليار دولار)	٦٩٤	٤٠١	٧٦١٠
السكان (بالمليون نسمة)	٣٠,٣	٩٧,٦	٢٦٨
إجمالى الناتج القومى لكل نسمة (بالمليار دولار)	٢٤٤٠٠	٣٤٢٠	٢٨٦٠٠

المصدر : World Bank . World development
Report, 1995. Washington, 1996,
The New York Times Almanac, 1998. P 543, 624, 692.

النتائج

ظهرت جماعة من علماء السياسة ترى أن أمريكا الشمالية ينبغى أن تتبوأ المكانة الأولى على سلم إهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية، مكانة تعلو أوربا وجنوب

شرقى آسيا، اللذين يمثلان بالنسبة لها «أهمية حيوية» . على أن أنصار التقارب القارى يرون أن كليهما (أوربا وجنوب شرقى آسيا) لا يندرجون تحت تعريف «ضروريين للحياة» - خلافا للجيران المباشرين للولايات المتحدة الأمريكية.

لعل أول أساس يمتلك تفاصيل وحججاً لمفهوم التقارب مع كندا هو ما تطرحه جماعة العمل المتخصصة التابعة لمجلس الأطلسى فى أمريكا والذى يرأسه وايلد أرمسترونج هذه الجماعة وضعت لنفسها هدفا يتلخص فى تحديد إمكانيات الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية، واقترحت برنامجا للتنسيق المتبادل وتحسين العلاقات والتقارب إلى حد الدخول حتى فى تحالف اقتصادى وسياسى. وقد لاقت نتائج التحليل الذى قام به مركز أبحاث الكونجرس وعدد من المنظمات البحثية الأخرى المؤيدة لأفكار التقارب مع الجيران وإنشاء هيئة التجارة الحرة لشمال أمريكا (النافتا) اهتماما كبيرا.

وفى فبراير عام ١٩٩٤ تم نشر نتائج البحث الذى أجراه كل من ج. هوفباور وج. شوت من معهد الاقتصاد الدولى تحت عنوان «النافتا تقييم» ، وجرى استخدام هذه النتائج على نطاق واسع.وتنبأ العالمان فى تقريريهما بتوفير ١٧١ ألف فرصة عمل جديدة فى العام الأول لإنشاء النافتا، وذلك بفضل قيام الشركات الأمريكية بتصدير ٨٠٪ من إجمالى المعدات الصناعية المكسيكية [٣]. وقد حددت اللجنة الحكومية الأمريكية للتجارة الخارجية الأرباح على المدى الطويل فى حالة التشغيل الكامل للعاملين بنسبة لا تقل عن ١ ٪.

« قَدَر» كنـــدا

يمكننا أن نستشعر- استنادا إلى التقديرات الأمريكية -مزيداً من الثقة التى عبر عنها بصراحة تامة ج . بول نائب وزير خارجية كندا الأسبق قائلا: إننا نخوض معركة وقائية ضد قدر محتوم ؛ فنحن نعيش جنبا إلى جنب مع أمة يفوق تعداد سكانها سكان كندا عشرة أضعاف. ويبلغ إجمالى ناتجها القومى أربعة عشر أضعاف الناتج القومى الكندى. والكنديون يعترفون بضرورة استثمار رأس المال الأمريكى ، ولكنهم فى الوقت نفسه مصرون على الحفاظ على استقلالهم الاقتصادى والسياسى...

حتما سيكون النضال شاقا، وأظن أنه سيظل حتميا مع مرور السنين، وسوف يكون التكامل الاقتصادى الذى يتطلب توسيع نطاق الحلول السياسية المشتركة نتيجة حتمية لهذا النضال (٤).

ويؤكد الخبراء الأمريكيون بإجماع الآراء الزيادة المتوقعة لتأثير الشركات الأمريكية فى الحياة الاقتصادية لكندا فى المستقبل، وعلى أن كندا سوف تزداد ارتباطا بجارتها فى الجنوب فى مجال الثقافة بفضل الإنتشار الواسع لوسائل الإعلام (٥).

وفضلا عما تقدم فإن التحرك الحادث فى مجال التعاون الاقتصادى يصاحبه قدر كبير من التعاون العسكرى . لقد قدم الأمريكيون إلى كندا التكنولوجيا اللازمة لبناء الغواصات النووية بهدف استخدامها فى القيام بدوريات الحراسة فى المياه القطبية، كما تم توقيع اتفاقات بشأن تحديث القيادة الموحدة للدفاع الجوى الكونى لأمريكا الشمالية (نوراد) وكذلك بشأن تحديث شبكة محطات الرادار فى القطب الشمالى. وما يزال أنصار التقارب العسكرى يوصون بضرورة الإسراع بإمداد كندا بالمعدات العسكرية المتطورة حتى قبل حلفائها الآخرين وزيادة النشاط العسكرى فى المحيط الهادى (فى تلك المنطقة الواقعة خارج الحدود الرسمية لنفوذ الناتو) . كما يوصى هؤلاء أيضا بتجديد وتوسيع نطاق الاتفاقات العسكرية الثنائية ودعم الروابط القائمة بين الجيشين الأمريكى والكندى واطلاع القيادة الكندية على المخططات الإستراتيجية الأمريكية وإعلان المنطقة القطبية التابعة لكندا منطقة للمصالح الأمريكية الحيوية، وأخيرا تشجيع الإنتاج العسكرى الأمريكى الكندى المشترك.

ويقترح مؤيدو فكرة التقارب فى المجال السياسى إنشاء لجنة حكومية أمريكية كندية مشتركة. وهذه اللجنة يمكن أن تفيد من الأقسام الخاصة بالشئون الكندية فى كل من وزارة الخارجية والدفاع والتجارة والمالية والزراعة والطاقة الأمريكية . ومن المقترح أيضا إنشاء مكتب مشترك خاص بشئون أمريكا الشمالية فى وزارة الخارجية، وهذا المكتب مسئول عن تنسيق الإتصالات مع كندا والمكسيك.

إن الولايات المتحدة الأمريكية وكندا كانتا، وما تزالان وسوف تصبحان، شريكتين تجاريتين قويتين، فالتبادل التجارى الثنائى بينهما ينمو بمعدل ٢٠ ٪ تقريبا

سنويا. وسوف تتضاعف هذه النسبة تقريبا بعد تطبيق اتفاق التجارة الحرة بين الدولتين. إن حجم الصادرات الكندية إلى الولايات المتحدة بلغ المائة مليار دولار فى عام ١٩٩٥ بينما تجاوز حجم الصادرات الأمريكية إلى كندا ٨٠ مليار دولار. وقد نجحت الولايات المتحدة فى تجنب الحرب التجارية فى سوق الحاصلات الزراعية فى كندا .

لقد حققت كل من الولايات المتحدة وكندا تقدما كبيرا على طريق تحقيق فكرة السماء المفتوحة أمام الطيران التجارى.

ومنذ سنوات قليلة مضت وفى عام ١٩٧١ كان ٨٢٪ من الكنديين ينحدرون من أصول أوربية غربية (٤٤ ٪ من الإنجليز، ٢٩ ٪ من الفرنسيين، ٦ ٪ من الألمان، ٣٪ من الإيطاليين) . وبعد مرور ٢٠ عاما فقط وبسبب انخفاض المواليد داخل كندا وإرتفاع موجة الهجرة القادمة من آسيا أصبح بمقدور ٤٩ ٪ من الكنديين أن يعتبروا أنفسهم «أوربيين».

انخفض نمو المهاجرين من أوربا من ٤٦ ٪من إجمالى المهاجرين إلى ١٥ ٪ عام ١٩٩٤، وفى الوقت نفسه شكل الآسيويون ٦٨ ٪ من القادمين الجدد . وعلى هذا النحو أصبحت كندا (شأنها فى ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية) «دولة غير أوربية»، وهو ما يعنى أن مسألة تحديد خصوصيتها، وهويتها الأمريكية الشمالية قد أصبحت على المحك [٦] .

المزايا

إن الحجة الأساسية التى ترجح كفة إقامة قلعة أمريكية حقيقية إنما تكمن فى ضمان أقصى توزيع فعال للموارد القارية وتبادل «السلع التكنولوجية والعاملين ذوى الكفاءة الرفيعة فيما بين الولايات المتحدة وكندا وجارتها فى الجنوب» . وسوف يصبح رأس المال والأيدى العاملة أكثر إنتاجية ، كما سيرتفع متوسط الدخول فى الدول الثلاث[٧]. وفى تقدير مجلة «فورتشن» (إن إنشاء النافتا سوف يزيد من إجمالى الناتج المحلى للولايات المتحدة بما يعادل ٣٠ مليار دولار سنويا) [٨] . وصل إجمالى الناتج

المحلى لدول أمريكا الشمالية الثلاث (٤٠٠مليون نسمة تقريبا) فى عام ١٩٩٨ إلى ما يزيد عن ٩ ترليون دولار، فيما يضم الحلف المنافس الأقوى وهو الاتحاد الأوربى ٣٧٥ مليون نسمة، يمثل إجمالى الناتج القومى له ٧ تريليون دولار(٩). ولا تجد الولايات المتحدة أى منافس داخل حلفها، حيث تنتج ما يقرب من ٨٧٪ من إجمالى الناتج القومى ، ويمثل سكان ٦٩ ٪من مجموع سكان حلف أمريكا الشمالية (١٠) .

يرى مدير المشروع المكسيكى فى مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (واشنطن) م.ديلال باير أن النافتا سوف تغير من إستراتيجية المؤسسات ، كما أنها ستعمل على تكييف الجغرافيا الفكرية لمواطنى كل دولة من الدول الأعضاء فيها، ومن ثم فإنها سوف تصنع تدريجيا هوية خاصة لأمريكا الشمالية، من شأنها أن تساعد المنطقة فى التنافس على مستوى العالم(١١).

ويقترح أنصار التحالف مع كندا والمكسيك الرجوع إلى خبرة ألمانيا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ؛ فالأولى لم تخش الدخول فى تحالفات جمركية وسياسية مع جيران أقل تقدما منها. أما الثانية فاتخذت طريق فرض التعريفات لحماية اقتصادها . وكانت النتيجة أن ألمانيا أصبحت صاحبة اليد العليا فى صناعة السيارات والصناعات الإلكترونية وفى غيرها من مجالات التكنولوجيا الرفيعة، بل إنها تجاوزت بريطانيا من حيث مستوى المعيشة ، ولقنت أمريكا درسا يتلخص فى أن الحماية العمياء لفرص العمل يمكن أن تنعكس سلبا فى المستقبل . ويؤكد ر. باستور الأستاذ بجامعة إيمورا أن التعامل مع الجيران المباشرين سوف يزيد من قدرة الولايات المتحدة على المنافسة مع الأوربيين واليابانيين. إن الاستناد إلى كندا وأمريكا اللاتينية أصبح ضرورة لا اختيارا (١٢). إن التجارة الأمريكية يجب أن تجمع بين الأيدى العاملة المكسيكية الرخيصة وتكنولوجيا الإنتاج الأمريكى الأكثر تقدما ، تماما كما يفعل فى هذا الشأن اليابانيون مع الدول الآسيوية.

يؤكد المتخصصون الذين يميلون إلى التقارب الداخلى فى منطقة أمريكا الشمالية أن توفير العديد من فرص العمل الجديدة للمنتجين الأمريكيين سوف يصبح أحد نتائج النافتا ،كما يتنبأ الخبراء فى وزارة التجارة الأمريكية بتوفير ٦٠ألف فرصة عمل

إضافية فى الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، وذلك بفضل النافتا . ويشير أنصار النافتا إلى أن فتح السوق المكسيكى سوف يسمح لديترويت بزيادة المبيعات اليومية للسيارات فى المكسيك من ألف سيارة عام ١٩٩٢ إلى ٦٠ ألف سيارة فى العام الأول بعد إنشاء النافتا.

تتمثل المشكلة الرئيسية التى يعانى منها هذا الجزء المتقدم صناعيا من العالم فى القدرة على المنافسة . إن التقارب الأمريكى مع كندا والمكسيك ينبغى أن يساعد الولايات المتحدة فى صراعها مع المنافسين . سوف تدعم النافتا القدرة الأمريكية على التنافس فى سباقها مع كل من أوربا وآسيا ، كما أنها سوف تزيد من نطاق الإنتاج والتخصص ، وتزيد من قوة ترشيد الإنتاج على المستوى القارى . إن التنسيق بين الأطراف الثلاثة لقواعد الاستثمار سوف يضمن الاستقرار لإستراتيجة بعيدة المدى للإنتاج . وسوف يصبح الأمر الأكثر أهمية هو توزيع الوظائف المتعلقة بالإنتاج. إن هذه العملية تعد بمثابة الإستراتيجة التى استخدمتها آسيا وأوربا بنجاح فى النفاذ إلى السوق الأمريكى. على هذا النحو قامت اليابان بوعى كامل بنقل عملية الإنتاج الذى يتطلب نفقات (باهظة) إلى جيرانها الأقل تقدما فى آسيا . إن تقسيم العمل فى أمريكا الشمالية سوف يساعد الصناعة الأمريكية فى تقوية قدرتها التنافسية فى العالم، حيث التنافس الجغرافى الاقتصادى متعدد الأقطاب يحل محل الصراع الچيوبوليتيكى ثنائى القطبية [١٣]. ويؤدى الأمر بنا إلى الاستنتاج التالى: إن التصور الجغرافى الاقتصادى والجغرافى الإستراتيجى يتطلبان من الولايات المتحدة أن تقوى مركزها فى القارة الأمريكية.

ينبغى على التجارة الأمريكية أن تجمع بين الأيدى العاملة الرخيصة المكسيكية وتكنولوجيا الإنتاج الأمريكى الأكثر تقدما من الناحية التقنية، وهو ما تفعله اليابان فى العديد من بلدان آسيا. ويرى ك . بريستوفيتز أن من الضرورى العثور على بديل للنمور الآسيوية فى المكسيك . إن تدفق المكونات الأمريكية إلى مصانع التجميع المكسيكية هائل ، ومن ثم فإن من الممكن مع بداية القرن الحادى والعشرين أن تحل المكسيك فى نهاية الأمر محل شركاء شرق آسيا المتوحشين . ويؤكد أنصار النافتا على

أن عنصر المخاطرة بالنسبة للعمالة الأمريكية الماهرة يتمثل لا فى العمالة المكسيكية الرخيصة ، وإنما فى الصراع مع العمالة الألمانية واليابانية صاحبة الأجور العالية . ولهذا فإنهم يرون أن الحجة القائلة باحتمال وقوع اضطرابات عمالية أمريكية داخلية أمرغير مقنع بالنسبة لهم.

يفترض ج . هافباور الخبير الاقتصادى بمعهد الاقتصاد الدولى بواشنطن أن تحقيق النافتا سوف يعطى الولايات المتحدة رصيدا إيجابيا فى تجارتها مع المكسيك يبلغ فى المتوسط ١٠ مليارات من الدولارات سنويا. ويذكرنا س . فاينتراوب من جامعة تكساس أن المكسيكى المتوسط يستهلك سنويا ما قيمته ٣٨٠ دولارا من البضائع الأمريكية ، وهكذا فإن كلا من المجتمعين قد تقاربا اقتصاديا ، وبإمكانهما مساعدة كل منهما الآخر.

لقد قامت أضخم شركات صناعة السيارات الأمريكية ببناء مصانع تجميع السيارات على أراضى جارتها فى الجنوب ، وقد ضاعفت النافتا دون أدنى شك من تدفق رؤوس الأموال الأمريكية إلى المكسيك.

إن أكثر أنصار أولوية الاستناد إلى النافتا يؤكدون أن الولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر محددة ليس أمامها خيار آخر؛ فالمجتمع الأوربى يسعى لتحقيق تكامل داخلى على حساب زيادة الحواجز الجمركية الخارجية (إضافة إلى ما هو موجود) ، بينما تبحث اليابان عن مفاتيح للدخول إلى أسواق جيرانها الآسيويين وفى الوقت نفسه فهى ترفض – والحق يقال – فتح سوقها الداخلى . وفى هذا السياق يتكرر بشكل أو بآخر الوضع الذى سبق الحرب – فالولايات المتحدة مضطرة للتوجه إلى جيرانها: منذ الحرب العالمية الثانية كانت أمريكا اللاتينية موجودة على هامش الأولويات الأمريكية ، بينما وقعت آسيا وأوربا فى بؤرة الإهتمامات الأمريكية ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى أصبحت هاتان المنطقتان أكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . على أنه وحتى يصبح من الممكن الدخول معهما فى منافسة والاحتفاظ بزعامة العالم ، أصبح على واشنطن اليوم أن تؤمن التعاون مع أمريكا اللاتينية ودول حوض الكاريبى من أجل إنشاء سوق مشتركة تشغل نصف الكرة الأرضية. بعد أن

تحصل بعده على قدرة جديدة على المصادمة [١٤] . أصبحت كندا مفتوحة بوجه خاص ، لقد جاء زمن الهجوم الجنوبي الذى تلعب فيه المكسيك دورا خاصا . لقد رفع اتفاق منطقة التجارة الحرة فى أمريكا الشمالية من جاذبية هذه المنطقة أمام المستثمرين الأمريكيين ، ولقد بلغت الاستثمارات أعلى مستوى لها فى الأعوام من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٨ بما يعادل ١٢,٥ مليار دولار كل عام ، وبدورها زادت المكسيك من حجم صادراتها إلى الولايات المتحدة أكثر مما تصدره إلى أى دولة أخرى . وقد نما حجم التجارة بين الولايات المتحدة والمكسيك من ٨٥,٤ مليار دولار فى عام ١٩٩٧ إلى ١٦٩ مليار دولار فى عام ١٩٩٧ وتستهلك الولايات المتحدة نصيب الأسد من الصادرات المكسيكية أى ما يعادل ٨٥ (مقارنة بـ ٧٠٪ عام ١٩٩١) .

يرى بعض بناة القلعة الأمريكية الحصينة أن كندا والمكسيك هما مجرد الحصن الأول ؛ فالولايات المتحدة عليها ألا تكتفى بعد توقيع اتفاقية النافتا بالمكسيك فحسب ، وإنما عليها أن تواصل زحفها نحو الجنوب ، نحو حوض الكاريبى ، وأن تضع كل أمريكا اللاتينية على قائمة أولويات المصالح الأمريكية . ومن المنتظر إزالة كافة الحواجز الجمركية مع دول معاهدة آندس ، جذب البرازيل وغيرها من دول جنوب القارة فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية . أين تكمن جاذبية أمريكا اللاتينية بالنسبة لأمريكا ؟ إنها تمثل مؤخرة الجيش وركيزته القوية فى الحرب القارية القادمة . أما ممثلو حزام الشمس الجبار: كاليفورنيا وفلوريدا وتكساس فيقفون فى طليعة المحاربين من أجل الإسراع فى توقيع الاتفاق ، وهؤلاء تتركز حجتهم الأولى فى أن أمريكا تقف أمام خطورة سوق معزولة فى حدودها ومحدودة فى حجمها، وأنه خلال عقد أو عقدين لن يكون لديها حرية المناورة. ليس عبثا إذاً أن هنرى كيسنچر وصف إنشاء النافتا بأنها أكثر مبادرة مبدعة فى السياسة الخارجية فى التسعينيات .

خصوم النافتا

بدا أن الجدل بشأن النافتا أمر بالغ الصعوبة و خاصة بالنسبة بالنسبة للديمقراطيين؛ فقد اتخذت اللجنة القومية للحزب الديمقراطى قرارا ضد عقد إتفاق التجارة الحرة مع المكسيك فى الوقت الذى أيد فيه مجلس رئاسة الحزب الديموقراطى

فكرة النافتا. و لقد اتضح أن هذا الحزب الأمريكي كان مضطرا أن يفاضل بين قوتين هائلتين تؤيدان الحزب - الاتحادات النقابية المنظمة (والتى تقف على الضد من الاتفاق) ، والجالية الناطقة بالإسبانية ذات التأثير الشديد (والتى تؤيد الاتفاق) . وفى كل الأحوال فإن مسألة إنشاء ووضع النافتا موضع التنفيذ قد تجاوز الحدود الحزبية، واجتذب الصراع كافة الاتجاهات الرئيسية فى الأحزاب الكبرى والنخبة الأمريكية بأكملها. إن الأمر يبدو من الظاهر على النحو التالى : يعارض أنصار سياسة التجارة الحرة لوبى الحماية الجمركية الآخذ فى النمو . ويتحدث أنصار الحماية الجمركية عن احتمال إغلاق قطاعات بأكملها من الاقتصاد الأمريكي وعن أن المكسيك يمكن أن تتحول إلى حصان طروادة للدول الآسيوية المتنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا أعلن اتحاد النقابات صاحب النفوذ الواسع الحرب على النافتا، مشيرا إلى أن الأيدى العاملة المكسيكية الرخيصة، التى تجتذب الشركات الأمريكية إليها سوف تؤدى إلى خسارة لا يقل حجمها عن نصف مليون فرصة عمل فى الولايات المتحدة الأمريكية. ويقف المدافعون عن حقوق الإنسان وأنصار البيئة فى الولايات المتحدة ضد النافتا أيضا. ويرى المنتقدون للنافتا أن التحالف الاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك هو ولا عمل مريب من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ، وثانيا أنه يخرج الولايات المتحدة عن الطريق الصواب ، باعتباره بديلا غير مكافئ لحلف شمال الأطلنطى . وهذا الاختيار من شأه أن يقوض القدرة العسكرية الأمريكية، لينهار معها نفوذها السياسى الدولى[١٦]. ونتيجة لزيادة اقتراب الولايات المتحدة من أمريكا الشمالية ؛ فإن أوربا سوف تمضى فى طريقها فى تعزيز قواها الداخلية ، وفى النهاية ستخرج من حلف الأطلنطى ، فى الوقت الذى تشتعل فيه من جديد فى شرق آسيا الكراهية القديمة للجيران ، ويصبح النهج اليابانى لا إراديا أكثر عدوانية .

ويذكرنا خصوم النافتا بأن متوسط دخل العامل المكسيكي يعادل ١٢ ٪ من دخل نظيره الأمريكي . وحتى لو رفعت المكسيك مستوى المعيشة لديها إلى ٧ ٪ سنويا ، وهو أمر مستبعد ، فإنها تكون فى حاجة لعشر سنين لتصل إلى ربع المستوى الأمريكى ، أما إذا أرادت المكسيك أن تصل إلى نصف المستوى الأمريكى فهى

بحاجة إلى عشرين سنة . وطوال هذه السنوات سوف يكون المكسيكيون الخارجون على القانون على استعداد للحصول على أى عمل فى الولايات المتحدة . ويشير خصوم النافتا أيضا إلى تقادم الآلات فى المصانع المكسيكية وعدم فاعلية التطبيق الإدارى ، الأمر الذى لا يسمح بإعتبار المكسيك مكسبا ثمينا على المستوى الاقتصادى والإستراتيجى . أما الحجة الرئيسية والقياسية التى يطرحها خصوم النافتا فتتلخص فى أن الشركات الأمريكية تسعى نحو الجنوب حيث تساوى ساعة العمل حوالى دولارين ، وحيث المستويات القياسية للبيئة أقل كثيرا من المحظور ، تاركة وراء ظهرها منطقة البطالة داخل الولايات المتحدة . إبان الحملة التى سبقت الانتخابات عام ١٩٩٢ وعام ١٩٩٦ تنبأ المرشح المستقل لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية روس بيرو بتقليص زمن العمل إلى ٥,٨ مليون فرصة عمل فى حالة إنشاء النافتا فى الجنوب بدءا من ريوجراندى ، وقد أعلن بيرو أن أول قاعدة فى الحرب هى ألا تطلق النار على نفسك . أما اتفاقياتنا التجارية مثل النافتا فهى تمثل خرقا لهذه القاعدة . إن النافتا ، على وجه التحديد ، ستبتز من الولايات المتحدة الأمريكية حتى ٥,٨ مليون فرصة عمل ويتوقع معهد الاقتصاد السياسى ، والذى يتمتع بسمعة راسخة فى الولايات المتحدة خسارة أقل دراماتيكية تتمثل فى ٥٠٠ ألف فرصة عمل على مدى عشر سنوات . ومن الجدير بالذكر أن العجز السنوى فى تجارة الولايات المتحدة مع المكسيك تجاوز فى نهاية التسعينيات١٥ مليار دولار . ترى هل ستسلب المكسيك فى القرن الحادى والعشرين فرص العمل ؟

يؤكد المراقبون أن من نتائج النافتا خسارة فرص عمل يتراوح عددها من ٢٥ ألف إلى ٣٥٠ ألف فرصة فى الاقتصاد الأمريكى (٤٩ ألف يمارسون إعادة التدريب على العمل بسبب الخوف من النافتا) . وقد تجاوز العجز السنوى فى تجارة الولايات المتحدة مع المكسيك فى نهاية التسعينيات ١٥ مليار دولار .

ويؤكد أنصار البيئة أن إنشاء منطقة تجارة حرة سوف يهبط بمستويات السلوك النظيف للشركات التى ستقوم بتجهيز مقالب قمامة مثالية فى المكسيك . بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الشركات ستسعى للذهاب إلى الجنوب لتتفادى القيود الصارمة

المفروضة فى هذا الشأن داخل الولايات المتحدة . إن انهيار الإقتصاد المكسيكى عام ١٩٩٤ قد أضعف أكثر الآمال بهجة. إن أمريكا اللاتينية تشعر بالإحباط بالمعنى الاجتماعى. إنها تستثمر فى إعادة الإنتاج ٢٠٪ من إجمالى الناتج القومى بينما يستثمر شرق آسيا ٣٦٪ (١٧) . إن المناخ الفكرى الذى خلقه معارضو فكرة تأسيس سوق أمريكية مشتركة شكل عائقا أمام إنشاء النافتا .

أهمية النافتا بالنسبة للعالم الخارجى

سألت مجلة إكو الفرنسية السيد موراليس وزير خارجية المكسيك حول ما إذا كانت مخاوف الأوربيين والآسيويين بشأن تحول أمريكا الشمالية بمساعدة النافتا إلى قلعة أمريكية أمر له ما يؤيده ؛ فرد الوزير بالإيجاب قائلا إن : خطورة المواجهة بين حلفين تجاريين على جانب الأطلنطى أمر قائم بالفعل (١٨) . على أن العوائق الموجودة على طريق تكامل أمريكا الشمالية جسيمة.

إن الاختلافات الثقافية هى اختلافات جوهرية ؛ فالمتعلمين المكسيكيين ينظرون إلى الثقافة الأمريكية أساسا باعتبارها ثقافة أنجلوسكسونية وبروتستانتية ، ولا يقبلون البراجماتية ضمن قيمهم ولا المادية التى تلهث وراء الربح . إن ما يزيد عن المائة مليون مكسيكى يعتبرون أنفسهم بعد عام ٢٠٠٠ مختلفين عن البيئة الفكرية والنفسية الأمريكية . وفى هذا الصدد يرى النقاد الأمريكيون لمفهوم الاتحاد القارى أن الثنائية اللغوية فى العملية التعليمية التى تجرى فى الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الناطقين بالإسبانية (وهؤلاء سيصل تعدادهم مع مطلع القرن الحادى والعشرين إلى ما لا يقل عن ٢٥مليون نسمة) هو خطأ جسيم . وخلافا لغالبية المهاجرين (الإيطاليين على سبيل المثال) فإن السكان من الناطقين بالإسبانية يتمسكون بكل حزم بلغتهم وثقافتهم، وهو ما يزيد من شدة التناقضات . نتيجة لذلك اقترح عدد من المشرعين وعلى الأخص السيناتور أ.سمبسون مشروع قانون يتضمن قواعد صارمة منظمة للهجرة ، معتبرا أن من الضرورى وقف تدفق المهاجرين الإسبان.

على جدول أعمال مشكلات النافتا المطروحة للمناقشة بشكل واسع فى أمريكا الشمالية ، تجرى مناقشة قضية الهجرة غير المشروعة من المكسيك إلى الولايات

المتحدة الأمريكية . ويؤخذ فى الاعتبار سرا أن إنشاء منطقة التجارة الحرة سوف يحد من تدفق المهاجرين غير الشرعيين إلى الولايات المتحدة ، فتوفير فرص عمل جديدة فى المكسيك ذاتها ورفع مستوى حياة عمالها من شأنه أن يقلل نزوع المكسيكيين للتحرك نحو الشمال ، فمن الواضح أن النمو الصناعى المتسارع يدفع إلى المدن بالملايين من الفلاحين المكسيكيين . وعلى هذا فإن حركة هؤلاء القائمة على الفقر يمكن أن تتخذ من الشمال هدفا لها .

على أن أكثر ما يفقد أنصار إتحاد القارة حماسهم هو عدم الاستقرار داخل المكسيك ؛ فأسعار النفط فى التسعينيات تراجعت مما كان له أثره البالغ فى انخفاض عائدات البلاد. و قد أدى الانهيار المالى فى عام ١٩٩٤ إلى تطبيق برنامج أساسي للإجراءات الاقتصادية القاسية، تبع ذلك انهيار آخر فى مستوى المعيشة بلغ مقداره ٤٠ ٪ واكتسبت الحدود المارة بريو جراندى أهمية بالغة. واتسع نطاق تفسير إدارة المخابرات المركزية الذى تضمن الحديث عن فرص انهيار النظام السياسى المكسيكى فى خلال الخمس سنوات القادمة بنسبة ١ : ٥. وفى جلسات مجلس الشيوخ الأمريكى ورد ذكر دولة المكسيك مقرونا بعدد من الصفات مثل عدم المساواة وعدم الصلاحية والفساد .

وقد هاجم ر. ثوريتشيللى رئيس اللجنة الفرعية لشؤون نصف الكرة الأرضية الغربى بمجلس الشئون الخارجية منظمة النافتا انطلاقا من أن اتفاق منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية ينبغى أن يشمل فقط الدول صاحبة الأنظمة الديموقراطية المتقدمة... إن من حقنا أن نطلب من المكسيك أن تصل إلى مستوى محدد من المقرطة لمؤسساتها السياسية (١٩).

وعلى هذا النحو فإن تحقيق مفهوم اتحاد القارة يعترضه صراع الآراء والمصالح فى القيادة الأمريكية ؛حيث المنافسون لمشروع القارة من القوة ما يمكنهم من محاصرة العديد من المبادرات السياسية والاقتصادية فى هذا الاتجاه ، هذا من ناحية، من ناحية أخرى فإن عنصرى السياسة القارية – كندا والمكسيك – لم يتأثرا إطلاقا بالاقتناع الثابت بالحصول على بعض المكاسب مقابل بعض السلبيات . بالإضافة إلى

ذلك فإن كل من أوتاوا ومكسيكو ما يزالا يسعيان لزيادة عدد شركائهم السياسيين والاقتصاديين عن طريق مخاطبة أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، كل ذلك من شأنه أن يخفف من اندفاع أنصار الاتحاد القارى ويضع عوائق ضخمة فى طريق تحقيق المشروعات المذكورة . ومع ذلك فإن هناك حقيقة هامة تتمثل فى اكتشاف النخبة السياسية الأمريكية لآفاق جديدة يمكن أن تكون لها أهمية فائقة فى القرن الحادى والعشرين .

تحصل المكسيك من مواطنيها العاملين فى الولايات المتحدة ، والذين يرسلون أموالا لذويهم ما لا يقل عن ٣ مليار دولار سنويا ، وهو مبلغ مؤثر يذهب فى النهاية إلى الخزانة المكسيكية.

يترتب على هذا أن خروج رأس المال من الولايات المتحدة عن طريق المهاجرين يصب فى صالح المكسيك ؛ حيث يخفف هذا الأمر من الضغوط الاجتماعية داخلها. ولا يعود بأى نفع على دافعى الضرائب . يكتب البروفيسور ب . فولكر الأستاذ بجامعة برينستون مشيرا إلى أن هناك أيضا شكاً فى أن النافتا تضع مقدمات لخروج أمريكا من آسيا (٢٠) .

مصير كندا

فيما يتعلق بكندا، فإن مصيرها التاريخى يبدو وثيق الارتباط بضخامة أمريكا الشمالية. ولعل أحد التصورات التى تفوق فى أهميتها أى تصور آخر فى أوتاوا، هو السعى للوصول لحل مضمون لمشكلة إقليم كويبك فى إطار وحدة القارة. وتفترض كندا مضاعفة تجارتها مع مطلع القرن الحادى والعشرين مع المكسيك – الشريك المتميز الجديد . وإذا كانت الولايات المتحدة وكندا أكثر تقاربا فيما بينهما من ناحية الثقافة واللغة ، فإن الاختلاف فى علاقات كندا بأمريكا اللاتينية تجاه فكرة التقارب القارى أمر محسوس وخاصة فى النواحى التالية . إن الكنديين برغم إدراكهم التام لخطورة التقارب مع عملاق بحجم أمريكا اللاتينية لا يخشون أن ترسل الولايات المتحدة قواتها إلى الأقاليم الكندية ، أما المكسيك فليس لديها هذه الثقة إطلاقا . وربما يكفى للدلالة على هذا أن نعدد عمليات التدخل التى قامت بها الولايات المتحدة فى

المكسيك بدءا من فيراكورس عام ١٩١٤ (هذا إذا ما اكتفينا بالحديث عن القرن العشرين فقط).

يصاحب التقارب الاقتصادى أعمال فى مجال التعاون العسكرى ؛ فالأمريكيون قاموا بإمداد كندا بالتكنولوجيا من أجل بناء غواصات نووية بهدف القيام بدوريات استطلاعية فى المياه القطبية، وقد تم توقيع اتفاقات بشأن تحديث القيادة الموحدة للدفاع الجوى عن أمريكا الشمالية وكذلك شبكة محطات الرادار فى القطب الشمالى .

كان لدى كندا بعض المخاوف ؛ فعلى مدى حوالى ٥٠ عاما تقريبا ظل الهدف الرئيسى للسياسة الخارجية لكندا هو خلق توازن لتأثير الولايات المتحدة الأمريكية والحيلولة دون وقوع كندا فى عزلة داخل قلعة أمريكا الشمالية . وهذا الهدف جرى بحثه بين أعضاء حلف الناتو وأثناء تنسيق العلاقات مع أوربا. والآن مع اختفاء التهديد السوفيتى وتطور الاتحاد الأوربى أصبح دعم ال ٢١ .ات مع أوربا أمر أكثر صعوبة... وجاء ظهور منظمة النافتا ليقوى من النزعة القارية لأمريكا الشمالية ... يقول الخبراء الكنديون إن إمكانية إنشاء النافتا قد حطم الآمال التى كانت سائدة فى السبعينيات بشأن تنويع العلاقات الكندية... لقد تجاوز حجم الصادرات الكندية إلى الولايات المتحدة ثلاثة عشر ضعف الصادرات إلى أوربا فى عام ١٩٩٦ (٢٢).

إن الولايات المتحدة وكندا كانتا -وما تزالان ، ويبدو أنهما ستصبحان- أضخم شريكين تجاريين ، فتجارتهما البينية تنمو بمعدل سنوى مقداره ٢٠٪، وسوف تتضاعف هذه النسبة بعد تطبيق الاتفاق الأمريكى الكندى بشأن التجارة الحرة. لقد تجاوز حجم صادرات كندا إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٩٥ المائة مليار دولار، وفى العام نفسه تعدت الصادرات الأمريكية إلى كندا الثمانين مليار دولار. لقد نجحت الدولتان فى تجنب قيام حرب تجارية بينهما فى سوق الحاصلات الزراعية ، كما نجحتا فى تحقيق تطور مها فى مجال الطيران التجارى . وهناك مادة وردت فى الاتفاق الخاص بإنشاء النافتا تصر كندا من خلالها على الدفاع عن صناعتها الثقافية من أخطار المنافسة المفتوحة ، وهى مادة ما تزال محل جدل مستمر بين الدولتين.

سياسة كلينتون

فى سياق حملته الانتخابية أعلن بيل كلينتون بما لا يدع مجالا للشك، أن منطقة التجارة الحرة سوف تصبح أمرا واقعا بحلول عام ١٩٩٤، فالمكسيك ، هذه الدولة التى تشترك مع الولايات المتحدة فى حدود يبلغ طولها ٣١٠٠ كيلو متر ويعبرها سنويا ٥٠٠ مليون شخص، تقف الآن ، ونحن فى عصر ما بعد الحرب الباردة ، على قمة أولويات الولايات المتحدة . وقد ألح الرئيس كلينتون على ضرورة توقيع اتفاقات إضافية بشأن ظروف العمل والبيئة، ووعد بأنه سيكون أكثر عدوانية من إدارة الرئيس بوش فيما يتعلق بمنطقة التجارة الحرة فى أمريكا اللاتينية . وذكر السيد مالرونى رئيس وزراء كندا المعروف بحماسه في معرض حديثه عن آفاق توسيع الحلف : أن كندا سوف تعمل من أجل تطبيق اتفاق أمريكا الشمالية بشأن التجارة الحرة بأسرع ما يمكن، إننا نتحرك نحو شراكة تجارية واسعة فى نصف الكرة الذى نعيش عليه ، والذى يضم شركاءنا المؤسسيين للنافتا وكذلك أصدقاءنا فى حوض الكاريبى وشركاءنا وسط وجنوب أمريكا (٢٣) . وفى المؤتمر الذى عقد بناء على مبادرة الرئيس كلينتون تحت اسم لقاء الأمريكيتين على أعلى مستوى (١٩٩٤) طرح الرئيس الأمريكى فكرة إنشاء منطقة تجارة حرة للأمريكيتين (FTAA بحلول عام ٢٠٠٥) . إن الفكرة المطروحة هنا تبدو واضحة تماما وهى إبعاد المنافسين وراء المحيط . وقد عبر س . أيزينستات نائب وزير التجارة عنها بكل صراحة عندما أعلن قائلا: إن منافسينا خارج نصف الكرة الغربى لا يغمض لهم جفن... إن الأوربيين والآسيويين يسعون سعيا محموما لزيادة نصيبهم من الصفقات التجارية مع أمريكا اللاتينية وهو أمر جديد... إن كل خطوة فى هذا الاتجاه تشكل تحديا مباشرا للمكاسب الاقصادية للتجارة الأمريكية التى تبحث عن التكامل فى نصف الكرة الغربى (٢٤) .

خلال خمسة عشر عاما سوف يتم رفع كافة الحواجز القومية أمام تبادل السلع والخدمات ورؤوس الأموال وتقريب الأسس القانونية فى أكبر منطقة للتجارة الحرة فى العالم وهى المنطقة الواقعة من يوكون وحتى يوكاتان ، والتى يعيش فوق أراضيها ما يزيد على ٤٠٠ مليون نسمة . على أن هذا الأمر لم يسلم من النقد من الجانب الآخر

للمحيط ؛ فقد أكد ليون بريتين نائب رئيس لجنة الاتحاد الأوربى أن على واشنطن ألا تنسى أن الولايات المتحدة الأمريكية هى من وجهة نظر المصالح الاقتصادية دولة عظمى عالمية وليست قارية، فالشركات الأمريكية العاملة فى مجال الصناعة والخدمات مرتبطة بعلاقاتها التجارية خارج حدود أمريكا الشمالية [٢٥]. نستطيع أن نلحظ في هذه الكلمات بشكل واضح مدى الاستنكار لهذا الشكل الشاذ من النزعة الانعزالية الأمريكية الجديدة.

لو ظهرت النافتا على حيز الوجود على نحو مكتمل لتكونت فى العالم ثلاثة أحلاف: الاتحاد الأوربى الموسع ، والحلف الآسيوى بزعامة اليابان والنافتا ذاتها ، والأخير يمكن اعتباره ندا للاتحاد الأوربى من حيث تعداد السكان ، وإن تفوق عليه من ناحية المؤشرات الاقتصادية الأساسية .

إن قرار إنشاء اتحاد أمريكا الشمالية ، هو فى واقع الأمر قفزة نوعية سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية ، ونحن نرى صعوبات كبرى تعترض تنفيذ هذه العملية، ولكى يصبح من الممكن فتح حدود كل من دولة أمام الأخرى بشكل كامل فسوف يتعين على كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك تخطى عقبة النزعة القومية أولا فى الدول الثلاث ثم إلغاء مبدأ حماية الشركات الصناعية والنقابات ، وتخلى النخبة عن الفلسفة القومية الضيقة التى تعتنقها والميل للعودة إلى مبادئ حزب الشعب الأمريكى Populism كما سيتعين عليهم إقناع مواطنيهم بأن تعاون الدول الثلاث بعضها مع بعض سيأتى بالفائدة على الجميع .

وعلى هذا النحو فإن تحقيق مفهوم اتحاد القارة يعترضه صراع الآراء والمصالح فى القيادة الأمريكية ؛ حيث المنافسون لمشروع القارة لديهم من القوة ما يمكنهم من محاصرة العديد من المبادرات السياسية والاقتصادية فى هذا الاتجاه، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن عنصرى السياسة القارية - كندا والمكسيك - لم يتأثرا إطلاقا بالاقتناع الثابت بالحصول على بعض المكاسب مقابل بعض السلبيات. بالإضافة إلى ذلك فإن كل من أوتاوا ومكسيكو ما يزالا يسعيان لزيادة عدد شركائهم السياسيين والاقتصاديين عن طريق مخاطبة أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية. كل ذلك من شأنه أن

يخفف من اندفاع أنصار الإتحاد القارى ويضع عوائق ضخمة فى طريق تحقيق المشروعات المذكورة. ومع ذلك فإن هناك حقيقة مهمة تتمثل فى اكتشاف النخبة السياسية الأمريكية لآفاق جديدة تنبثق عن الأوضاع السائدة فى الوقت الحالى. إن القوى الجديدة فى أوساط السياسة الأمريكية تشرع فى إعداد مفهوم للاتحاد القارى ووسائل تحقيقه.

مراجع الفصل السادس

1-Nuechterlein D. America Overcomited. U.S. National Interest in the 1980s. Lexington, 1985. P. 54.

2-The New York Times. April 8, 1994.

3-Hufbauer G., Schott J. North American Free Trade: Issues and Recommendations. W., 1992. P.24

4-Ball G.The Discipline of Power. Boston. 1968. P. 113.

5-Doran Ch., Singler J. (ds. Canada and U.S.:Enduring Friendship. Persistent Strese. Englwood Clifffs.1985. P. 157.

6-Doran Ch., Singler J. (eds). Op. cit . P . 157.

7-uysltig N., Bosworth B., Lawrence R. (eds). Assessing the Impact. North American Free Trade. W., 1992. P. 1.

8-Richman. L. How Nafta Will Help America // Fortune. April 1993. P. 52.

9-Postor R. NAFTA as a Center Of an Integration Process: The Nontrade Issues / N. Luystig, B. Bosworth and R. Lawrence. Op. cit. P. 204.

10-Econmic integration and Nationalism: Canada, the United States and Mexico // Este Pais, No 1.April 1991.

11-Delal Baer M. North American Free Trade // Foreign Affairs. Fall 1991. P. 140.

12-Postor R. The Latin American Option // Foreign Affairs. Fall 1992. P. 125.

13- Delal Baer M. North American Free Trade. Op.cit. Fall 1991. P. 132.

14- Postor R. The Latin American Option. Op. cit . Fall 1992.p.107.

15-New york Times . April 11, 1993.

16-Coll A. America as the Grand Facilitator // Foreign Policy. Summer 1992. P. 67.

17-Edwards S. Latin American Underproformance // Foeign Affairs. March-April 1997 .P .95.

18-L'Echo. Janvier 15, 1993. P. 11-12.

19-Update on Recent Developments in mexico:hearing before the subcommittee on Western Hemisphere Affairs of the House Foreign Affairs Committee. 102d Congress. Isess.W.,1991.P.54-55

20-volcker P. The US., Japan,and a Changing Global Economy // The Washington Quarterly. Spring 1994.P.31.

21-Canadian Foreign Policy. Spring 1994.P.31.

22-Will NATO Go Esat ? The debate over enlarging the Atlantic Alliance.Toronto,1996.P.157.

23-Canadian Foreign Policy .Spring 1994.P.31.

24-Preeg E.H.The Post-Urnguay Free Trade Debate // Washington Qrarterly.Winter 1996.P.227.

25-Tiel E.EU and NAFTA:Regional Integration and Transatlantic Relations // Aussenpolitik,1997.No1.P.60

الفصل السابع

خيار واشنطن: تقرير المصير والسيادة

تقف واشنطن وهى تحدد مسارها إلى القرن الحادى والعشرين أمام خيار حرج، فهى إما أن تساعد الدول الجديدة فى تقرير مصيرها وفى نهضتها ، هذه الدول التى خرجت عن نطاق الحدود الدولية التى كانت مستقرة، وإما أن تهب للدفاع عن الحدود الحديثة لمائتى دولة مستقلة .كلا المبدأين لهما أنصارهما وسط النخبة الأمريكية. فالرئيس الأمريكى واشنطن يعد رمزاً لمبدأ الانفصال والخروج من نطاق الإمبراطورية البريطانية وتقرير المصير لولايات أمريكا الشمالية، وفى الوقت نفسه كان الرئيس لينكولن تجسيداً للرفض الكامل لهذا المبدأ.

وكلا المبدأين كانا يطمحان للسيطرة على نظام العلاقات الدولية. من الجائز أن يكون مبدأ تقرير المصير القومى قد طرح على نحو أكثر وضوحاً من قبل الرئيس ودرو ويلسون من خلال الأربعة عشرة نقطة الشهيرة، والتى أعلنت فى يناير١٩١٨ وكان هدفها محدداً تماماً ـ القضاء علي العدوين متعددى القوميات: الإمبراطورية النمساوية المجرية والإمبراطورية العثمانية.وقد تحدثت المادة العاشرة من هذه الوثيقة عن تقديم أكثرالإمكانات المناسبة واللامحدودة من أجل النمو المستقل للشعوب (١) .

وهناك مبدأ آخر من المبادئ العشرة يتحدث عن قدسية حدود الدول ذات السيادة وعدم المساس بها. وقد اكتسب هذا المبدأ أهمية كبري بعد ظهور الحركة التحريرية الوحدوية Irredentism (*) التى نادى بها كما هو معروف كل من هتلر وموسوليني فى نهاية الحرب العالمية الثانية بهدف تعديل الحدود السابقة. فى نهاية عام ١٩٩٤ كتب الرئيس الأمريكى روزفلت قائلاً: أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تسعى جاهدة من أجل إنشاء منظمة دولية للأمن، يمكن للولايات المتحدة ومعها كافة الأعضاء من الدول الأخرى أن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على الحدود المتفق عليها (٢) .

(*)حركة التحريرية الوحدوية: حركة قومية ظهرت فى إيطاليا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واستهدفت ضم الأراضى المتاخمة والتى تسكنها أقليات إيطالية ولا تدخل فى نطاق إيطاليا (المترجم).

وعلى امتداد العقود التى تلت الحرب شاع انطباع أن الصراع بين هذين المبدأين قد انتهى بظهور المواد الواردة فى ميثاقى الأمم المتحدة وهلسنكى (١٩٧٥)، واللذين أعلنا حرمة حدود الدول الأوربية، وكانت الحكومة الأمريكية قد أخذت زمام المبادرة ووقعت على كلتا الوثيقتين الأساسيتين.

ثلاث ضربات هائلة فى قوتها اجتاحت خلال فترة قصيرة (١٩٩٠-١٩٩١) مبدأ أبدية الحدود ورسوخها.

١- فى الثانى عشر من يونيو ١٩٩٠ أعلن المجلس الأعلى لروسيا الاتحادية سيادة روسيا الاتحادية، الأمر الذى وضع خاتمة للاتحاد السوفيتى، وأدى إلى ظهور خمس عشرة دولة بدلاً من دولة واحدة كان العالم بأسره معترفاً بها.

٢- أعلن البوندستاج (البرلمان) فى ألمانيا الاتحادية التهامه للدولة الألمانية الثانية التى قررت الامتثال لمبدأ تقرير المصير القومى.

٣- فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ اعترفت الحكومة الألمانية بسيادة الشقين المتكاملين لجمهورية يوغسلافيا- سلوفينيا وكرواتيا، الأمر الذى سرعان ما أدى الى تفتت الدولة بأكملها لتتحول إلى ست دول جديدة (حتى الآن).

هذه التحولات الثلاثة الحادة، من هيمنة مبدأ وحدة الدولة إلى سيادة مبدأ تقرير المصير القومى، أدت بدورها لا إلى مجرد إعادة النظر فى خارطة أوربا وإنما إلى فتح صندوق باندورا (*) (مع الأخذ فى الاعتبار أن العالم به مائة دولة بها أقليات عرقية تزيد فى كل منها على مليون نسمة وهؤلاء هم الذين حددوا صورة القرن الحادى والعشرين). وفى حالة انتصار مبدأ تقرير المصير القومى فإن هذا القرن سيكون قرن ظهور ما يقرب من مائتى دولة جديدة بما ينتج عن ذلك من توابع، ولعل أوضح مثال لطبيعة هذه التوابع هو ما وقع فى يوغسلافيا من أحداث. وهكذا فإن واشنطن باعتبارها الحارس الرئيسى للوضع الراهن، تقف مباشرة - أكثر من أى دولة أخرى - أمام الخيار الصعب.

(*)باندورا : امرأة أرسلها زيوس عقابا للجنس البشرى ، بعد سرقة بروميثيوس للنار، وأعطاها صندوقا ما إن فتحته بدافع الفضول ، حتى انطلقت منه الشرور و الرزايا فعمت البشر ولم يبق فيه سوى الأمل. (المترجم)

كان على ألمانيا ـ بعد اعترافها بسلوفينيا وكرواتيا ـ أن تنتظرماسيسفرعنه هذا الاعتراف ؛ فحلفاؤها من الأوربيين والأمريكيين لم يخونوا بعد مبدأ وحدة الدولة.أما الاتحاد الأوربى فقد قام بإنشاء لجنة برئاسة (روبير بادينتير) المختص الفرنسى فى القانون الدستورى ، والذى انتهت توصياته إلى أن الأهداف التى تقف وراء ضرورة الحفاظ على السيادة القومية يمكن تحقيقها فى حدود الدولة القائمة وليس المطلوب بناء دولة مستقلة، وقد أوصت اللجنة بشكل لايقبل الجدل الاتحاد الأوربى برفض الاعتراف بالسيادة السلوفينية والكرواتية:

فالسيادة ينبغى تناولها باعتبارها مبدأ ينبثق من الدفاع عن الحقوق الفردية للإنسان . إن الدفاع عن حقوق الجماعات لا يبرر مطلب إعطاء الحقوق لدولة مستقلة بعينها (٣).

يعد كل من الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية و سايروس فانس المبعوث الخاص للأمم المتحدة فى يوغسلافيا والوزير السابق للخارجية الأمريكية وأخيراً اللورد كارينتون رئيس مؤتمر السلام لشئون يوغسلافيا من المؤيدين لوجهة النظر المنادية بعدم السماح بالتضحية بمبدأ الوحدة الإقليمية. وقد حذر بيريز دى كويار الأمين العام للأمم المتحدة من خطورة اعتراف الغرب السابق لأوانه بسيادة سلوڤينيا وكرواتيا الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى اشتعال الصراع . وفى هذا الشأن اتخذت الحكومة الأمريكية موقفًا صارمًا من الانفصال، ورأت واشنطن أن من الضرورى التقيد بتجديد الاتحاد، وقد حذر چيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى رسميًا من اتخاذ مواقف من جانب واحد : و أشار إلى أن الإدارة الأمريكية لن تعترف بتصرف أى جمهورية من الجمهوريات تحاول من خلاله أن تعلن استقلالها بشكل منفرد (٤). كانت أمريكا ـ شأنها شأن كل دول العالم المتحضر ـ على استعداد لدعم المساواة السياسية لكافة المواطنين ، لكنها كانت ترفض مقولة أن الهوية الثقافية والمصالح الاقتصادية يمكن تلبيتهما بواسطة إقامة دولة مستقلة.

على أن كل هذه التصورات لم توقف ألمانيا؛ فمن أجل تلبية حاجاتها الداخلية شوهت الحكومة الألمانية الصورة الشاملة للأحداث ، وأصبحت الحركات العرقية

القوميـة الساعيـة لإقـامـة دول مستقلة عن طريق الانفصال عن يوغسلافيا، يتم تصويرها على أنها ضحيـة للعدوان الصربي الخارجي الرافض لحق تقرير المصير، الأمر الذى أثار موجـة من التعاطف نحـو مواطنى سلوفينيا وكرواتيا الفارين من السجن ، كما أثار فى الوقت نفسـه الكراهيـة تجاه زبانيـة الصرب. على أن أى من الصحف المؤثرة لم تشر فى هذا الوقت الحرج إلى أن مستوى المعيشة فى سلوفينيا - على سبيل المثال - كان ضعف مستوى المعيشـة فى صربيا، وأن معظم السكان السلوفينيين كانوا يشعرون بأنهم يعيشون فى دولة كبرى.

لقد أعلن وزير الخارجية الألمانى عن نية ألمانيا الاعتراف بشطرى الدولة المستقلة خلافًا لتقرير بادينتير المسمى بمبادئ الاعتراف بالدول الجديدة فى أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى ، وخلافًا للرأى الذى عبر عنه كبار رجال الدولة فى الولايات المتحدة أيضًا فقد أصر هنرى ديتريش جينشر على أن بون اختارت جانباً واحداً من جوانب الصراع وأن سلوك الصرب يدفعه للتصرف بشكل محدد.لقد استغلت ألمانيا ثقلها من أجل إجبار الاتحاد الأوربى على اتباع المثال الألمانى فى دعم مبدأ المصير القومى فى دولة متعددة القوميات. ويعبر الباحث الأمريكى كارل هودج عن حزنه إزاء ذلك بقوله خلال بضعة أيام بعد اعتراف بون ، عادت النغمة الكريهة القديمة بشأن العرقية القومية النازعة للتحرر الوحدوى لتغرق صوت العقل (٥). وتصل شاهدة العيان سوزان وودورد مؤلفة أكثر الكتب اكتمالاً حول المأساة اليوغسلافية إلى استنتاج واضح مفاده أن الغرب بعد أن قبل الصراع حول تقرير المصير القومى تجاهل القوى المناهضة للقوميين الراديكاليين وأساء إليها، بل إنه شجع بشكل غير مباشر الأحلام الكبرى للمتطرفين القوميين (٦).

أما الرئيس الفرنسى ومعه رئيس وزراء بريطانيا فقد فضلا نسيان أن أسلافهما لويد جورج وكليمنصو هما اللذان أسسا يوغسلافيا الكبرى فى عام ١٩١٨، وأن تشرشل وقف عام ١٩٤٥ وراء تيتو ليسانده فى إعادة إعمار يوغسلافيا التى دمرها الألمان، وجاء الأحفاد لترتبط أسماؤهم ببناء أوربا الغربية.

كتب هورج قائلاً: لقد استغلت حكومة كول القوة الجديدة التى اكتسبتها من وراء الوحدة الألمانية فى الأزمة اليوغسلافية... وقد ارتكبت حكومة كول خطأ جسيما عندما فضلت الحقوق الفردية الشخصية فى مبدأ شرعية إقامة الدول فى أوربا بعد انتهاء الحرب الباردة.

إن السياسة الخارجية المسئولة فى نهاية القرن العشرين ينبغى عليها أن تنظر إلى الحكم الذاتى باعتباره أداة سياسية لتحقيق حقوق الأخر لا باعتباره هدفاً فى حد ذاته... وبقدر القليل الذى استخلصته أوربا من دروس القرن العشرين؛ فهى لم تصم حق تقرير المصير باعتباره خطأ أو غثاء طاف على سطح السياسة العرقية القومية (٧).

لقد أخفى هنرى ديتريش جينشر مبدأ تقرير المصير وسط مبادئ إنسانية عامة أخرى، على أنه قد أصبح واضحاً بالنسبة لأوربا كلها وللعالم من هو أكثر الأقطاب دعماً للحكم الذاتى القومى من ناحية النقاء العرقى . لقد أصبح المبدأ السائد بين غالبية الدول الجديدة الاثنتى والعشرين التى ظهرت محل الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا هو المبدأ الألمانى القائل بقرابة الدم، والذى رفض تجربة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا فى التعددية القومية، ومن ثم فقد اقتفت أثر مبدأ المركزية العرقية الألمانى. ومنذ اللحظة الأولى أضحت سياسة المركزية العرقية التى تنتهجها ألمانيا الاتحادية هى السياسة التى يرفع رايتها أصحاب تأكيد الذات عرقياً من شركاء ألمانيا الأوربيين ، بل لم يعد بمقدور الدول المستقلة الجديدة أن تفكر حتى فى الثنائية اللغوية الرسمية البلجيكية الفنلندية والكندية ولا فى غيرها من مظاهر الاحترام الأخرى للأقليات فى الدول الجديدة.

إجمالاً لم يعد بالإمكان بعد المبادرة الألمانية رفض الخطط الألمانية باستثناء مواجهة هذه الخطط من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذه المواجهة لم تحدث لعدة أسباب من أهمها: مباركة واشنطن التى رحبت بزعيم أوربا الجديد ، بل وقدمت المساعدة لمبدأ تقرير المصير القومى (خلافاً للندن وباريس) .

شكوك الأمريكيين

لم تكن المساعدة غير المشروطة التى قدمتها إدارة چورج بوش تعنى غياب الشكوك فى دولة لينكولن ؛ ففى الوقت المناسب قام السيناتور دانيال باتريك موينيخين بتذكير مواطنيه بأن الرئيس ودرو ويلسون قد استخدم مبدأ تقرير المصير عام ١٩١٨ بهدف محدد هو تقليص الخصوم من أصحاب الجنسيات المتعددة باعتبار ذلك جزءاً من دبلوماسية زمن الحرب لقد حول أتباع التسعينيات السلاح الشرعى للدبلوماسية العسكرية إلي نتاج غير شرعي للنزعة القومية ودمروا القشرة الرقيقة للحضارة، وأطاحوا باتفاقية هلنسكى لعام ١٩٧٥ بشأن الأفضلية المطلقة لمبدأ سيادة الدولة والحدود الأوربية النهائية ، وقد كتب موينيخين عن الدرس العظيم للقرن وعن أن الأقليات ترغب فى تقرير مصيرها وترفض تقرير الآخرين لمصيرهم (٨).

دخل النظام العالمى إلى القرن الحادى والعشرين بعد أن ظهرت المشكلة الأريترية، وبعد أن صوتت أسكتلندا وويلز لصالح إنشاء برلمانين مستقلين، ومرة أخرى تنفجر الأحداث فى أيرلندا الشمالية وتندلع الحرب مع الأكراد وتسقط كشمير فى أول الحرب، ويدور الصراع على الملأ فى كوسوفو ، يصبح واضحاً للجميع أن الصراعات العرقية قد حلت محل المواجهة الكبرى بين الشرق والغرب. ونستطيع وبكل جسارة أن نشارك هيرست هانوم من جامعة تافت استنتاجه القائل بأن مبدأ وحدة الأرض ما يزال يحظى بالاحترام، على أن انهيار الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وإثيوبيا على مدى عقد واحد هو فى رأى كثير من الدول المتقدمة التى تنادى بحق تقرير المصير القومى أهم سابقة فى هذا المجال (٩) .

ترى ما التنبؤات التى يحملها لنا القرن الحادى و العشرين ؟ يعترف غالبية المتخصصين فى الغرب أن خبرة مائة عام من التفاعل بين حركات تقرير المصير القومى والديموقراطية ما تزال تمثل إشكالية كبرى (١٠) . وفى هذا السياق فإن دبلوماسية بون - على الأقل - قد خلقت سابقة لا مثيل لها...لقد وصلت الرسالة التى تعنى أن مبدأ تقرير المصير يمكن أن يقضى على الدولة متعددة القوميات وبطريقة شرعية إلى كل من لوبليانا وزغرب وإلى كل من تمنى هذا المبدأ (١١). أما أفضل

وسيلة للحصول على دعم هذا المبدأ فيمكن تحقيقها عن طريق إثارة حرب دفاعية والحصول على تعاطف دولى معها، تعاطف يتخذ شكل الاعتراف الدبلوماسى بشرعيتها (١٢) . وحتى الآن على الأقل ما يزال غير واضح ما إذا كانت ستظهر فى الأفق إرادة سياسية جماعية للدول المتحضرة، من شأنها أن تتخذ موقفا يميل إلى معايير الحقوق المدنية التى تحمل فى مضمونها مبدأ تقرير المصير، والذى يتطلب إضفاء الشرعية على الدول ذات السيادة (١٣) ، فلا المحامون الدوليون ولا المؤرخون يرون إمكانية إعداد معايير مجربة ومضمونة بإمكانها أن تبرر النزعة الانفصالية، وما يزال الاتجاه العام لتفكير المتخصصين يتخذ المنحى التالى: من الضرورى استمرار اتخاذ الإجراءت التعويضية التى تبدأ من الدفاع عن حقوق الفرد، ثم تنتقل إلى الدفاع عن حقوق الأقليات الذى ينتهى بالانفصال فى الحالات القصوى (١٤) . هل يستحق الأمر فى مثل هذه الأحوال اللجوء إلى العنف الثورى ؟

فى هذا الصدد لا تخامر كارل بوبر ـ أيديولوجى الفلسفة العنصرية– أية شكوك فى أن النزعة القومية تثير غرائزنا المتأججة ، وتخاطب الهوى الكامن فى نفوسنا، كما تستثير الخرافات والحنين الجارف للتحرر من ثقل المسئولية الفردية (١٥) . أما العالم الإنجليزى البارز فى هذا المجال – ألفريد كوبان –فهو لا يسلم بهذا اللبس ؛ إذ يرى أن تقرير المصير أمر فقد جذوره التاريخية (١٦) . ويؤكد أنطون سميث أحد الخبراء المشهورين فى هذه القضية أن ظهور دول جديدة الواحدة تلو الأخرى من شأنه أن يؤدى إلى ظهور تيار واسع من اللاجئين والمهاجرين الذين فقدوا طريقهم فى الحياة(١٧) .

وحتى ودرو ويلسون المنادى بتقرير المصير يفترض أن توافر كل الحقوق السياسية لدى مجموعة من السكان فى الانشقاق الاختيارى والانتخاب الطوعى وتقرير المصير داخلياً أمور كافية للدفاع عن الأقليات. ويشير الأمريكيون ذوى النفوذ بكل ثقة إلى أهالى كتالونيا وأسكتلندا وويلز والتاميل الهنود وكويبك. علي أن ترك مسألة تقرير المصير القومى على ما هى عليه الآن باعتبارها ادعاء غير حكومى يقف على قمة أولويات التسعينيات ودون إيلائه الأهمية الكافية، وسيكون بلا شك أمر

سابق لأوانه. إن أول حملة سيقوم بها أصحاب اللون البرتقالى يجوبون فيها الأحياء الكاثوليكية سوف توقظ الفتن القديمة من مرقدها.

عندما يبلغ الضعف الثقافى ذروته يهرع كهنة السلام و الرفاهية إلى الاستفتاءات العامة، كما لو كانوا قد فقدوا الإحساس تماماً بأن حامل القانون الثقافى الحالى سوف يعطى فى هذا الاستفتاء إجابة لا علاقة لها بالسؤال المطروح ، وإنما سوف يجيب عبر مشاعره إذا ما كان يحب عشيرته ولغته وتقاليده، وبالطبع فإن من الجلى أنه وحتى قبل إجراء أى استفتاء يكون قد أجاب بأنه يحب عشيرته ولغته. إن المواطن يتصرف لابوصفه منتمياً لوطنه، وإنما كابن مخلص لعرقه ، ومن ثم فإن من المستحيل أن تنزع عنه مشاعر البنوة هكذا ببساطة . على أن هذا المواطن لن يصوت لصالح المتطرف الذى سيقوم فى المستقبل باستغلال حبه الطيب أو غير الطيب، والذى سيحول ارتباطه بعشيرته إلى عداوة نحو الغرباء.

إن على أمريكا ببساطة أن تفكر فى هذا العالم الذى تمتلك فيه مقومات كل هذه القدرة الجبارة. إن خبرة التعايش الإنسانى تستنكر هذا العمل الذى اتضح أنه دموى والذى قضى على أرواح تفوق فى عددها ما أزهقته الحرب الباردة بأسرها. سوف يخبرنا تاريخ أى شعب ما من دولة على كوكبنا تقريبا إلا وتأسست نتيجة للغزو. ترى هل يعنى هذا أن البشرية لم تتعلم أن مفهوم الحضارة هو مصطلح موجود فى الموسوعات لكى يقول لنا إن الدماء التى أريقت فى القرون السابقة هى السبب فى إراقة دماء جديدة اليوم ؟ لم يكن بمقدور أى شخص فى أى وقت من الأوقات (ولن يكون بمقدوره) أن يحدد حجم الثمن الذى ينبغى على الغزاة دفعه جزاء ما اقترفوه من ظلم على مدى امتداد القرون الماضية.إن المساواة المدنية هى الثمن الحقيقى وليس علي الإطلاق الحق فى تدمير العالم العاطفى والفكرى والثقافى والاقتصادى، الذى سيتم بناءه مستقبلاً بدماء البناة والمدافعين وليس بدماء المجرمين التاريخيين. يقول تشرشل إذا دخلنا فى صراع مع الماضى، فإننا سنفقد المستقبل .

تراهن الولايات المتحدة الأمريكية على المستقبل ، وسوف تواجه كل الأطراف الرئيسية والمنظمات الدولية الموجودة على الساحة الدولية فى القرن الحادى والعشرين، بدءا من الأمم المتحدة ضرورة تنظيم علاقاتها تجاه قوى الطرد المركزى فى عالمنا المعاصر، وإذا لم يتم الآن العثور على القواعد الأساسية فى هذه العلاقات ، فلن تكون هناك حدود لرد الفعل النووى للانهيار العرقى . وتبعاً لرأى هانوم فإنه من الضرورى رفض التأكيدات القائلة بأن كل شعب مميز عن الشعب الآخر إما عرقياً أو ثقافياً، وأن الأمة أو الجماعة العرقية تمتلك تلقائياً الحق فى إقامة دولتها المستقلة، أو أن من المقبول فى حد ذاته إقامة دول منحدرة من أصول عرقية واحدة وحتى فى هذه الظروف التى يتم فيها الحفاظ على الحقوق المدنية، فإن النظام العالمى للدول القائمة على المبدأ العرقى بشكل أساسى أو على ادعاءات تاريخية لا يمكن تحقيقه بشكل محدد (١٨) . على أية حال فإن انعزال أى قومية إنما يعنى سقوطها فى المحيط العرقى للأقليات العرقية الجديدة. ومن جديد سوف تستقر الأغلبية العرقية لتعيد صياغة معتقدها القديم: الحصول علي حقها لا بفضل المساواة ، وإنما بفضل الانفصال.إن المجتمع الدولى لم يعترف إطلاقا بما يسمى حق الانفصال باعتباره معيارا ما ، وحتى القانون الدولى لا يطابق الشروط التى يمكن بمقتضاها الدفاع عن هذا الحق مستقبلا . على سبيل المثال، نجد أن شمال قبرص بصفته الجديدة ، سوف يستمر زمنا أطول مما لو عاش الأتراك واليونانيون فى مجتمع واحد، على أن المجتمع الدولى لم يعترف بعد بالدولة القائمة فى شمال قبرص، كما أنه يرفض الاعتراف بضم تيمور الشرقية إلى إندونيسيا، ولا يؤيد المغرب فى مطالبتها بالصحراء الغربية.

والآن يبدو لنا أن الذين ظلوا على مدى العقود الأخيرة ينادون بنهاية التاريخ ، ويتغنون بالعصر الذى تعتمد الدول فيه بعضها على بعض وعلى عولمة التطور الدولى وعلى الإنترنت و C.N.N وعلى توحد العالم اقتصاديا وإعلاميا كانوا واهمين. لقد اتضح أن التحديث السابق لأوانه للوعى أمر منقطع عن الواقع. ويتلخص هذا الواقع

فى أن العالم بعد أن وقف فى مواجهة سيطرة مبدأ تقرير المصير القومى قد جعل من القرن الحادى والعشرين القرن الذى ستظهر فيه على الخارطة مائتى دولة أخرى، ومن ثم سوف تكون عملية تكون هذه الدول (وليس الإنترنت) هى محور وجود جيلنا وجيلين آخرين بعده .

إن جزءاً محدداً من المؤسسة الأمريكية قد بدا بالفعل فى الاستعداد الجاد لمواجهة هذا المنعطف فى تاريخ البشرية وقبول مرحلة تقرير المصير باعتبارها أمراً حتمياً. وحتى جريك فوللر الرئيس السابق للمجلس القومى لشئون الاستخبارات بوكالة المخابرات المركزية لم تساوره أية شكوك بشأن المستقبل ؛ فقد أعلن أن النظام العالمى المعاصر للحدود الدولية القائمة دون وضع إلا أقل القليل من الاعتبارات للرغبات العرقية والثقافية للسكان الذين يعيشون فى نطاقها، هو نظام عفا عليه الزمن. إن القوى الناهضة ذات النزعة القومية والراغبة فى تأكيد هويتها الثقافية، قد استكملت استعدادها لفرض ذاتها. أما الدول غير المؤهلة لتعويض ما وقع من ظلم فى الماضى، وتحقيق آمال المستقبل فسوف يكون مصيرها الدمار ليست الدولة - الأمة الحديثة، وإنما الجماعة العرقية المحددة لذاتها هى التى ستصبح مادة البناء الاساسية للنظام العالمى المقبل . ويفترض فوللر أن عدد الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة سوف يتضاعف ثلاث مرات خلال القرن، ولن يصبح بالإمكان وقف هذا التيار؛ فعلى الرغم من أن الدولة القومية هى دولة اقل استنارة - من حيث شكل التنظيم الاجتماعى ومن حيث وجهات النظر السياسية - الثقافية والاجتماعية والاقتصادية - من الدولة متعددة العرقيات فإن وجودها وسيطرتها هما أمران حتميان.

إن الأمريكيين الذين يفكرون فى المستقبل يدركون أن تحويل نظرة العالم باتجاه سيادة نزعة المركزية العرقية لن ترحم أحدا . على سبيل المثال فإن وجهة النظر السائدة هى وجهة النظر التى تقول إنه بعد الانهيار المحتم للنظام الشيوعى فى الصين لن يكون بمقدور بكين التمسك بسكان التبت والأيجور والمنغول فى إطار دولة واحدة. وكذلك الهند بالنسبة لكشمير . وهذا فقط هو قمة جبل الجليد ؛ إذ إن كل الحدود الدولية الحديثة هى من الناحية العملية تعد حدودا مصطنعة (بما فى ذلك،

على سبيل المثال، تلك الحدود الأمريكية التى بدا بعد لينكولن أنها حدود راسخة ، وذلك باعتراف عدد من الأمريكيين أنفسهم) . وإذا لم تتوقف هيمنة مبدأ تقرير المصير القومى، وكذلك إضفاء طابع الغزو الديمقراطى عليه، فإنه يمكن التنبؤ ببساطة بمصير التاميل والماى والفلسطينيين وغيرهم.

إن الدولة ذات السيادة هى الضحية الأولى للتحول العالمى الحادث ، فالدول التى نالت استقلالها حديثا معرضة للانهيار فورا إذا ما اتجهت فى الحقيقة ناحية مبدأ سيطرة تقرير المصير القومى ، ومهما مالت هذه الدولة ناحية العولمة باعتبارها منقذا لها ففى العولمة هناك حتما الرابح والخاسر ، أما فى وجود سيطرة فكرة تقرير المصير، فإن هذه الفكرة سوف تسرع فقط من الانهيار باعتباره أسلوب الحياة الذى ستنتهجه البشرية فى القرن الحادى والعشرين .

لم يضع المؤيدون لمبدأ تقرير المصير فى حسابهم ما ينتظرهم من خسائر تمثلت فى زيادة البطالة وانهيار الاقتصاد فى المدن وإهمال البيئة واتخاذ الحياة مظهرا بدائيا وعدم ملاءمة اللغة الحكومية الجديدة لمعايير الحضارة التقنية المعاصرة وسقوط التكافل الاجتماعى وما إلى ذلك من خسائر. لعل أكثر ما يثير الحزن هو أن نهاية هذه العملية لا تبدو قريبة حتى الآن. يتساءل الخبير الأمريكى قائلا: لقد حصلت چورچيا الصغيرة على استقلالها من موسكو، وسرعان ما يطالب الجزء الشمالى الغربى منها، ونعنى به أبخازيا بالاستقلال. ترى من الذى يمكنه أن يضمن ألا يطالب شمال أنجازيا المسلم بالاستقلال عن جنوب أنجازيا المسيحى ؟ [٢٠]. وماذا عن إسكيمو الشمال فى كويبك ؟ إن مبدأ تقرير المصير إذا ما أخذ باعتباره هو الأساس، فلن يكون هناك عندئذ أى إجماع بشأن من نعطى ومن لا نعطى صفة الدولة. يقول الأمريكيون ذاتهم إن الرئيس الأمريكى كلينتون لن يرسل الجيش إلى كاليفورنيا ، أما لينكولن فقد عاش فى زمن ساد فيه مبدأ آخر. وإلى جانب ما سبق فالدولة الآن، فى ظروف وجود كل هذه التكنولوجيا الجبارة والمتطورة، عرضة للسقوط، وخاصة إذا ما تجاوزت قوة الأقلية المشبعة بروح الاعتداء المعيار الإنسانى . ولو أن الحكومة المركزية ذاتها اعترفت بسيطرة مبدأ تقرير المصير القومى، فسوف يكون من العسير عليها العثور

على جنرال آخر مثل شيرمان ، وحتى إذا ما وجدته فإنه لن يحرق أطلانتا ، لأنه سيكون فاقد الأهلية منذ اللحظة الأولى .

على أن قطاعا من الخبراء الأمريكيين يدعون الدول الكبرى بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية (التى تميل إلى البحث عن الاستقرار فى أى شكل من أشكاله، حيث إن هذا الاستقرار يكفل الدفاع عن الوضع الراهن المفيد) إلى التوصل لإدراك حقيقة أن الحدود الدولية سوف تتغير حتما تغيرا جذريا [٢١]؛ فهل من المتعذر إعادة الأمر إلى نصابه ؟ إن على الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ قرار صعب ، ولكنه ضرورى: فإما العودة إلى الوحدة الإقليمية للدولة المستندة إلى منظمة الأمم المتحدة، وعلى وحدة الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن التابع لهذه المنظمة وإما تقرير المصير القومى.

إن الإستراتيجية الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين تقف أمام الخيار. «إن هذه الإستراتيجية (وفق تعريف ستيفان بلانك البروفيسور بالكلية العسكرية الأمريكية) تبذل محاولات لإزاحة معضلة الاختيار الصعبة بين الوحدة الإقليمية للدولة وتقرير المصير جانبا»[٢٢] .

مراجع الفصل السابع

1- أرشيف العقيد هاوس . موسكو ، ١٩٣٩ . المجلد الثالث ص٢٣٦ .

(إدورد ماندل هاوس (١٨٥٨ – ١٩٣٨) مستشار الرئيس الأمريكي ويلسون شارك في إعداد النقاط الأربعة عشرة ومقترحات تأسيس عصبة الأمم (المترجم)

2-Harriman A.and Abel Special Envoy to Churchill and Stalin. 1941-1946. N.Y.,1975.p.175.

3-Gow J. Shared Soverenity , Enhanced Security : Lesson from the Yugoslav War / S. Hashmi (ed.). State Sovereignty: Change and Persistence In International Relations . Pennsylvania University Park. 1997 .P.159-166.

4-Barker j. The Politics of Diplomacy . War and Peace , 1989-1992.N.Y.,1995.P.482-483.

5-Hodge C. Botching the Balkans : Germany's Recognition of solvenia and croatia / / Ethics of International Relations. Summer 1998 .P. 14.

6-Woodword S.Balkan Tragedy : Chaos and Disselution after the Cold War.Washington,1995.P.147.

7-Hodg C. Op.cit.189.

8-Woodward S.op.cit.P.189.

9-Hannum H. The Specter of Secession. Responding to Claims for Ethnic Self-Determination // Foreign Aaffairs. March-April 1998.P.13.

10-Hodge C.Op.cit.P.13

11-Bunchheit L. Secession : The Legitimacy of Self - Determination . New Hawen, 1978, P.222.

12-Crawford B. Eexplaining Defection from International Cooperation : Germany's Unilateral Rcognitinon of Croatia // World Politics . July 1996.P.482-521.

13-Fuller G.Redrawing the World Borders //World Policy Journal. Spring 1997 .P. 11

14-Worled Policy Jornal . Spring 1997.P.16.

15-Popper k. The Open Society and Its Enemies . Princeton, 1963. Vol. 2. P 49.

16-Cobban A. The Nnation State and National Self - Determation. N.Y., 1970.P.280.

17-Smith A,The Ethnic Origins of Nations. Oxford , 1986. P.219.

18-Ibid . P. 16.

19-World Policy Journal . Summer 1998 . P. 30.

20-Fuller G. Op. cit. p. 17

21- Ibid . P. 19.

22-Blank S. Draft and Mastery // European Security. Autumn 1997. P.3.

الفصل الثامن
شكوك الدولة العظمى

لكى تحافظ الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين على موقع الزعامة فى المنظومة العالمية يجب عليها التضحية بمواطنيها الأمريكيين والاستعداد لدفع الضرائب وإرسال أبنائها فيما وراء المحيطات ؛ فهل أمريكا مستعدة لتقديم مثل هذه التضحيات التى "لا مفر منها ؟ مع نهاية الحرب الباردة بدأ هذا الاستعداد يفتر أكثر فأكثر، وقد أجرت مجلة تايم الأمريكية دراسة عام ١٩٩١ أثبتت أن ٧٦٪ من الشعب الأمريكى يعارض قيام أمريكى بدور شرطى العالم. فيما أثبت استطلاع رأى آخر أجراه مجلس العلاقات الدولية فى شيكاغو وجود رغبة شديدة عند غالبية الشعب الأمريكى فى تقليص الوجود العسكرى الأمريكى خارج الولايات المتحدة (١).

مذهب الانعزالية الجديد

إذا كان أحد لم يشك فى الماضى فى صواب السياسة الخارجية النشطة فإنه وعلى أعتاب القرن الحادى والعشرين أصبح من الواضح أن الدولة الأمريكية تهتم أكثر بقضاياها الداخلية ؛ فقد شهدت الانتخابات التكميلية لاختيار عضو مجلس الشيوخ عن ولاية بنسلفانيا لعام ١٩٩١ قيام الديمقراطى هـ -ووفورد بعد فوزه على منافسه الجمهورى الذى غلبت القضايا الخارجية على الداخلية فى برنامجه برفع شعار «دعونا نفكر فى أنفسنا قبل كل شىء». و آنذاك كتب ووفورد فى مجلة «فورين بوليسى» «أن العالم يهمه بالدرجة الأولى أن تقوم الولايات المتحدة بحل قضاياها الداخلية» (٢) ، هذا التطور داخل الديمقراطية كان له آثار كبيرة ؛ فقد قام كل من رشح منهم لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك برفع شعارات الانعزالية الجديدة فى حين اعتبر النواب ت . هاركين و ر.كيرى ومحافظ فيرچينيا تغيير أسبقية السياسة الخارجية أساسا لحملتهم الانتخابية فى عام ١٩٩٢ .

وكان ب . بيوكينين أكثر من رفع شعار الانعزالية الجديدة داخل حزب الجمهوريين المنافس ؛ فهو يرى أن المهاجرين يهددون الوحدة الثقافية والمصالح

الاقتصادية لأمريكا ، كما أن المنافسة من جانب المهاجرين على الوظائف تولد مشكلة البطالة ، علاوة على ذلك فإن المساعدات الاقتصادية التى تقدمها الولايات المتحدة للدول الأجنبية والمؤسسات الدولية تشكل عبئا على موارد الدولة. ويقوم حلفاء أمريكا بإرغامها على القيام بسياسات ضد مصالحها الخاصة ، والإجراءات الواجب اتخاذها تتمثل فى توفير الحماية الاقتصادية ورفض تقديم مساعدات خارجية وفرض قيود شديدة على الهجرة والعمل على تحجيمها، كما يجب استخدام القوات المسلحة الأمريكية فقط فى الأماكن التى تتعرض المصالح الأمريكية فيها للخطر. لا يوجد معنى لإنشاء أى نظام عالمى جديد ؛ حيث إن هذا سيكون إجراء مكلف للغاية وفاشل حتى فى ظل التفوق الأمريكى الساحق على الساحة العالمية ، كما أنه سيستقطب الموارد الوطنية المهمة.

إن «ثورة الانعزال» التى يقودها ب . بيوكينين هزت بشدة حزب الجمهوريين؛ حيث أظهرت قوة هذا الاتجاه داخل الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة. إن بيوكينين الذى كتب فى السابق خطابات الرؤساء نيكسون وريجان توجه بنداء ودعوة لإعادة القوات الأمريكية من قواعدها خارج أمريكا ورفض المشاركة فى أى عمل عسكرى خارج حدود الوطن ووقف أى مساعدات خارجية وعدم تقديم أى معونات مالية لصندوق النقد الدولى والبنك الدولى والتعامل مع اليابان وأوربا باعتبارهما خونة وتركيز الاهتمام على مصلحة أمريكا فقط. وحتى السيد و . هايلز المعروف باعتداله يعترف بأن حملة ب . بيوكينين لم تكن مزاحا ، وأن هذا الرجل قد لمس أوتاراً حساسة عند كثير من الأمريكيين (٣).

ويصف السيد د . روتكويف الأستاذ بجامعة كولومبيا الموقف قائلا : لقد تجمع كل من ليمينيين واليساريين فى كل من الحزبين السياسيين الرئيسيين فى حلف واحد يدعو إلى الانعزال، هذا التحالف أعاق بشكل كبير الاتجاه السياسى الذى استمر لنحو ستين عاما ، والذى يهدف لتوسيع نطاق التجارة الحرة ، وأصبح هذا التحالف يركز أكثر على التغلب على التهديدات أكثر من تحقيق آمال من خلال إقامة علاقات مع دولة هامة مثل الصين أو غيرها من الأسواق المحورية الأخري. وهذا التحالف وضع

نصب عينه استغلال كل الامكانات المتاحة للانسحاب من المشاكل العالمية ووقف استغلال الإمكانات الأمريكية لفرض زعامة مؤثرة ، وهناك خطر جاد يتعلق بعدم قدرة أمريكا مستقبلا على مواجهة هذا التحدى بالشكل المناسب [٤].

وإبان الانتخابات الأمريكية التى أجريت عام ١٩٩٢ كانت النجاحات فى السياسة الخارجية التى حققها چورچ بوش تمثل نقطة ضعف بالنسبة له وليس ورقة رابحة. وانتشرت في هذه الفترة –وبشكل واسع – شعارات راديكالية مثل «السياسة الأمريكية يجب أن تسير وفقا لمصالحها الوطنية الخاصة» [٥] ، واكتشف الرئيس چورچ بوش هذا الاتجاه فى المرحلة الأخيرة فقط من حملته الانتخابية ؛ فقام بإلغاء زيارته لآسيا بسرعة ، وأصبح فجأة يتحدث عن توفير وظائف جديدة وحول الميزانية وتوقف عن المطالبة بمساعدة روسيا.

وقد حاز روس بيرو الذى انقسم الجمهوريون حوله على تأييد واسع وسط الأمريكيين الفقراء الذين لم يرضوا عن سياسة قادتهم الأممية ، وذلك بفضل سياسته نحو الانعزالية الجديدة (حيث دعا لمقاطعة حتي منظمة التجارة الحرة لدول شمال أمريكا) وقد قام الرئيس المنتصر بيل كلينتون بتكريس خطاب انتخابى واحد فقط للحديث عن السياسة الخارجية. وكان شعاره الرئيسى ، والذى لقى انتشارا هو «السر يكمن فى تحسين الاقتصاد» ، واقترح كلينتون تقليص الاعتمادات المقررة لتحقيق أهداف سياسة خارجية ، كما قلص الكونجرس هذه الاعتمادات أيضا مما أعطى هذا القرار تأييدا شعبيا واسعا. وقد اجرى مجلس العلاقات الدولية فى شيكاغو استطلاعا للرأى فى فبراير ١٩٩٥ بين السكان حول أهم ثلاث قضايا تشغل السياسة الخارجية الأمريكية. وكان جواب الكثيرين منهم يبعث على الصدمة: التدخل الزائد عن الحد فى شئون الدول الأخري، الإسراف فى تقديم مساعدات خارجية، والهجرة غير الشرعية بينما أثبت استجواب جيل لاب أن مشكلة تقليص المساعدات الخارجية تمثل المكانة الرئيسية. وأصبحت أمريكا بشكل واضح تبتعد عن القضايا الخارجية كما ابتعدت الطبقة العليا المثقفة فى أمريكا أيضا عن مبدأ الأممية والاهتمام بالقضايا الدولية. و من بين أهم المفكرين الذين عارضوا فكرة تورط أمريكا فى شئون دول

أخرى يمكن أن نذكر الاقتصادى ل. تورو من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا والاقتصادى أر . هيلبرونر والرئيس السابق للوفد التجارى الأمريكى فى المحادثات الدولية ك . بريستوفيتس. إن هؤلاء على وجه التحديد شكلوا فى الولايات المتحدة ما يمكن تسميته بحركة «القومية الجديدة» .

هذه الحركة تتمتع بدعم فكرى قوى وتعمل على تفسيره ونشره معاهد بحثية بأكملها ، كما تؤيده وتدعمه قطاعات صناعية عانت من المنافسة الأجنبية مثل صناعة الحديد والصلب الأمريكية وصناعة السيارات والغزل والنسيج ، كما تقف خلفها نقابات أمريكية على مستوى تنظيمى عال وكذلك مناهضو الهجرة وأعضاء منظمات حماية البيئة.

ويخشى جزء من رجال الأعمال الكبار المنافسة الأجنبية كما تخشى النقابات فقدان الوظائف فى حين يعتقد أعضاء منظمات البيئة أن فتح البلاد أمام الأجانب من شأنه أن يضر بالبيئة المحيطة.

إن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة مثل إنهاء «جولة مباحثات أورجواى» فى إطار اتفاقية الجات والاتفاق مع المكسيك وكندا حول منطقة التجارة الحرة (نافتا) وعدم القدرة على إيقاف تيار بضائع جنوب شرق آسيا كل هذا يولد دافعا قويا للابتعاد والتوقف عن السياسة السابقة بالاندماج الواسع فى العالم الخارجى. ويعتقد د. جوردون الاقتصادى أن النصيحة التى قدمها الخبير جيمس كينز لبريطانيا فى الثلاثينيات هى الأنسب بالنسبة لأمريكا حاليا، وهذه النصيحة تتمثل فى تحقيق الاكتفاء الذاتى «علينا أن نبدأ العمل على تحويل أمريكا إلى اقتصاد عملاق مستقل عن العالم ، ويجب أن نجد شكلا من الاكتفاء الذاتى.... لسنا مضطرين للسعى وراء الزعامة» . ويؤكد أ. تونيلسون نفس هذا الرأى قائلا بأن الاستقرار السياسى العالمى يمكن تحقيقه «فقط فى عالم شبيه بعالم القرن التاسع عشر لا تنفق فيه أمريكا عسكريا للحفاظ على أمن حلفائها ، الأمر الذى يؤدى إلى إضعافها» .

إن مؤسسى نظرية الانعزالية الجديدة والمعبرين عنها ينطلقون من مقدمات أساسية متباينة بشدة. أول هذه المقدمات : يتمثل فى الاعتراف بالأهمية القصوى لحالة

الاقتصاد الأمريكي. مشكلات التضخم المطرد وتقلص الموارد المادية للولايات المتحدة الأمريكية. ويعتقد أنصار سياسة الانعزالية الجديدة أنه «في الوقت الذى تتبع فيه ألمانيا سياسة صناعية تعتمد على أوربا الأكثر توحدا وتكاملا ، وتتحد فيه أوربا مع آسيا فإن الولايات المتحدة تتجه نحو الانهيار حيث لا تملك إستراتيجية اقتصادية محددة وتقودها رؤى جيوبوليتيكية عفا عليها الزمان»[٦] .

وقد عبر السيد ب. تارنوف مساعد وزير الخارجية الأمريكي أثناء حكم كلينتون عن نقص الموارد بهذه الكلمات «لم يعد لدينا ببساطه ذراع الهيمنة أو النفوذ الكافي وليس لدينا في الوقت الحالي توجه لاستخدام القوات المسلحة ؛ إذ لم نعد نملك الموارد اللازمة لذلك» [٧]. وقد عبر السيد و. هايلند عن نفس الفكرة بقوله «إن موارد أمريكا لا تناسب متطلبات دعم مواقفها الاستثنائية التي اتخذتها في فترة ما بعد الحرب» .

وقد توصل صندوق كارنيجي ، والذى استشهد بتوجهه الأممي الواضح إلى نتيجة مفادها أن «الهدف الأول للولايات المتحدة يجب أن يكون دعم الوضع الاقتصادي الداخلي الذى تأثر بشكل سلبي نتيجة النشاط الخارجي الطارئ» [٨] . إن أمريكا يجب أن تعوض سنوات نقص الاستثمارات في القطاع الاقتصادي ، ويشهد أسلوب التفكير لدى الأمريكيين نموا في هذا التوجه ، وتصور أن وضع أمريكا على الساحة العالمية يتوقف في النهاية على قوة اقتصادها الوطني و «نمو عضلاته» وعلى درجة رضاء الأمريكيين عن الحالة الداخلية في البلاد ، وعندئذ فقط سيكون الشعب الأمريكي مستعدا للتضحية من أجل الدفاع عن مكانة وصورة أمريكا في الخارج . ويعتقد د. كاليو مدير مركز الأبحاث الأوربية التابع لجامعة جونس هوبكينس أنه حتى في حالة المقارنة مع دول أوربا الغربية فإن «الولايات المتحدة لا تملك لا الدوافع ولا الموارد ولا الاهتمام الضروري للعب دور الزعامة في العقد القادم» [٩] . إن خمسة تريليونات من الدولارات هي حجم الدين الوطني تمثل عائق قوى أمام أى نشاط أمريكي في العالم الخارجي. فهل أصبح ضروريا بالنسبة لأمريكا اعتماد ميزانية عسكرية سنوية تفوق الميزانية العسكرية للدول الست العظمى التي تليها؟ إن الولايات المتحدة تنفق

على احتياجاتها العسكرية ما نسبته ٣٧٪ من حجم الإنفاق العسكرى العالمى (طبقا لبيانات معهد لندن للدراسات الإستراتيجية). ويبلغ حجم الإنفاق العسكرى لحلفاء أمريكا (الناتو واليابان وإسرائيل وكوريا الجنوبية) حوالى ٣٠٪ من حجم الإنفاق العسكرى العالمى ، فيما ينفق أعداء أمريكا (الرسميون) مثل إيران والعراق وسوريا وكوريا الشمالية وكوبا حوالى ١٥ مليار دولار ؛ فهل هناك أى مبرر لأمريكا للقلق من خطر متنام ؟

ويعتقد الأكاديميون أمثال ج. بينين عميد مدرسة القضايا الدولية العليا ، والتى تحمل اسم ودرا ويلسن والتابعة لجامعة برينستون أن أمريكا يجب عليها قبل أى شيء أن تنظم بيتها من الداخل أولا .وقد لخص الرئيس بوش وجهة النظر هذه كما يلى: إن ما تملكه أمريكا من الإرادة يفوق ما تملكه من المال(١٠) .

وثانى هذه المقدمات ازدياد نفوذ تيار الانعزالية الجديدة يتمثل فى تصور العدوانية الشديدة والمتأصلة فى العالم الخارجى تجاه أمريكا وعدم جدوى التنازلات الأمريكية التى تقدمها لمنافسيها غير الرحماء عبر المحيط. وقد استطاعت أمريكا خلال فترة المباحثات فى إطار اتفاقية الجات ، والتى أجريت منذ ١٩٤٧ وحتى الآن أن تحصل من شركائها على تنازلات بلغت حوالى١١٩٠ مليار دولار فى حين قدمت هى نفسها تنازلات قدرها ١٧٧٠ مليار دولار(١١). وخلال الفترة من انتهاء جولة كيندى ١٩٦٨ وحتى ١٩٩٢ خسرت الولايات المتحدة آلاف الوظائف بسبب المنافسة الخارجية (١٢). كما أثرت فترة تورطها عالميا بشكل سلبى على العمال الأمريكيين ؛ ففى ١٩٩١ بلغت قيمة ما حصل عليه العمال الأمريكان أقل ب ٢٠٪ عما حصلوا عليه عام ١٩٩٢ كما خسرت صناعة المنسوجات حوالى ٦٠٠ ألف وظيفة وصناعة السيارات نصف مليون وظيفة(١٣).

ويصف السيد ك. بريستوفيتس رئيس معهد الإستراتيجية الاقتصادية الموقف قائلا بينما كان انتهاء الحرب الباردة يبشر ببداية عهد جديد فقد بدأ الأمريكان يتفهمون ما تمكن اليابانيون والأوربيون من فهمه منذ وقت بعيد: إن الاقتصاد يمثل

المفتاح لحل كل المشاكل العالمية(١٤). واكتشف الأمريكيون حقيقة أن هناك أشكالاً كثيرة من الرأسمالية يملك كل شكل منها جذور عميقة فى المنافسة مع الآخرين . إن المبدأ الرئيسى للقوميين الجدد: «أن إدارة حرب تجارية سيحل فى المستقبل محل إدارة الحرب التقليدية. السبب الرئيسى واحد هو أن التفوق العام فى إنتاجية العمل بالمقارنة مع الدول المنافسة الكبرى سيتقلص وينهار بسبب قدم المعدات وارتفاع القيمة النسبية لعوامل الإنتاج المرتبطة بارتفاع القيمة الاقتصادية للمنظومة العسكرية والسياسية، الأمر الذى يؤدى إلى ارتفاع الرسوم الضريبية» .

وثالث تلك المقدمات يتمثل فى ضعف الإرادة الوطنية . يشير أ. واليرستين إلى حالة التوتر الزائدة التى تسيطر على أمريكا إمبراطورية العالم وهو نفس الشىء تقريبا الذى أصاب فينيسيا فى عام ١٥٠٠ وهولندا فى عام ١٦٦٠ وبريطانيا عام ١٨٧٣ وكذلك أمريكا عام ١٩٦٧ . ويتحدث د. كيندى عن الصعوبات التى تعانى منها المجتمعات الجديدة بسبب النفقات العسكرية الباهظة ، وهو الأمر الذى يعيد ميلاد أحداث تشبه تلك التى كان لها تأثير قوى على ألمانيا هتلر وإسبانيا فيليب الثانى وروسيا نيقولاى الثانى (١٥) ، ويصل كيندى إلى نتيجة مفادها أن تركيز أمريكا الزائد عن الحد على السياسة الخارجية يجب أن يتم تقليصه والحد منه ، ويتحدث أو. هاريس عن العادة الأمريكية غير الصحية ، والتى دمرت الإرادة الوطنية وأضعفتها فى النهاية ، وهى العادة التى اكتسبها المجتمع الأمريكى إبان الحرب الباردة ، والتى تتمثل فى السعى للهيمنة المطلقة والسيطرة فى ظل عدم استشارة الآخرين ثم بعد ذلك الشكوى من أن الآخرين لا يقاسمون أمريكا مشاكل العالم وأعبائه. ويصر الينج وأولسن – وهما من كبار المتخصصين فى العلوم السياسية – على ضرورة الخروج والتخلص من الخطر الغير مأمول. فالدول العظمى مثلها مثل أبطال رفع الأثقال فى منافساتهم فى حاجة إلى الاختيار الحكيم للثقل و الإمكانيات – حتى يجاروا المنافس ويحتلون الزعامة وحتى يتوقفوا عن ذلك ويكتفوا بملاحقته» (١٦).

ولعل من أسباب ضعف تعبئة الإرادة قلة الاهتمام بما يحدث فى العالم الخارجى. فالأمريكيون قد ولوا وجوههم عن الأحداث المتتالية التى تحدث فيما وراء البحار وهو

ما تؤكده الإحصائيات التى قامت بها ثلاثة من كبريات الشبكات التليفزيونية الأمريكية (انظر الجدول) حيث تم تقليص الوقت المخصص للأخبار الدولية فى وسائل الإعلام الأمريكية إلى النصف فى الفترة من ١٩٦٦-١٩٨٨ .

السنة	تحقيقات خارجية		
	اى . بى . سى	سى . بى . إس	ان . بى . سى
١٩٨٨	١١٥٨	١٠٩٠	١٠١٣
١٩٩٢	١٠٣٧	٧٣٦	٧٤٩
١٩٩٦	٥٧٧	٦٩٢	٣٢٧

السنة	أضواء على السياسة الخارجية		
	اى . بى . سى	سى . بى . إس	ان . بى . سى
١٩٨٨	٥٩٧	٧١٣	٦٧٤
١٩٩٢	٥٩٧	٧١٣	٦٧٤
١٩٩٦	٣٤٣	٤٤٦	٣٢٠

المصدر: مجلة الشئون الخارجية. مارس - أبريل ١٩٩٧ ص ٥

ويصل السيد ش.أو. ينس الذى تولى رئاسة تحرير مجلة «فورين بوليسى» لسنوات طويلة إلى نتيجة محددة، وذلك من خلال قراءته لما يقرب من ستة آلاف بحث ومقالة فى السياسة الخارجية. وتتمثل النتيجة التى وصل إليها إلى أن على المستوى الدولى سيصبح الأمريكيون أكثر عداءً كلما مر الوقت لفكرة أنهم يتحملون ولو قدر بسيط من المسئولية فى دعم ومساعدة من هم أقل حظا منهم. إن الدعم الأمريكى

للبرامج الرسمية للمساعدات التنموية يقل ويفتر باستمرار ، وستكون الولايات المتحدة فى القريب العاجل على رأس الدول المتقدمة التى تقلص نصيب ونسبة هذه المساعدات فى ميزانيتها. إن هناك مناطق إقليمية بأكملها يتم تجاهلها من جانب الولايات المتحدة (١٧) .

ورابع هذه المقدمات : يتمثل فى تغيير مفهوم المصلحة الوطنية فى حد ذاته؛ حيث يتحدث هنرى كيسنجر عن طرح جديد لهذا المفهوم ويصف المصلحة الوطنية «بأنها المقدرة على انتقاء الأهداف وتجاوز أى عقبات تحول دون تحقيقها ، وهى مصلحة تقوم على استخدام أسلوب أكثر عقلانية فى التعامل مع القضايا»(١٨). ويشير السيد و. كريستول الباحث البارز فى مجلس السياسة الخارجية الأمريكية معبرا عن هذه البراجماتية الجديدة قائلا «إن علاقاتنا مع الدول والأمم الأخرى سيتم إدارتها بشكل أكثر بساطة وبطريقة الواحد تلو الآخر والتعامل بشكل منفصل مع كل قضية أو مشكلة» (١٩) .

إن الشعور بعدم جدوى صياغة الأمر فكر استراتيجى عالمى طويل الأمد يسيطر على المواطن الأمريكى فى الوقت الحالى. ويعارض السيد ب. بيوكينين صياغة سياسة تعتمد «على تدخل أمريكى دائم ولا نهائى فى المنازعات والحروب فى مناطق لا تتعرض فيها المصالح الأمريكية الحيوية للتهديد المباشر» (٢٠) .

ويؤكد ش. أو. مينس علي أولوية الاهتمام المتزايد بالمصالح الوطنية ....حيث كان آخر الأمثلة التى مارست فيها الولايات المتحدة دور القيادة وتصرفت كزعيمة للعالم هى الفترات التى شهدت اقتراح منفرد من الولايات المتحدة لضم أعضاء جدد للناتو وفرض عقوبات منفردة تجاه إيران وكوبا ، وكذلك الحملة المضادة ضد إعادة ترشيح بطرس غالى لمنصب أمين عام الأمم المتحدة»(٢١). وتعتقد مجلة «فورين أفيرس» أن تحمل الأعباء والمسئوليات الجسيمة أصبحت غير مبررة على الإطلاق. فى حين أن صياغة نظام لتوزيع الأعباء والمسئوليات يعد تحديا خطيرا للسياسة الخارجية الأمريكية (٢٢) .

ويصر كل من أو. هاريس و م. ليند على أن «الوسيلة الأفضل لحماية المصالح الأساسية طويلة الأمد للدول العظمى تتمثل فى وجود نظام عالمى لا تسعى فيه دولة عظمى أو تحالف مجموعة من الدول لتأكيد هيمنتها وسيطرتها»[٢٣] .

ويرى العديد من الباحثين فى هيئة الأمم المتحدة أن التنظيم الجماعى هو الحل الأفضل فى عالم يشهد انحسار الامكانات الأمريكية. وقد أعلنت اللجنة الوطنية التابعة لصندوق «كارينجى» أن «أى دور مقبول للولايات المتحدة فى العالم يجب أن يتأسس على عودة المساهمات المالية الأمريكية إلى حصينة الأمم المتحدة... يجب علينا أن نضحى بقدر من سيادتنا التى حافظنا عليها على مدى التاريخ بكل قوة» [٢٤]، ونصحت جريدة نيويورك تايمز الرئيس الأمريكى كلينتون بتحرير أمريكا من الدور غالى الثمن الذى تلعبه وهو دور الشرطى ، وذلك عن طريق تحويل الأمم المتحدة إلى أداة فعالة ومأمولة لتحقيق الأمن الجماعى [٢٥] ، وأ ن على أمريكا فى القرن الحادى والعشرين أن تتخلى عن أهدافها العسكرية وأهمها الانتصار فى حربين كبيرتين فى وقت واحد. فطبقا للاستفتاءات الحالية التى تجرى (ولنقل فى مجلس شيكاغو للشئون الخارجية) فإن ٤٨ ٪ من الأمريكيين يعارضون إرسال القوات الأمريكية فى حالة اندلاع أى نزاع بين الكوريتين. ويعتقد أغلبية الشعب الأمريكى أن أمريكا كان لزاما عليها العمل على توسيع حلف الناتو وبناء كوردون وقائى حول روسيا فى ظل ظهور أغراض انتقامية روسية واضحة ، وقد حذر السيناتور الأمريكى كليبورن بيل (ومثله كثيرون) من بناء خطوط فاصلة جديدة فى أوربا. إن الإسراع بتوسيع الناتو فى هذه الفترة الغامضة والمفاجئة فى تاريخ روسيا من شأنه أن يضعنا فى الموقف الأسوأ من نوعه [٢٦] .

سيشهد القرن الحادى والعشرين ضرورة تشكيل صياغة جديدة للسلوك الدولى بما يتناسب مع العصر الصناعى الجديد. وستلعب التجارة والاستثمار الدور الأهم بينما يأتى دور الجيوش فى المؤخرة ، كما يجب إعادة هيكلة عمل جهاز المخابرات الأمريكى ووزارة الدفاع الأمريكية بحيث تنفصل الإدارات الاقتصادية لتصبح منظمات مستقلة تدعم بشكل جاد الاقتصاد الأمريكى. يجب أن يتم تغيير هيكل

الخبراء فلم يعد هناك أهمية لوجود خبراء فى شئون الاتحاد السوفيتى السابق فى حين هناك حاجة ماسة لخبراء متخصصين فى شئون الصين واليابان وأوربا الغربية.

وحسب استطلاع للرأى لمجلس شئون المنافسة تبين أن ٩٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن سبب فشل الأداء السياسى الأمريكى الخارجى هو أن أمريكا تركز جهودها فى دعم دول أخرى وليس فيما تحتاج إليه أمريكا نفسها [٢٧] .

إن الاتجاه القومى الجديد الذى يتحلى بشئ من النزعة الانفصالية يقوى تدريجيا فى كلا المعسكرين. وظهرت بديهيات جديدة فمثلا الدولار الذى ينفق خارج الولايات المتحدة هو دولار مهدور ، والوقت الذى أنفقه الرئيس الأمريكى مثلا فى تسوية مشكلة الشرق الأوسط أو إعادة تنظيم الناتو هو وقت لم ينفق على تحسين نظام التعليم والصحة داخل أمريكا. و من هنا توصل البعض إلى ضرورة أن تتوجه أمريكا القرن الحادى والعشرين إلى مشاكلها الداخلية ودعم اقتصادها الوطنى.

إن دبلوماسية ريجان وبوش الأممية والتى عفا عليها الزمن لم تفصل بين مصالح الوطن ومصالح الآخرين ، ومهمة كلينتون ومن يأتى بعده رئيسا للولايات المتحدة خلال القرن الحالى تتمثل فى تقليص المسئولية الأمريكية إلى الحد الأدني. وليتحملها من يشعر بمخاوف حقيقية وجادة جراء حروب أو صراعات محيطه. إن اهتمام أمريكا بشئونها الداخلية سيعود بالنفع على أمريكا أكثر من أى شىء آخر. «ونقل الأولوية فى الاهتمام إلى التطوير والتنمية الداخلية يمثل المخرج الوحيد والأفضل لنا وللعام بشكل عام» [٢٨]. ويعتقد الكثيرون من أنصار «الانعزالية الجديدة» أن التاريخ قد منح أمريكا مهلة من ١٠–١٥ سنة فقط لتنظيم البيت الداخل. ويؤكد رئيس تحرير مجلة «فورين افيرز» أو. هايلند أن «هناك حاجة إلى عشر سنوات من بذل الجهود الدءوبة من قبل الكونجرس ورئيس الدولة لكى تتخلص أمريكا من روابطها مع العالم الخارجى وتصل بها إلى الدرجة من الانعزالية التى كانت عليها فى الثلاثينيات من القرن العشرين» [٢٩].

وهكذا تبدو السياسة الأمريكية فى القرن الجديد حسبما يراها مؤيدو الانعزالية الجديدة .

إمكانات أصحاب نزعة التدخل

مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على الاقتصاد العالمى، وتمثل فترة التسعينات الفترة الأفضل فى الاقتصاد الأمريكى ، كما تهيمن أيضا فى مجال نشر المعلومات.

وقد تضاعف عدد العمال والدارسين والسائحين الأمريكيين بشكل كبير فى الفترة الأخيرة. ويسيطر الإعلام الأمريكى والموسيقى الأمريكية وبرامج الكمبيوتر والكتب وأفلام السينما والإصدارات المطبوعة على مستوى العالم أجمع حيث تنتج أمريكا ما يزيد على٧٥٪ من الإنتاج العالمى لبرامج الكمبيوتر سنويا و٦٠٪ من الإنتاج الموسيقى، ٣٢٪ من إصدارات الكتب. وكما يؤكد السيد د. روتكويف فإن الولايات المتحدة الأمريكية تملك كل الامكانات التى تؤهلها لزعامة العالم إعلاميا وفى مجال نشر المعلومات فى القرن الجديد (٣٠).

ويمثل حجم التبادل التجارى بين أمريكا والعالم الخارجى ٢٥٪ من إجمالى الناتج القومى السنوى لأمريكا وستزداد هذه النسبة فى المستقبل . وبفضل الأقمار الصناعية والكمبيوتر أصبح من السهل التواصل مع أماكن متباعدة من الكون ، ولن يشهد القرن الجديد حلولا قومية لمشاكل عالمية من قبيل الإرهاب وتجار المخدرات والإيدز وارتفاع درجة حرارة الأرض. بل سيكون للعمل الجماعى بين الأمم على حل هذه المشكلات تأثيرا قويا كما و كيفا. إن غياب زعامة الدول العظمى – حسب رأى ج. هاى – سيقلل من قدرة الدول على التعامل مع هذه القضايا المشتركة ، ومن المتوقع أن تسود العالم فوضى سياسية بشكل سريع وتؤثر بالسلب على أداء الدول فى حالة قيام أمريكا بتقليص جهودها للحفاظ على زعامتها العالمية . إن أمريكا يمكنها أن تنفق على شئونها الداخلية الاجتماعية كما يمكنها أيضا أن تنفق خارجيا للحفاظ على الأمن الدولى. والرأى الذى يقول «إننا لا نستطيع تحمل كل هذا الإنفاق هو رأى كاذب؛ حيث إن الضرائب فى أمريكا تمثل نسبة ضئيلة من حجم الناتج الإجمالى القومى وأقل بكثير من نظيرتها فى دول منظمة التعاون الاقتصادى والاجتماعى» (٣١).

ويمكن لأمريكا أن تطرق أبواب وتسير في اتجاهات يصعب على غيرها أن يحذو حذوها فمثلا يمكنها استغلال المحيطات والفضاء الخارجي بشكل أفضل وأشمل. فأمريكا فقط لديها الامكانات والتكنولوجيا اللازمة لإتمام هذه الخطط في القرن الجديد.

والسؤال : ما الدور الجديد الذي يجب على أمريكا أن تلعبه في الفترة القادمة؟ ويتمثل هذا الدور – في رأى عالمي السياسة و. كريستول و ر. كاجان – في الهيمنة الشاملة على العالم . إن الولايات المتحدة بانتصاراتها على إمبراطورية الشر قد حققت تفوقا إستراتيجيا وأيديولوجيا غير مسبوق. إن الهدف الأول والأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية يجب أن يتمثل في الحفاظ وتدعيم هذا التفوق من خلال دعم الأمن الأمريكي. وتقديم المساعدة للأصدقاء والحفاظ على المصالح الأمريكية في العالم كله [٣٢] ، وحتى إذا انطلقنا من التصورات التي تتسم بالأنانية ؛ فإن أمريكا بعد انتهاء الحرب الباردة لها مصلحة جيوبوليتيكية في الحفاظ على الأمن والاستقرار الدولي ، كما أن لها مصالح طويلة الأمد في أن لا تسيطر قوى معادية على القارة الأوربية وأن لا تؤدى التناقضات الأوربية إلى طرد أمريكا من الفضاء الأوربي كما حدث من قبل مرتين خلال القرن الماضي [٣٣] .

كثيرون يتعاملون مع مصطلح الهيمنة بحرص بالغ ، إلا أن المهيمن تعنى بكل بساطة القائد أو الزعيم الذي يملك التأثير والنفوذ الطاغي. وبهذا المعنى يمكن وصف أمريكا في الوقت الحالي بالدولة المهيمنة . ولم يكن الإعلان المشترك الذي أدلى به رئيس روسيا والصين بوريس يلتسين وزيمين في لقاء مشترك واللذان انتقدا فيه معا سياسة الهيمنة لم يكن ذلك من قبيل الصدفه. الواقع يفرض نفسه فأمريكا هي المهيمن الحقيقي والوحيد على العالم المعاصر، فهي من ناحية ترتبط بشكل مباشر بكل ثقافات العالم وكل التطورات الحضارية في دوله المختلفة حيث يسكنها أناس ينتمون لشعوب مختلفة. ومن ناحية أخرى فإن النهضة الذي يشهدها عصر ثقافة الجماهير تحدث بالذات في دولة تعد الأولى التي قامت بإبداع تلك الثقافة والتي يمثل العالم كله سوقا استهلاكية لها . وحتى الآن لا يمكن القول بوجود تيار ما ملحوظ يمكنه أن يمثل تهديد لمكانة الأدب والثقافة والموسيقى والسينما الأمريكية.

إن إستراتيجية أمريكا فى التدخل فى شئون الدول الأخرى ترتكز على عدة قواعد أساسية:

١- لا توجد شواهد قريبة تدل على تدهور فى الدور الأمريكى : والتذمر من موضوع انهيار أمريكا لا يقوم على أسس واقعية ، صحيح أن نصيب أمريكا فى الاقتصاد العالمى بعد انتهاء الحرب العالمية يفوق نصيبها الآن ، إلا أن هذا كان سببه انهيار اليابان وألمانيا اقتصاديا والضعف الذى ألم بالعديد من القوى الصناعية العظمى. بعد ذلك عادت أمريكا لتحصل على نصيبها الواقعى من الاقتصاد العالمى ، والذى يمثل ٢٠- ٢٥ ٪ من حجم الإنتاج العالمى وسوف تحافظ على هذا المعدل خلال القرن الحادى والعشرين. وكما يرى د.ج . هانايا فإن «النظريات التقليدية حول نهوض وانهيار الدول العظمى يمكن أن تقود أمريكا الى مأزق» (٣٤) .

ويبدى ثلاثة من المتخصصين ج . ناى و جورج. ناى و ش . كراوتهامر معارضة شديدة لكل التكهنات بانهيار أمريكا ؛ حيث خصص الأول كتابا كاملا يدحض فيه فكرة الانهيار، يؤكد الثانى أن الولايات المتحدة قدر لها أن تتزعم العالم على الدوام فى حين لا يرى الثالث أى بديل للهيمنة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين(٣٥) .

وفى إجابته على سؤال: لماذا تنفق أمريكا أموالا هى فى حاجة إليها على شئون خارجية لا نفع منها يجيب ج. ناى قائلا «إن الإجابة ببساطة تتمثل فى أن العالم المعاصر متشابك ومترابط ، ولذا فإن أى خلل وعدم انضباط فى النظام الدولى يمكن أن يمثل تهديدا على الشعب الأمريكى» (٣٦) . فالسلاح النووى والذى سرق من احدى جمهوريات الإتحاد السوفيتى السابق يمكن نقله وتهريبه إلى الولايات المتحدة كما أن الفوضى السائدة فى الشرق الأوسط تشجع الإرهابيين فى أمريكا. بالإضافة إلى ذلك فإن انهيار الرقابة فى الدول الكاريبى أدى إلى تدفق المخدرات إلى داخل أمريكا ناهيك عن ثقوب الأوزون والتى تسببت فيها دول أخرى . ويؤكد السيد و . هايلذ الرأى السابق محذرا أنه فى حالة تحقيق التيار الانعزالى لمآربه فسوف يكون فى

استطاعة دسته من الدول تملك السلاح النووى الأمر الذى يمكن أن يؤدى بالعالم إلى أزمة عالمية واسعة النطاق (٣٧) . وهذا الخطر يستشعره عدد كبير من النخبة الحاكمة فى أمريكا .

٢- وحتى إذا قررت الولايات المتحدة الانعزال عن العالم فإن وسائل الاتصال الحديثة من شأنها إعاقة هذا التوجه. إن مؤيدي سياسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول يذكرون المجتمع بأهمية الإحصاءات التالية: نمو حجم الاستثمار الأجنبى فى الولايات المتحدة خلال الثمانينات بشكل كبير. ففى عام ١٩٨٠بلغ حجم الاستثمار الأجنبى حوالى٨٣ مليار دولار فى حين بلغ ٤٠٩مليار عام ١٩٩١ ومن الملاحظ توجه الاستثمارات إلى قطاعات معينة : صناعة السيارات ، الالكترونيات ، الصناعات الكيماوية والمنتجات الغذائية والبورصة . وإذا كان المستثمرون الأجانب يضخون أموالهم فى الاقتصاد الأمريكى ؛ فهذا معناه أنهم يثقون بهذا الاقتصاد وفى نمو منظومة هذا الاقتصاد فى المئوية الجديدة .

وفى نفس الوقت فإن أكثر من ٤٠ ٪ من حجم النمو الاقتصادى الأمريكى فى الفترة من ١٩٨٧ – ١٩٩٧ أتى على حساب تشجيع التصدير الأمريكى ؛ فقد وفر هذا القطاع وحده أكثر من 4ملايين فرصة عمل خلال تلك الفترة. فهل على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحجم إمكانياتها التصديرية ؟ وهى التى تصدر ما نسبته ١٣ ٪ من إجمالى الناتج القومى و٢٠ ٪ من الإنتاج الصناعى و٣٠٪ من الإنتاج الزراعى. هل يمكن أن تسمح أمريكا لنفسها بالانسحاب من خطوط التجارة العالمية دون أن يؤثر ذلك بالسلب على اقتصادها.

هناك اعتقاد آخذ فى الرسوخ يتمثل فى أنه إذا تجنبت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل العسكرى فى أزمة تلو الأخرى فإن ذلك بلا شك سيحفز قوى عظمى أخرى للقيام بهذا الدور وملأ هذا الفراغ. إن سياسة عدم التدخل ستؤدى ليس فقط إلى زعزعة الاستقرار فى العالم بل وإلى تحويله إلى عالم مسلح و الي انتشار الأسلحة فى كل مكان بأرجائه، وهو الأمر الذى سيؤثر بلا شك على المصالح الأمريكية فى الصميم،(٣٨) .

إن القرن الجديد سيكون أكثر أمركة من القرن العشرين والسبب الرئيسى فى ذلك هو هيمنة المعلوماتية ، وهو المجال الذى تتفوق فيه أمريكا على العالم من خلال الأقمار الصناعية والانترنت. وكما يؤكد ج . ناى و أ . اونس فإن المعلوماتية تمثل العملة الجديدة فى منظومة العلاقات الدولية والولايات المتحدة تحتل مكانة متقدمة فى هذا المجال مقارنة بغيرها من الدول الكبرى . ومن خلال منظومة المعلومات المتطورة تستطيع الولايات المتحدة مضاعفة فعالية قدرتها العسكرية. إن الهيمنة فى مجال المعلومات ستجعل القرن الجيد أمريكيا (٣٩). ويتفق مع هذا الرأى البروفوسير ا. كوين من جامعة جونس هوبكنس الذى يؤكد أهمية المعلومات فى المجال العسكرى قائلا إن ثورة المعلومات تمنح فرصا للدول الكبيرة والصغيرة سويا ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعد المستفيد الأكبر(٤٠) .

٣- إن العالم الآن فى حاجة ماسة إلى زعامة : وهناك قطاع كبير من الأمريكيين يؤيد وجهة النظر القائلة بأن قدر الولايات المتحدة أن تحتل مكانة الزعامة فى العقود الأولى على الأقل من القرن الحادى والعشرين . والأمر هنا لا يتعلق فقط بالموارد والثروات بل وبالقدرة على رؤية المستقبل (٤١) . والولايات المتحدة بصفة خاصة تحدد مصير العالم بأكمله شاءت أم أبت ، كما أنها ترسم ملامح السياسة الداخلية والخارجية للعشرات من دول العالم من خلال صندوق النقد الدولى والبنك الدولى والعديد من المنظمات الأخرى ، كما تستخدم الأمم المتحدة للتأثير على أنظمة غير صديقة لها مثل ليبيا والعراق وإيران. بالإضافة إلى أنها تستخدم برامج المساعدات للتأثير على الشعوب إن شبكة العلاقات الاقتصادية الضخمة مع الولايات المتحدة بالإضافة إلى التأثير المهيمن للاقتصاد والثقافة الأمريكية سمح للأمريكيين بفرض نفوذهم من خلال أساليب عديدة لم يكونوا ليتخيلوها (٤٢).

إن أمريكا تلعب دور الدولة العظمى المهيمنة بدون أى مشاكل قومية ملحوظة. والسؤال الذى طرح نفسه بعد الحرب الباردة حول مصدر التهديد فى العالم يجب أن يصاغ بشكل آخر؛ ففى عالم يتوقف فيه ازدهار وأمن أمريكا على القوة الأمريكية والصرامة فى استخدام هذه القوة فإن الخطر الأساسى يتمثل هنا فى الضعف الأمريكى

ذاته. إن الهيمنة الأمريكية تعد الوسيلة الوحيدة المأمولة للحفاظ على النظام الدولى من الانهيار، ولذلك فإن الهدف الرئيسى للسياسة الخارجية الأمريكية يتمثل فى الحفاظ على هذه الهيمنة لأطول فترة ممكنة. ولتحقيق هذا الهدف فإن الولايات المتحدة تحتاج إلى صياغة سياسة تحقق التفوق العسكرى والثقة المعنوية (٤٣) . وفى أثناء ذلك فإن كثيرا من علماء السياسة يتنبئون أن النصف الأول من القرن الحادى والعشرين يمثل فترة انتقالية خطيرة. ويؤكد ذلك السيد ر. نومان عضو مركز الأبحاث الإستراتيجية والدولية ؛ حيث يؤكد أن المنظومة السابقة والصارمة فى العلاقات الدولية قد انهارت أما الجديدة فلم تنشأ بعد . إن لبنة العالم تحدث بسرعة متزايدة، وتبدو مؤشرات ذلك فى دول العالم المختلفة ، ولذا يلزم التفكير ليس فى الحفاظ على السلام بل فى فرضه على الأطراف المتصارعة.

ويصر مؤيدو صياغة سياسة خارجية أمريكية نشطة على أن العالم فى القرن الجديد لن يكون أكثر أمنا عنه إبان سنوات الحرب الباردة؛ حيث سيشهد هذا القرن حالة من الانقسامات فى العالم وانتشار الصراعات الدولية وزيادة القوى السياسة العسكرية ؛ فباستثناء أوربا الغربية وأمريكا الشمالية لا توجد فى العالم مشروعات للتكامل أو إنشاء أحلاف. وطبقا لتوقعات وكالة الاستخبارات الأمريكية فإنه مع حلول عام ٢٠٠٠هناك ١٥ دولة نامية على الأقل لديها إمكانية لإنتاج صواريخ باليستية ، ثمانية منها تمتلك أسلحة كيماوية وعشرة بيولوجية. والانسحاب من منظومة العلاقات الدولية فى عالم كهذا يعنى التعرض لهذه المخاطر فى أى وقت وفى عقر الدار.

٤- إن ترك ساحة الأحداث للآخرين أمر غير معقول أيضا ؛ فالتنافس الاقتصادى بين الولايات المتحدة وحلفائها يمثل خطرا كبيرا بالنسبة لها؛ فهناك احتمالات مؤكدة لحدوث صدامات حادة مع اليابان وأوربا فى حالة استمرار التوجه الدولى على ما هو عليه. فماذا سيحدث إذا اتجهت أمريكا إلى الانعزال السياسى . إن اليابان وألمانيا فى هذه الحالة سيسعيان وسيتمكنان من أن تصبحا دولتين نوويتين ، كما أن روسيا- والتى تعانى من مصاعب داخلية -ستسعى فى هذه الحالة للحصول على تعويضات ضخمة مقابل تفوقها الرئيسى فى المجال العسكرى. فى حين ستسقط الأنظمة العربية

المعتدلة فى مواجهة الراديكالية الإسلامية وترغم بذلك إسرائيل على الاعتماد على قوتها النووية. وسيزداد التنافس المتصارع بين الصين واليابان وبين روسيا وألمانيا؛ فهل حدوث حرب عالمية ثالثة مستبعد فى مثل هذه الظروف ؟ (٤٤) وفى مثل هذه الظروف فإن أمريكا سيكون من الصعب عليها القيام بنفس دور بريطانيا فى القرن التاسع عشر وهو إحداث التوازن ؛ حيث من الصعب تكرار التجربة البريطانية التى كانت تقوم على إحداث التوازن بين دول ثقافة واحدة وهى الثقافة الأوربية. أما الآن فالوضع على النقيض ؛ فهناك دول تنتمى لحضارات مختلفة وإحداث توازن بينها أمر خطير جدا ؛ فهل يمكن لعالم تقوم فيه أمريكا بمحاولة إحداث توازن بين روسيا والصين واليابان وألمانيا أن يكون مستقرا ؟

ويرى السيد ج . مورا فتشيك أن - وعلى امتداد ٩٠ عاما - أوربا لم تستطيع تحمل عبء الزعامة الدولية ، كما أنها لا تستطيع حتى أن توفر الأمن لنفسها ؛ حيث أصبحت «ساحة لاندلاع حربين عالميتين . وأمريكا بالطبع تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة وليس هناك مجال للحديث عن المثالية هنا إلا أن أمريكا على النقيض من أوربا استطاعت أن تنشئ تواصلا وعلاقة بين تحقيق مصالحها الخاصة والفائدة العامة، وهذا هو أساس أى زعامة» (٤٥).

فهل كان العالم ليتمكن من معاقبة العراق - الدولة المعتدية فى الخليج العربى عام ١٩٩١ - دون زعامة أمريكا، كما أن أية مساعى فى البوسنة كانت لتفشل لولا اشتراك الأمريكيين. فقد حاول الأوربيون ولمدة عامين متواصلين حل هذه القضية بأنفسهم إلا أنهم اضطروا فى النهاية إلى اللجوء إلى مساعدة واشنطن: «فإذا انتفى لدى الأمريكيين الشعور بوجود مهمة يؤدوها فى العالم فإنهم سيطالبون بتقليص الإنفاق العسكرى على السياسة الخارجية الأمر الذى سيؤثر بالسلب على الهيمنة الأمريكية»(٤٦).

إن وجهة نظر كثيرين من مؤيدى سياسة التدخل تتلخص فى أن هيئة الأمم المتحدة ستصبح فى القرن الواحد والعشرين عبارة عن مجموعة من الدول لا يحترم معظمها قواعد القانون الدولى أو يؤيد السلام ، كما أنهم لا يعبروا عن رغبة الناخبين

فى معظمهم. وستنقسم الآراء داخل المنظمة فقط فى حالة ظهور خطر عام وشامل (٤٧). إن الديمقراطيات الأوربية يمكن أن تصبح حلفاء أقوياء لأمريكا لا منافسا لها، كذلك الوضع بالنسبة للأمم المتحدة التى يمكنها فقط أن تتمم وتؤكد الزعامة الأمريكية لا أن تحل محلها. (٤٨) وها نحن نعيش مرحلة تاريخية مهمة ؛ حيث بدأت الولايات المتحدة فى ازدراء المؤسسة الدولية التى أنشأتها بنفسها .

وكما يعتقد السيناتور الأمريكى السابق جيمس بيكر وعضو معهد الاقتصاد الدولى السيدة ا. فروست فإن الرؤية الأمريكية للعالم فى القرن الجديد تقوم على ضمان حماية الحقوق المدنية والديمقراطية تحت إشراف الولايات المتحدة الأمر الذى يؤدى إلى إنشاء أنظمة موالية لأمريكا، والقدرة على رد أى اعتداء دون تحمل خسائر أمريكية كبيرة أو تعريض الاقتصاد الوطنى لأى أعباء إضافية والسيطرة على النفط والمصادر الحيوية الأخرى فى العالم لمساعدة الدول الصديقة وضمان مستوى معيشى مرتفع (٤٩).

إن هدف مؤيدى سياسة التدخل هو الحفاظ على الزعامة العالمية والتوازن الإقليمى لصالح أمريكا وحلفائها. ومهمة الولايات المتحدة فى القرن الحادى والعشرين تتمثل فى الهيمنة والسيطرة على تلك المناطق التى تعتبرها حيوية بالنسبة لها (فى أوربا والمحيط الهادى فى المقام الأول) .

وحيث إن هناك دولاً مثل اليابان وألمانيا تتحرك وتسعى لتصبح دولا عظمى فى القرن الحادى والعشرين فإن شكل العلاقة بين هذه الدول وأمريكا سيتغير ضروريا، ويرى مؤيدو سياسة التدخل أن الدور الأكبر الذى يجب أن تقوم به أمريكا فى القرن الجديد هو تحجيم تلك القوى التى تسعى للهيمنة ورد إدعائاتها بذلك ، وهو الدور الذى يشبه ما قامت به بريطانيا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويؤكدون بثقة أن «الولايات المتحدة ستمتلك فى المستقبل المرئى كل الامكانات الضرورية سواء من منظور الأمن الجغرافى أو التفوق العسكرى أو النفوذ السياسى لكى تؤسس تحالفات يمكنها ردع أى قوة إقليمية ذات مطامع توسعية أو أحلام بالهيمنة» (٥٠). ويعتقد مساعد وزير الدفاع الأمريكى كول أن الطريق الأمثل للولايات المتحدة يتمثل فى

دعم التحالفات القائمة مع أوربا الغربية واليابان بالإضافة إلى إنشاء سلسلة من التحالفات المرنة أو المتنقلة يمكنها مساعدة الولايات المتحدة فى مناطق الصراعات.

٥- **نهضة شرق آسيا** : يعتقد كل من جورج ترتيبن و ب. ستوكتون أن الوقت قد حان لتحويل الاهتمام إلى مناطق التحديات الجديدة بعد أن ظل طويلا منصبا على المشاكل الأوربية والسوفيتية. ويجب أن تتشكل النخبة الجديدة فى أمريكا بشكل أساسى من علماء متخصصين فى آسيا وخبراء فى التجارة والاستثمار والدفاع والعلم والتكنولوجيا (٥١).

لقد كانت قضية الصراع القادم مع الصين - هو أفضل الكتب مبيعا عام ١٩٩٧ وخصصت مجلة «فورين افيرز» نقاشات دائمة حول الخطر والتهديد القادم من جنوب شرق آسيا ؛ كما أن تحقيقا قامت به مجلة «نيويورك تايمز» لم يكن ليدعو أبدا إلى التفاؤل ؛ إذ جاء فيه : «إن الصين تملك سلاحا نوويا ونزاعات حدودية مع أغلب جيرانها وجيشا ضخما ومتطورا يستطيع خلال عشر سنوات أو نحوها أن ينهى كل هذه النزاعات الحدودية لصالحه... فى الوقت الذى تقلص فيه معظم الدول نفقاتها العسكرية فإن الصين تستخدم القفزة الاقتصادية الهائلة لتمويل خطط بناء عسكرى طويل الأمد ؛ فالصين تسعى للتمتع بنفوذ الدولة العظمى» (٥٢) ويقول ج . مورافتشيك: «يجب علينا الاعتراف بأن الصين فى طريقها لكى تصبح منافسا لأمريكا فى القرن الجديد» (٥٣).

٦- **المستقبل الغامض لروسيا** : ولم تفقد الجبهة المناوئة لروسيا داخل المجتمع الأمريكى أهميتها وحقها فى التنبؤ بالمستقبل ؛ حيث تتوقع هذه الجبهة العودة إلى الحرب الباردة مع كل تحول فى العلاقات الروسية الأمريكية. إن هدفنا الرئيسى يتمثل فى تحاشى قيام منافس جديد لنا على أراضى الاتحاد السوفيتى السابق أو فى مكان آخر يمكنه أن يمثل تهديداً شبيهًا بذلك الذى كان إبان الاتحاد السوفيتى (٥٤) .

٧- **العامل الإسلامى :** لقد انتقلت بؤرة الاهتمام فى هذا النطاق من إيران إلى العراق وليبيا والسودان ومصر والجزائر ولبنان وسوريا وفلسطين وحتى تركيا. ويقول ج . مورافتشيك «إذا استطاع الإسلام الراديكالى أن يصل للحكم فى تلك البلدان فإن العالم تنتظره هزات عنيفة لا يمكن تخيلها» (٥٥) .

٨- **قضية خطر نشر الأسلحة النووية وتكنولوجيا الصواريخ :** لقد أدت سياسات دول مثل كوريا الشمالية والهند وباكستان وليبيا وجنوب أفريقيا بسعيها للانضمام للنادى النووى إلى تعقيد منظومة العلاقات الدولية.

إن المهام التى تنتظر الولايات المتحدة فى القرن الجديد تتمثل فى تحسين أسلوب عمل الاستخبارات التى تراقب برامج التسلح السرية والتأثير على المنتجين الكبار لهذه الأسلحة من خلال القيود والمعوقات التجارية وتحييدهم إذا اقتضت الضرورة.

وهناك قطاع عريض ومتزايد من معتنقى سياسة التدخل الأمريكية يؤيد إعادة صياغة اتفاقية الدفاع ضد الصواريخ ١٩٧٢ وبناء منظومة دفاع تكتيكية ؛ حيث تتزايد الثقة فى الإمكانيات التكنولوجية لهذه المنظومة يوما بعد يوم. كما يزداد عدد المؤيدين للاتفاق مع روسيا حول تعديل نظام دفاع الصواريخ فى حين يطالب جزء من مؤيدى سياسة التدخل بتجاهل الموقف الروسى فى هذا الشأن.

الموقف الرسمى لواشنطن

يمثل التيار الغالب على الساحة السياسية الأمريكية مع مطلع قرن جديد خليطا من الاتجاهين السالف ذكرها. وكان للقيادة الأمريكية رد فعل تجاه إنذارات تيار الانعزالية الجديدة. ففى أغسطس ١٩٩٠ أشار الرئيس الأمريكى بوش إلى سقوط عالم القطبين الأوحدين ، وأعلن ليس فقط عن ضرورة تشكيل منظومة عالمية جديدة بل وتحديد قائمة متدرجة بالحلفاء والمناطق والهداف للسياسة الأمريكية وفق قيمة كل منهما، وأبدى أهميتها بالنسبة للولايات المتحدة حتى لا تنفق أمريكا مواردها فى مناطق لا تمثل أهمية ولا تخدم المصالح الأمريكية.

ويمكن أن تتصور أن الرئيس الأمريكي قام بشكل خاص بإعادة توجيه إدارته نحو حل القضايا الداخلية . وفي رسالة حول حالة البلاد عام ١٩٩٢ أشار قائلا يمكننا الآن التوقف عن تقديم تضحيات كنا نبذلها في الماضي عندما كنا نواجه دولة عظمى معادية عدم بذل تضحيات أكثر أصبح يمثل شعارا لسياسة خارجية نشطة ، إلا أنه لم يتمكن من إتمام عملية إعادة توجيه إدارته هذا حيث فقد شعبيته بشكل حاد. ولم يكن هناك بين الجمهوريين ريجان جديد وكان أفضل تعبير عن البيان الملتهب للجناح المحافظ بين الجمهوريين عامي ١٩٩٢، ١٩٩٦ هو ما قاله السيد باتريك بيوكينين «أمريكا قبل كل شيء لا يجب أن نلتفت إلى الدول الخارجية عديمة الجدوى»

هل يمكن حل مشكلة الزعامة عن طريق الاعتماد على منظمة الأمم المتحدة؟ في نوفمبر ١٩٩٣ أعلن الرئيس جورج بوش الأب أن «الأمم المتحدة لديها فرصة في أن تتحول إلى أداه رئيسية لتجنب وحل الخلافات والحفاظ على السلام» (٥٦) ، وأنشأت واشنطن لجنة زيادة فاعلية الأمم المتحدة. وأصدر السكرتير العام للأمم المتحدة بطرس غالي بيانا من نوع خاص أطلق عليه جدول أعمال العالم طالب فيه بتأسيس قوات مسلحة موحدة وقيادة عسكرية موحدة وعلى ما يبدو فإن الأحداث التي وقعت في الصومال (أكتوبر ١٩٩٣) أصبحت نقطة تحول في سياسة بوش - كلينتون ذات التوجه نحو الأمم المتحدة في البداية ، والتي وقعت في مأزق خيبة الأمل فيما بعد. وقد طالب أعضاء الكونجرس بإجراء تحقيقات واسعة حول سبب تحول الجنود الأمريكان إلى أهداف حية في مقديشو. وعلى وجه السرعة ظهرت قضية تقليص المساعدات المادية الأمريكية المقدمة لتمويل عمليات الأمم المتحدة العسكرية. وانخفض فيما بعد استخدام قوات الأمم المتحدة في النقاط المشتعلة (الصومال، رواندا والبوسنة) بشكل واضح. وترى أمريكا أن الأمم المتحدة قد أظهرت ضعفها. ومع نهاية القرن الماضي فإن أغلب دول الأمم المتحدة لم تعد دائما تتحالف مع الغرب أو إلى الولايات المتحدة في عملية التصويت.

ليس هناك شك في أن عام ١٩٩٢ شهد قيام معظم المؤيدين لسياسة الانعزالية بالتصويت لصالح بيل كلينتون ؛ حيث اعتبروا هذه السياسة أفضل رد فعل على

أحداث العالم الخارجي وقام كلينتون السياسي الذى نشأ فى ولاية اركنساس وصاحب خبرة التعلم فى أكسفورد بإدخال عنصر جديد على السياسة الأمريكية دائمة التغيير ألا وهو عنصر المركزية الأمريكية الكبرى وعبر عن هذا العنصر الجديد بشكل خاص جدا ، فلم يقم كلينتون بالإسراع بعملية الخروج والابتعاد الشامل عن العالم الخارجي ، إلا أنه –وللمرة الأولى فى تاريخ أمريكا ما بعد الحرب – أعلن أن أمريكا لا يمكنها حل القضايا العالمية بمفردها. وقد عبر وزير الخارجية الأمريكي وارين كريستوفر والذى وقع اختيار كلينتون عليه عن هذا العنصر الجديد على النحو التالى : إن كثيرا من أهدافنا المهمة لا يمكن تحقيقها بدون التنسيق مع الآخرين،(٥٧).

وقد صرح الرئيس الأمريكي الجديد فى مارس ١٩٩٣ عن قراره الخاص بحجم إنفاق عسكرى قدره ١,٣ تريليون دولار فى خلال الفترة من ١٩٩٤– ١٩٩٨ (بمتوسط ٢٦٠ مليار دولار سنويا) وهذا يعنى الإنفاق على جيش قوامه مليون ونصف نظامى ومليون احتياطى ويملك ١٩ فرقة برية و١٢ حاملة طائرات و٣٤٦ سفينة عسكرية و٢٠ سربا جويا و١٨٤ قاذفة و ٣٥٠٠ رأس نووية (٥٨) .

وفى الشهور الأولى لحكم كلينتون أظهر الديمقراطيون ميلهم الانعزالى الجديد. ففى ربيع ١٩٩٣ صرح نائب وزير الخارجية للقضايا السياسية ب . تارنوف لمجموعة من مندوبى وسائل الإعلام قائلا أن الولايات المتحدة لن تتدخل فى مشكلة البوسنة وغيرها من الخلافات التى ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة لسبب بسيط وهو أن أمريكا لاتملك أموالا لذلك (٥٩) .

إلا أن إدارة كلينتون قامت بتجهيز قائمة بإمكانيات وزارة الدفاع وصاغت استراتيجية حول إمكانية اشتراك الولايات المتحدة فى حل نزاعيين متحتدمين على نطاق واسع فى وقت واحد ولنقل فى جنوب غرب آسيا وفى شبه الجزيرة الكورية. وقد انتقد زعماء النواب الجمهوريين دول وغيره عدم كفاية جهود الإدارة الديمقراطية كما انتقدها رئيس لجنة القوات المسلحة إس . تيرموند ورئيس لجنة الأمن ف . سبينس. ويؤكد هؤلاء المنتقدون أنه فى حالة حدوث أزمة فى كوريا فإن أمريكا ستكون مضطرة لإرسال أربعمائة ألف جندى وقوات عسكرية ضخمة إذا تجددت أزمة الخليج

العربى مرة أخرى ، إلا أن هؤلاء جميعا لم يلقوا أى دعم لوجهة نظرهم هذه فى واشنطن .

وتحت هذا الضغط الشديد وعد الرئيس فى رسالته الأولى حول «حالة البلاد» بعدم تقليص الإنفاق العسكرى الأمريكى مرة أخرى. إن النصر الذى حققه الجمهوريون فى انتخابات الكونجرس ١٩٩٤ أثار تداخلا يدعو للفضول، ثورة الليبراليون الديمقراطيون المطالبون «بوضع سلمى متميز ومفضل على الساحة العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة ورؤية خاصة للمصالح الأمريكية لدى مجموعة جديدة من الجمهوريين أصبحت الميزانية الوطنية وتقليص النفقات الاتحادية بالنسبة لهم شيئا مقدسا. ويشير و. هايلاند إلى التحول التاريخى فى مواقف القوى السياسية فى البلاد.

وعندما وجد الجمهوريون المنتصرون فى انتخابات ١٩٩٤ لغة مشتركة مع الليبراليين الداعين للانعزالية الجديدة فى الحزب الديمقراطى حاول الرئيس كلينتون تجنيد وتعبئة القوى المناهضة لهذا التيار. حيث اعتبر الداعيين لتقليص النفقات الخارجية انعزاليين وانتقد «الهجوم على صلاحيات الرئيس فى صياغة وإدارة برنامج سياسى خارجى»(٦٠) . وأشار وزير الخارجية وارين كريستوفر إلى أن التقليص الحاد فى النفقات على السياسة الخارجية «سيكبد المصالح الوطنية وإمكانيات تولى الزعامة خسائر فادحة» (٦١) .

وبفضل جهود السيناتور الجمهورى دول قدم مجلس الشيوخ مشروع قرار حول تحديد العلاقة بين أمريكا ومنظمة الأمم المتحدة. ويسعى القرار إلى رفع القيود المفروضة على أمريكا للقيام بإجراءات سياسية من أجل الحفاظ على مصالحها(٦٢) ، وطبقا لهذا القانون فإنه سيحظر على القوات الأمريكية أن تخدم تحت قيادة أجنبية. ويؤكد دول أن الشعب الأمريكى ليس لديه استعداد لفقدان أبنائه من اجل الالتزام بسياسة التدخل غير المسئولة» (٦٣) .

ويعد أهم رد فعل للرئيس الأمريكى بيل كلينتون على الانتصارات المتواصلة للقوى المؤيدة للانعزالية هو المنشور الرئاسى رقم خمسة وعشرون حول تحديد وتقليص حجم اشتراك الولايات المتحدة فى عمليات جماعية للحفاظ على الأمن الدولى. ويشير

المنشور صراحة إلى أن الولايات المتحدة لن تشارك فى قوات الأمم المتحدة ولن توجه قواتها للاشتراك فى عمليات تقوم بها الأمم المتحدة (٦٤) ، ويعد هذا القرار ذا أهمية مستقبلية كبيرة ؛ حيث إن أكبر قوة فى العالم ترفض القيام بأى عمل مشترك مع أكبر منظمة دولية ألا وهى الأمم المتحدة التى أنشأت بمبادرة من الولايات المتحدة نفسها والتى تعكس إرادة غالبية المجتمع العالمى. وفى أثناء ذلك فإن الولايات المتحدة تحتفظ وتدعم وسائلها الخاصة لفرض نفوذها القوى على نطاق واسع.

إن سياسة التدخل فى شئون الدول الأخرى لم تتراجع مطلقا فى أمريكا؛ فبعد فترة هدوء وتوقف استمرت من ١٩٩٠-١٩٩٢ سادت فى أمريكا وجهات نظر واتجاهات تدعو إلى تقليص الإنفاق العسكرى مع نهاية التسعينيات (انظر التقارير الدورية لوزارة الدفاع الأمريكية (لفترة من ١٩٩٠-١٩٩٢). فيما يؤكد التقرير الرئيسى الصادر فى فبراير ١٩٩٥ حرص الولايات المتحدة على الحفاظ على قواتها المسلحة والتزاماتها العسكرية وزيادتها فى بعض المناطق (٦٥). وقد أعلن مركز أبحاث الميزانية التابع للكونجرس عام ١٩٩٥ أن الجيش الأمريكى سيحصل على مبلغ دعم قيمته تتراوح بين ٥٣ - ١٠٠ مليار دولار إضافية خلال السنوات الخمس التالية. وفى ربيع ١٩٩٥ اتفق الرئيس كلينتون مع الكونجرس الجمهورى على زيادة تدريجية للإنفاق العسكرى من ٢٦٠ مليار دولار عام ١٩٩٥ إلى عام ٢٠٠٢ (٦٦). وكان شعار أنصار سياسة التدخل فى شئون الدول الأخرى هو يجب علينا أن نبذل كل القوى حتى نبقى القوى العظمى الوحيدة وأن لا يظهر لنا منافسون عسكريون. ولهذا فيجب علينا دعم قدراتنا العسكرية وبشكل خاص فإن أمريكا يجب عليها فى المستقبل محاصرة المنافسة العسكرية من جانب روسيا وألمانيا فى أوربا واليابان والصين فى آسيا (٦٧). إن السيطرة على انتشار الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية يجب أن يصبح فى المقام الأول للاهتمامات الأمريكية فى القرن الواحد والعشرين ، وقد اعتبر وزير الخارجية الأمريكى السابق وارين كريستوفر إبان مغادرته لمنصبه من الضرورى أن يحذر شعبه من مخاطر تيار الانعزالية الجديد قائلا إن أكثر ما يهدد سياستنا الخارجية فى الوقت الحالى يتوقف على مدى مقدرتنا على تحمل النفقات الضرورية للقيام بنشاط سياسى خارجى فعال أو لا. إننا نصطدم بخطر شكل جديد من

الانعزالية يطلبون فى ظله من أمريكا أن تحافظ على الزعامة ، ولكنهم يفقدوها المقدرة على لعب دور الريادة. كما صرح الرئيس كلينتون فى خطاب ألقاه فى يناير ١٩٩٩ حول «حالة البلاد» مؤكدا زيادة الميزانية العسكرية بما قيمته ٢٥ مليار دولار وهو ما يعتبر أكبر زيادة طرأت على الميزانية بعد انتهاء الحرب الباردة.

وبشكل عام فإن القيادة الأمريكية والخبراء يؤمنون بأنه إذا كان القرن ١٩ هو قرن توازن القوى فى العالم فإن القرن الواحد والعشرين سيصبح قرن عدم توازن القوى الصارخ لصالح أمريكا. ولا تستطيع أمريكا أن تتحول ببساطة إلى واحدة من الدول. وهى لم تستطيع ذلك فى السنوات العشر الأخيرة ، ولن تستطيع تجنب هذا المصير فى القرن الواحد والعشرين . لقد خرجنا من الحرب الباردة كقوة عظمى أوحد وأخذنا على عاتقنا مسئولية شئون العالم يضاهينا فى ذلك الإمبراطورية الرومانية والبريطانية فى فترات ازدهارها. فإذا رفضنا أن نقوم بدور الزعامة الذى ينبثق بشكل أساسى من موقفنا وقدراتنا فإن الساحة العالمية ستفتقد للتوازن . ولن تستطيع أى دولة كبرى أو قوى ديمقراطية كبرى أن تجد فى نفسها القوى لتحمل تبعات الزعامة أو محاولة التطاول عليها وهم جميعا يعيشون فى العباءة الأمريكية [٦٨] .

وقد كتب رئيس مجلة «ناشيونال إنترست» السيد أو. هاريس تملك أمريكا سرا صغيرا قذرا يتلخص فى أن أمريكا تستمتع بوضعها كقوة عظمى . ويطرح السؤال نفسه: هل النفقات العسكرية باهظة التكاليف ؟

إن فترة ازدهار إسبانيا وفرنسا وانتعاش روسيا شهدت قيام الملك فيليب الثانى وليودفيك وبطرس الأكبر بإنفاق ما يتراوح بين ٧٥ ٪ – ٨٥ ٪ من إجمالى دخل ممالكهم وتنفق الولايات المتحدة على احتياجاتها العسكرية فقط ٢٥ ٪ من ميزانيتها الحكومية وأقل من ٥ ٪ من إجمالى ناتجها القومى ؛ فالولايات المتحدة لم تفرط كثيرا فى الإنفاق. ويستعين المحافظ السابق لولاية كلوراد أر. لام بكلمات أ. تونب القائلة:سبب سقوط أى امة عظيمة يتمثل فى الانتحار وليس الضغوط الخارجية. فهل الحفاظ على مكانة الإمبراطورية يكلف الكثير ؟ ويعتقد المفكرون الأمريكيون أنه لا تجب المبالغة الشديدة. لقد أنفقت أمريكا فى ١٩٩٨ على سياستها الخارجية (الميزانية

العسكرية- المساعدات الاقتصادية الخارجية - الاستخبارات- النفوذ الثقافى ... ×إلخ) ما يقرب من ٣,٨٪ من إجمالى ناتجها القومى وهى النسبة الأقل على مدى نصف قرن مضت (٦٩) . فى حين شهدت الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٦٣ حجم إنفاق أمريكى على نفس الأهداف بلغ أكثر من ١٠ ٪ من إجمالى الناتج القومى سنويا. فى السنوات العشر التالية بلغ ٩ ٪ أى ضعف النسبة الحالية ، وفى المستقبل سيكون من الضرورى إنفاق ٤ ٪ من إجمالى الناتج القومى .

ويرى كل من و. كريسول ور. كاجان أن القرن القادم يجب أن يشهد زيادة حجم الميزانية بمقدار ٦٠-٨٠ مليار دولار على الأقل ، وأقل من ذلك يمكن أن يمثل تهديد لمكانة أمريكا المهيمنة على العالم ؛ حيث إن دور الولايات المتحدة الذى تلعبه يختلف عن أدوار الدول العظمى الأخرى ؛ فكلما كانت واشنطن أكثر إقناعا فى تأكيد عدم جدوي أى منافسة أو صراع مع القدرة الأمريكية سواء لتفوقها العسكرى أو التكنولوجى كلما قلت الفرص السانحة أمام دول كالصين وإيران للتحمس لفكرة إعادة النظر فى النظام العالمى الحالى. وهذا يعنى أن الولايات المتحدة لديها إمكانية توفير أموالها على المدى القصير، ولكنها من المفيد لها أكثر أن تنفق الآن على أن تفقد الكثير جدا نتيجة صراع عسكرى مستقبلى (٧٠) ؛ فما هو حجم الإنفاق العسكرى الكافى مع بداية القرن الواحد والعشرين ؟

إن صناع السياسة وواضعى الميزانيات العسكرية والدفاعية لا يعرفون حجم المطلوب الكافى للمتطلبات المستقبلية (ولنقل الفترة من ٥ - ١٠ سنوات) إلا أنهم يجب أن يضعوا فى اعتبارهم الاحتمال الأسوأ (٧١) .

وهناك فكرة تلقى شيوعا فى الأوساط الأمريكية و تتمثل فى أنه يجب على أمريكا مثلها مثل بريطانيا فى القرن التاسع عشر أن تضع لنفسها قاعدة و أساس تسير عليه :أن تمتلك قوات مسلحة تعادل قوة ثلاث أو أربع دول كبرى تلى أمريكا من حيث القوة (بغض النظر عن وجود أى تهديد أو خطر عسكرى فى الوقت الحالى). و يجب على الولايات المتحدة أن لا تسترشد بالمبادئ البسيطة على شاكلة «عش و دع الآخرين يعيشون» أو سياسة تهدئة النفس السلبية فى انتظار ظهور تهديد محتمل ، بل

يجب عليها أن تعمل علي نشر المبادئ الأمريكية فى العالم مثل الديمقراطية و السوق الحرة و احترام الحريات المدنية. و لقد إنتصرت هذه المبادئ منذ وقت قريب وبمساعدة أمريكا فى دول مثل الفلبين وكوريا الجنوبية وأوربا الشرقية وجمهوريات الإتحاد السوفيتى السابق .

تتركز الإستراتيجية الأمريكية للقرن الواحد والعشرين فى تحقيق الأهداف التالية:

أولا: الحفاظ على موقع الزعامة العالمية التى تتمتع به الدولة وتدعيم مكانتها كمساهم رئيسى فى الثورة العلمية التكنولوجية وقوة مسيطرة فى منطقة شمال الأطلسى وشرق آسيا.

وثانيا : تحاشى ظهور أى منافس تصعب السيطرة عليه (أو على الأرجح اتحاد من المنافسين) يمكنه مع حلول منتصف القرن الحالى أن ينتزع الصدارة فى السباق العالمى من أيدى زعماء الغرب : الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا ويؤسس عالما جديدا يتخلف فيه الغرب ولأول مرة منذ خمسمائة عام عن مقعد الزعامة .

إن الجدل العام المحتدم فى أمريكا على أعتاب الألفية الجديدة يعكس عظمة هؤلاء الذين وصلوا إلى القمر ، إلا أنه يعكس أيضا الشكوك المنطقية التى تساور من ينظر إلى مصير زعماء العالم السابقين عبر التاريخ الذين أنفقوا طاقاتهم وجهودهم الهائلة لتحقيق السيطرة على العالم ، وعن شكوك فى جدوى وإمكانية التأثير فى هذا العالم الذى ينمو على نحو تسوده الفوضى.

فهل الولايات المتحدة مستعدة لتحمل عبء التضحية أم أن الميل الطبيعى لتحقيق الذات والاستمتاع بملذات الحياة والمبدأ الأبيقورى سوف يقضى على قوة التقاليد المحافظة وإنكار الذات الذى تميز به الرواد ويمحو مآثرهم فى إخضاع القارة وتأسيس عالم جديد ، هؤلاء الرواد الذين مثلوا طليعة التحول المادى والاجتماعى ؟ إن السؤال الرئيسى هو سؤال الثمن ، أى مدى الاستعداد للتضحية وإنفاق الثروات المادية وأرواح المواطنين ؛ فإلى مدى سوف تستمر الهيمنة الأمريكية المعاصرة ، وإلى متى سيظل العالم تابعا لهذا الزعيم . إن الشعب الأمريكى هو أول من يمكنه الإجابة على هذا السؤال .

مراجع الفصل الثامن

1-Forign Affairs . America and the World.1991-1992 .P.16.

2-Wofford H. The Democratic Challenge // Foreign Policy . Spring 1992. P.102.

3-Hyland W. The Case for Pragmatism // Foreign Affaris .America and the World .1991-1992. P. 41.

4-Rothkopf D. In Praise of Cultural Imperialism? // Foreign Policy. Summer 1997 .p .50.

5- Foreign Policy. Winter 1991-1992.P.136.

6-Pastor R. The Latin American Opition // Foreign Policy. Fall 1992 .p.1070

7-Newsday. May 30, 1993.

8-Carnegie Endowment for International Peace. National Commission on America and the New World . Changing our Ways. Washington, 1992. P. 18.

9-Calleo D. Rejuvenating Americana. The International Economy and Clinton Administration // World Policy Journal. Spring 1993.P.45.

10-Weekly Compilation of Presidential Documents. Jnuary 27, 1989.p.100.

11-Eckes A. Trading American Interests // Foreign Affairs. Fall 1992.P.137.

12-Prestowitz C. Trading Places. N.Y.,1998.p.217-218.

13-Eckes A. Op. cit.152.

14-Prestowitz C. Beyond Laissez - Faire// Foreign Policy . Summer, 1992..P.57.

15-Kennedy P. the Rise and Fall of the Great powes. N.Y., 1988.P.412.

16-Elling R., Olson O. A New Pacificific Profile // Foreign Policy. Winter 1992-1993.P.138.

17-Maines Ch. W. A Closing World // Foreign Policy. Spring 1997.P.14.

18-Kissinger H. What Kind of World Order // New York Post. Dec. 3, 1991.

19-Kristol W. Defining National Interest // America's purpose. San Francisco, 1991.P.141.

20-Biden J. How I Learned to Love the New World Order // Wall Street Journal. April 23,1992.

21-Maynes Ch. W. A Closing World // Foreign Policy. Spring 1997.P.15-16.

22-Foreign Affairs. July-Aug.1996.P.12.

23-Harries O., Lind M. Realism and its Rivals // the National Interest. Winter 1993-1994.P.111.

24-Carnegie Endowment. Changing Our Ways. Washington, 1992.P.54,13.

25-New York Times. Nov.10.1992.

26-Foeign Affairs. July- Aug.1996.P.13.

27-Alden A., Schurmann F. Neo-nationalist Fallacies // Foreign Policy . Summer 1992. P.109-110.

28-Calleo D. Op. cit. P.44.

29-Hyland W.Op.cit.P.39.

30-Foreign Policy . Summer 1997.P.43,51.

31-Nye J. Bound to Lead The Changing Nature of American Power. N.Y.,1990.P.258-260.

32-Kristol W., Kagan R. Toward a Neo- Reaganite Foreign Policy //foreign affirs.july-Aug.1996.P.20.

33-Nye J . What New world Order ? // Foreign Affairs . Spring 1992 . P . 94 .

34-Nye J . Bound to Lead . P . Ix, x .

35-Nau H . The Myth of America' Decline : Leading the World Economy into 1990 's . Oxford; ggo,Nye j. . bound to lead ; Krauthammer Ch . The Lonely Superpower // New Republic . july 29, 1991 . P . 23-27 .

36-Nye J . What New World Order? P . 4 .

37-Hyland W . The Case for Pragmatism . P . 39 .

38-Luttwak E . A Post- Herooic Military Policy // Foreign Affairs . july-Aug . 1996 . P - 44 .

39-Nye .J., Owens W. America's Information Edge // Foreign Affairs. March-April 1996.P.35.

40-Cohen E.A Revolution in Warfare // Foreign Affairs. Marsh- April 1996.P.52.

41-Foreign Affairs. Spring 1992.P.112.

42-Foreign Affairs. July -Aug . 1996.P.2.

43-Kristol W., Kagan R. Toward a Neo-Reaganite Foreign Policy. Op. cit. P.23.

44-Muravchik J. The Imperative of American Leadership. A Challenge To Neo-isolationism. Washington , 1996.P.30.

45-Ibid. P. 70.

46-Kristol W., Kagan R. Op. cit. P. 28.

47-Washington Post. Sept. 8. 1993.

48-Muravchik J. Op. cit. P. 82.

49-Baker H., Frost E. Rescuing the US- Japan Alliance //Foreigh Affairs,1992.P.101.

50-Coli A. America as the Grend Facilitator // Foreign Policy. Summer 1992. P.55.

51-Tritten J., Stockton P.(eds). Reconstituting Defnce P.oblems of the new US national security strategy. N.Y., 1992. P.3.

52-Kristotf N. The Rise Of China // Foreign Affairs . Nov.- Dec. 1993.P.65.

53-Muravchik J.Op. cit. P. 147.

54-Typer P. U.S. Strategy Plan Calls for Insuring No Rivals Develop // New York Times . March 8, 1992.

55-Muravchik J. Op. cit. 1996.P. 27.

56-National Security Strategy of the United States. The White House,, jan.1993.P.7.

57-Foreign Affairs. July-Aug. 1995.P.5.

58-Foreign Affairs . Nov.- Dec 1995.P.33

59-Muravchik J. Affording Foreign Policy // Foreign Affairs. March-April1996.P.8.

60-Washington Post. May 24. 1995.

61- U.S. Department of State Dispatch. May 22,1995. Vol . 6. No 21. P. 411.

62-Foreign Affairs. July-Aug. 1995.P.6.

63-Ibid.

64-Ibid.

65-Congressional Qurterly. Jan. 1995. P. 166-168.

66-Korb L. Our Overstuffed Armed Forcrs // Foreign Affairs . Nov.-Dec. 1995. P.22.

67-Muravchik J. Op. cit. P. 146-147.

68Muravchik J. Op. cit. P. 206-207.

69-Budget of the United States ? FY 1996: Historical Tables . Washington, 1995. Tables 8.4 and 15.5.

70-Kristol W., Kagan R.Op. cit. P. 26.

71-Colin S. Grey off the Map: Defense Planning after the Soviet Threet // Strategic Reviw. Spring 1994. P. 28-29

المؤلف فى سطور

● المؤلف : أنا تولى إيفانوفتيتش أوتكين

- دكتوراه فى العلوم التاريخية

- متخصص فى الدراسات الأمريكية

-مدير معهد الدراسات الدولية بمعهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا التابع لأكاديمية العلوم الروسية .

المترجمان فى سطور

- أنور محمد إبراهيم : مواليد القاهرة ١٩٤٦

-حاصل على الدكتوراه فى الأدب الروسى من جامعة موسكو عام ١٩٨٣ ، وكان-موضوع رسالته «البناء الفنى فى رواية دستويفسكى «الأبله»ترجم عن الروسية «تطور الفكر الاجتماعى العربى من ١٩١٧ إلى ١٩٤٥»، «العربية السعودية والغرب» ، تاريخ القرصنة فى العالم»، «الامبرطورية العثمانية وعلاقتها الدولية» .

– نشر عدداً من المقالات والترجمات عن الأدب والاستشراق الروسيين فى العديد من المجلات العربية المتخصصة ، يعمل حالياً وكيلاً لوزارة الثقافة للعلاقات الثقافية الخارجية .

- محمد نصر الدين محمد الجبالى : مواليد ١٩٧١

– دكتوراه فى الفلسفة فى الأدب الروسى من جامعة سان بطرسبرج عام ٢٠٠١ ، وكان موضوع رسالته «ملامح السيرة الذاتية فى أعمال سولجنتسين» يعمل حالياً مدرساً للغة الروسية وآدابها بكلية الألسن جامعة عين شمس ، له مقالات ودراسات حول الأدب الروسى .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دي ثرباتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت د. أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر ولنانوليتا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت . وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيفال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دی ليبس	ت : علي عبدالرؤوف البمبي
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوی
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكی أندرسون إمبرت	ت : علی إبراهيم علی منوفی
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعی
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابی
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكی المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسی
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جی أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : می التلمسانی
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامی الكنوجی	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعی
١٥٩- الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحی
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومی
١٦١- من المسرح الإسبانی	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوی	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهری
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فی إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فی عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكری محمد عياد
١٦٨- دراسات فی الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكری محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكری محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابی
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فی الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنری ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانی الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدی إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبی الأمريكی	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو علی شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت. فتحی العشری

١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزُرْج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وأخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخزى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام

٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردیا دیف بورکی	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين مولوى رومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيرين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (المجلد الأول)	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف اليمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت: حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون ، كريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُباده كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردن مارشال	ت: باشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	ت: علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس/ شلي	ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عرودكي
٢٦٨- ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت: صبري محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت: صبري محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سي. باترسون	ت: شوقي جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوي
٢٧٤- السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود مكي
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمساني
٢٧٧- الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزي
٢٧٨- البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١- الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت: جلال الحفناوي
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق	خوان رولفو	ت: علي البمبي
٢٨٤- هرقل مجنونا	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغي	ت: محمود سلامة علاوي
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمي	انتوني كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائي	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطي
٢٨٩- ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربي	روجر ألان	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوي
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت: ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠- يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كلينباور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس

٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٣٣٥- عصر الشك	ناتالى ساروت	ت: فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٣٤١- قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	نخبة	ت: البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى ج٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم

٣٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩- ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات	جون دن	ت: بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت. عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧- نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١- الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتانارس	ت: جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة

٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوير	ت: الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت: أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣- أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت: محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت: أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت: أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت: مصطفى بدوى
٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٥	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت: عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة	روى متحدة	ت: أشرف محمد كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا ج١	نخبة	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت: محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمودد سلامة علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت: ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافى
٤٢٩- هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدى الجابرى
٤٣٤- الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت: عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت: ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت: عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى	صدر الدين عينى	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت: محمد الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت: فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت: صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧- نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم

٤٤٨- علم نفس التطور	ديلان إيفانز - أوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- الحركة النسائية	مجموعة	ت: جمال الجزيرى
٤٥٠- ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريبيكا رايت	ت: جمال الجزيرى
٤٥١- الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن - بورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى - أوسكار زاريت	ت: محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى	مريم جعفرى	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر اوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠- الفاشية والنازية	ستوارت هود- ليتزا جانستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- لكان	داريان ليدر- جودى جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	ت: عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت: حصة منيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت: جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت. فاطمة محمود
٤٦٧- التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت. محمد السيد النثة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	ت: عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨١- عباءة النبى	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت: أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت: رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم

٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	ت: محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	ت: عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت: سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد علي مؤسس مصر الحديثة	جي فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت: شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	ت: حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكواسو بانولى	ت: مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العليّ	ت: مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت: أحمد علي بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت: طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت: سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت: هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا	أن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت: شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	أدم صبرة	ت: قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت: عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقّع	أن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت: جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت: مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت: فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون- ودونا باوندى	ت: صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت: هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	ت: عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم منوفى

٥٢٤ - الملك لير	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ - موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت: نادية رفعت
٥٢٦ - علم السياسة البينية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت: محيي الدين مزيد
٥٢٧ - كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت: جمال الجزيرى
٥٢٨ - تروتسكي والماركسية	طارق علي وفلْ إيفانز	ت: جمال الجزيرى
٥٢٩ - بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠ - مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق عمر
٥٣١ - ما الذى حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت: صفاء فتحي
٥٣٢ - المغامر والمستشرق	هنري لورنس	ت: بشير السباعى
٥٣٣ - تعلّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت: محمد الشرقاوى
٥٣٤ - الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت: حمادة إبراهيم
٥٣٥ - مخزن الأسرار	نظامي الكنجوي	ت: عبدالعزيز بقوش
٥٣٦ - الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت: شوقى جلال
٥٣٧ - للحب والحرية	نخبة	ت: عبدالغفار مكاوى
٥٣٨ - النفس والآخر في قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت: محمد الحديدى
٥٣٩ - خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت: محسن مصيلحى
٥٤٠ - توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	ت: رءوف عباس
٥٤١ - هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت: مروة رزق
٥٤٢ - قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	ت: نعيم عطية
٥٤٣ - السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤ - ميلاني كلاين	نخبة	ت: حمدى الجابرى
٥٤٥ - يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦ - ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق على منصور
٥٤٧ - بارت	فيليب ثودى وان كورس	ت: جمال الجزيرى
٥٤٨ - علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت: حمدى الجابرى
٥٤٩ - علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	ت: جمال الجزيرى
٥٥٠ - شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت: حمدى الجابرى
٥٥١ - الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	ت: سمحة الخولى
٥٥٢ - قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	ت: على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣ - مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤ - مصر في عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥ - الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى

رقم الإيداع ٢٠١٢٣ / ٢٠٠٣
I.S.B.N.
977-305-635-X
مطابع المجلس الأعلى للآثار

المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة

ما المصير الذى ينتظر البشرية ؟ تتوقف الإجابة على هذا السؤال اليوم - فى معظم جوانبها -على خطة سلوك الدولة العظمى الوحيدة في عالمنا المعاصر ألا وهى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فهذه الدولة التى تفوقت على ما عداها من الدول من النواحى العسكرية والاقتصادية والعلمية والتقنية والإعلامية ، ما تزال تمارس - يوما بعد الآخر، وعلى نحو متواصل - التدخل فى شئون غيرها من الدول ، الأمر الذى انعكست آثاره على المناخ السياسى لكوكبنا بأسره . فى هذا الكتاب يقوم الدكتور أناتولى إيفانوفيتش أوتكين، العالم الروسى البارز فى مجال الدراسات الأمريكية ببحث إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية من خلال التوجهات الرئيسية لتطبيق مصالحها ، بما فى ذلك التوجهات نحو كل من المحيطين الأطلنطى والهادى، ونحو روسيا .

هذا الكتاب يخاطب ممثلى الدوائر السياسية والحكومية والعلماء والمتخصصين فى الشئون الدولية وعلماء السياسة والمؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا الإقليمية ، كما أنه يدخل فى دائرة اهتمام قطاع عريض من القراء .

الغلاف : هند سمير